تفسير وبيان لبعض آيات القرآن

المسمى:

الأنوار البهية المنتزع من كتب أئمة الزيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير وبيان لبعض آيات القرآن

المسمى:

الأنوار البهية المنتزع من كتب أئمة الزيدية

الجزء الثاني

هود - محمد

جمعه

المفتقر إلى عفو الله ورحمته

عبد الرحيم محمد أحسن المتميز

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ -٢٠١٧م

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود: من آية (٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وكان عرشه على الماء﴾، ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [البقرة:٢٥٥]؟

فقال: العرش - رحمك الله - والكرسي فإنهما: ملك الله وسلطانه، كما العرش والكرسي: مقعد كل ملك ومكانه؛ وليس يتوهم من آمن بالله: أن ما ذكر الله سبحانه من كرسيه وعرشه ككراسي خلقه وعروشهم، التي كانت تكون مقاعد لهم في ملكهم، ﴿وكان عرشه على الماء﴾: وكان ملك الله على الماء؛ إذ ليس إلا الماء، كما ملكه اليوم على الأرض والسماء، وعلى جميع ما فيهما من الأشياء. وتأويل: ﴿كرسيه﴾ إنما هو: وسع ملكه السماوات والأرض؛ ووسعه لهما: إحاطته بهما، وقدرته عليهما، وعلى كل ما فيهما.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام ما لفظه:

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾؟

قلنا له: إن إحاطته بجميع الأشياء هي: العرش العالي فوق جميع الأشياء؛ وذلك العرش العالي فوق جميع الأشياء فهو: الله العالي على جميع الأشياء؛ فالله

عز وجل هو: المحيط بجميع الأشياء بعرشه، يريد: أنه المحيط بجميع الأشياء بملكه، أي: أنه علا فوق جميع الأشياء بنفسه، ليس ثم عرش ولا ملك غيره.

ومعنى قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾، يريد: أنه كان المحيط بالماء، من قبل خلقه للأرض والسماء؛ فذلك العرش المحيط بالماء لم يتغير عن حاله، ولم يزل هو المحيط بالماء، والمحيط من بعد الماء بالأرض والسماء؛ فذلك العرش إنما هو: مقام الله، ولا يجوز لنا أن نقول: هو مجلس الله؛ ولكنا نقول: هو مقام الله، وليس كمقام الانتصاب؛ إنما ذلك كمال الله بنفسه؛ فهو الجليل الكامل بنفسه العظيم، الجبار ذو الشرف والبهاء والسناء العظيم؛ فهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿وكان عرشه على الماء﴾، يخبر: أنها لم تكن أرض ولا سماء، سوى الماء.

ونحن نقول: إنه قد كان عرش الله ولا ماء، ونقول: إن عرش الله لم يزل، وإن أسماء الله لم تزل، وإن صفات الله ومدائحه كلها لم تزل؛ لأن الله يقول في كتابه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[طه: ٥]، ولا يجوز لنا أن نقول: لم يكن مستويا على عرش ثم استوى؛ إذن لقلنا بخلاف قوله عز وجل؛ بل نقول: إن الله لم يزل ذا عرش عظيم، يريد بذلك العرش العظيم: الله العظيم.

وقلنا له: ليس ثم عرش لله عز وجل، وإنما ذكر العرش، فعرفنا به: الملك، ولم يصفه بصفة معلومة معروفة. وأما قوله في يوم القيامة: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾[النازعات: ٤٠] -فذلك المقام هو ذلك العرش، وذلك العرش هو: الله العلي، لا شيء استعلى، إنما هو العلي بنفسه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [هود:١٥، ١٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سُئِل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت: عن قول الله سبحانه: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾، وقلت: فإن قال قائل من المجبرة: فإذا كان هو الموفي ذلك إليهم -أليس ذلك فعله بهم؛ فما المعنى في ذلك؟

ثم قال: أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون.

وكذلك الله الصادق في قوله، العادل في فعله -يفعل بمن أراد الحياة الدنيا ولهى، عن الآخرة التي تبقى؛ فإنه يوفي إليه عمله، ومعنى: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ هو: نوفي إليهم في الآخرة جزاء أعمالهم، وما حكمنا به من العقاب على من فعل مثل أفعالهم. وقوله: ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾، يريد: وهم لا يظلمون.

وأما معنى قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ فهم: الأولون، من المذكورين بالميل إلى الدنيا وزينتها، والرضى بما فيها من زخرفها، دون ما هو خير منها؛ فأخبر الله سبحانه: أنه لا نصيب لهم في الآخرة - إذ لم يعملوا لها بعملها، وينصبوا في طلبها - إلا النار التي خلقت مقرا ودارا للعاصين، ومحلا لهم، وموئلا في يوم الدين. وقوله: ﴿حبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ هو: إخبار من الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: أن ما كانوا يعملون في الدنيا حابط، والحابط: الباطل الذي لا منفعة له ولا حاصل؛ فأخبر سبحانه: أن أعمالهم

حابطة؛ إذ لم ينفعهم منها في الآخرة نافعة، كما نفع المؤمنين على ما عملوا، وأحلهم دار الخلد بما صنعوا. وليس - بحمد الله - للمشبهين ولا للمجبرين في هذا حجة على رب العالمين.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

مسألة في قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾: ما الذي يوفيهم إن كان جزاء أعمالهم الصالحة؛ فكيف يوفيهم إياه وهو منحط، ولأن الثواب يستحق خالصا على جهة الإجلال والتعظيم، على سبيل الدوام؛ وهذا لا يصح في حال التكليف؟

الكلام في ذلك : أن المراد بالأعمال هاهنا: ما يكون في مقابلته العوض، ووصوله يصح إلى من يستحق الإجلال، ومن لا يستحقه؛ لأن حد العوض: النفع المستحق لا على جهة الإجلال والتعظيم؛ فمن أراد ذلك، ولم يكن له في الآخرة نصيب -جاز أن يوفيه الباري تعالى ما يستحق من ذلك؛ لأنه محدود، خلاف الثواب فإنه لا نهاية له، ويقارنه الإجلال والتعظيم. والبخس هو: النقص، ولا يجوز أن يبخس سبحانه أحدا من ما يستحقه؛ لأنه واجب العدل؛ لحكمته. ويجوز أن يوفيه تعالى العوض في حال التكليف؛ لأنه بمنزلة أروش الجنايات، وقيم المستهلكات؛ فخالف الثواب.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: من آية (١٧)]

قال في كتاب ينابيع النصيحة، في سياق ذكره لبعض فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام -ما لفظه:

ومنها: ما رويناه عن الإمام الناصر للحق، بإسناده إلى علي عليه السلام: أنه

قال في قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾؛ قال: ((﴿على بينة من ربه﴾: رسول الله، ﴿ويتلوه شاهد منه﴾: أنا، وفي نزلت)).

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)﴾[هود: ٢٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

وقال: سألت زيدا عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لا جرم﴾؛ قال: هي بمنزلة:" لا محالة "، ثم كثرت في الكلام حتى صدرت بمنزلة: حقا، وأصلها: جرمت، أي: كسبت.

وأنشد قول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن تغضبوا

أي: كسبتم الغضب أبدا.

وقال: يقول العرب:" فلان جارم أهله "، أي: كاسبهم، وجرمتهم، وإنما سمي المذنب مجرما من هذا؛ لأنه كسب واقترف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)﴾[هود: ٣٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قول نوح صلى الله عليه: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾؟

فإنما أخبر صلى الله عليه عن نفاذ قدرة الله فيهم، ولم يخبر أنه يريد، ولا أنه لإغوائهم مريد، وإنما قال: ﴿إن كان﴾، ولم يقل: أن قد كان؛ فقد أوضح وأبان،

لكل من يعقل اللسان: أنه إنما أراد بقوله صلى الله عليه الخبر عما لله من الاقتدار، لا ما يذهب إليه من لم يهتد للرشد من أهل الإجبار؛ فأخبر أنه غير نافع لهم نصحه وإن أراد نصيحتهم، إن كان الله يريد هلكتهم؛ فصدق صلى الله عليه؛ لأنه إن أراد شيئا، و أراد الله أن يفعل سواه -ليكونن ما أراد الله صنعا وخلقا وشاءه، ولا يكون من ذلك وفيه -ما أراد نوح صلى الله عليه؛ وكيف يريد الله إضلالهم وإغواءهم، وهو يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما إلى هداهم؟! ما يزعم هذا أو يقول به إلا من جهل أمر ربه، في الرأفة والرحمة، والعلم والحكمة؛ وكيف تدعو رسله العباد، إلى خلاف ما شاء وأراد؟! الله أحكم أمرا، وأجل قدرا، من أن يكون في ذلك كما قال من خاب وافترى.

وكذلك ما قال شعيب صلوات الله عليه: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله﴾ [الأعراف:٨٩]، فقال: إلا أن يشاء، ولم يقل: أن قد شاء؛ بل وكد بقوله فيه ومعناه: أن لن يريده الله أبدا ولن يشاه؛ ولكنه أخبر عن قدرته، على كل ما شاء في بريته.

ومثل هذا من التنزيل سواء: قوله سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ١١٦]، ولن يشاء أن يغفر لمن وعده من أهل الكبائر بالنار؛ لما فيه من إخلاف الوعد، وإكذاب الأخبار، التي منها ﴿ولن يخلف الله وعده﴾[الحج: ٤٧]، و ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ [ق:٢٠]، ومنها قوله: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ [ق:٢٩]، وقوله جل ثناؤه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل الكتاب: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ [غافر: ١٧].

ومثل ذلك: قول عيسى صلوات الله عليه: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨]، وقول إبراهيم صلى الله عليه: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [إبراهيم:٣٦]، وكل ذلك

منهم فإنما هو: خبر عما لله من القدرة، على ما يشاء من العذاب والمغفرة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قوله تعالى:﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾[هود: ٣٤]، يقول لهم صلى الله عليه: إن جدالي ونصحي لا ينفعكم، إذا جاءكم عذاب ربكم، ونزل بكم؛ لأنه لا يرد عذاب الله سبحانه إذا نزل بقوم، وهي سنته في الذين خلوا، لا يقبل توبتهم إذا نزل العذاب بهم، وكذلك إذا أراد الله أن يغويكم؛ فالإغواء من الله: العذاب، فيقول: لا ينفعكم نصحي إذا نزل بكم إغواء الله، وهو عذابه، كما قال عز وجل في موضع آخر: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩]، ولم يرد نوح عليه السلام بالإغواء: ما تأوله الجاهلون، من: الضلال لهم، وإمدادهم بالغي، والتمادي والكفر، وإنما أراد بالإغواء: العذاب النازل؛ ثم: كذلك الإغواء في جميع ألسن العرب:" لقيت غيا "، أي: عذابا وتعبا، و" لقي فلان غيا ". كل هذا تحذير لهم؛ لنزول العذاب بهم، وأنه لا تنفعهم نصيحة؛ إذا نزل العذاب بهم لم يصرف عنهم؛ كذلك قال الله سبحانه: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾[غافر: ٨٥].

وكثير مثل ما ذكرنا في القرآن مما احتجوا به، وتأولوه على غير ما أنزل الله؛ وفي فساد ما أفسدنا عليهم من تأويلهم فيما ذكرنا، واحتججنا عليهم به -ما يغني عن كثير من حججهم، وقبيح تأويلهم، وباطل قولهم.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ ؟

كأنهم يرون أن القول على: إن الله عز وجل يريد أن يمنعكم من الإيمان، ومما أمرني أن أدعوكم إليه من الحق -وليس وجه الآية كما ظنت المجبرة، وإنما عنى نوح صلوات الله عليه: إن كان الله يريد عذابكم فلن ينفعكم نصحي. والعذاب فهو: الغي؛ ألا ترى أن الله سبحانه يقول: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾، يقول: فسوف يلقون عذابا، وقول إبليس اللعين: ﴿فبما أغويتني﴾، يقول: فبما جعلتني وحكمت علي أني من المعذبين؛ فالغي: عقوبة كما ذكرنا؛ والغي على وجهين: عقوبة عاجلة، وعقوبة آجلة؛ العاجلة: ما أصاب إبليس من اللعنة، وإخراجه مما كان فيه من الكرامة، والآجلة: قول الله عز وجل: ﴿فسوف يلقون غيا﴾، يقول: فسوف يلقون عذابا.

وجواب آخر: يقول: إن كان الله يريد أن يغويكم، ولم يقل: قد أراد إغواءكم، وإنما قال:" إن كان " على مجاز الكلام، ولم يقل: أنه قد فعل؛ وبهذا أجاب القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ -فمعناه: أن نصحي لكم لا يدفع عنكم عذاب ربي، المستحق بعصيانكم؛ لأنه تعالى لا يريد أن يعذب إلا المستحق، وإن كان عذبكم بإغوائكم عن طريق الجنة في دار الآخرة؛ فإن ذلك أكثر نقمة، فأما مع بقاء التكليف: فلو أراد غواهم عن الدين لكانت بعثة الرسل عبثا؛ لأنه لا عوض في مقابلتها، وذلك لا يجوز على الله سبحانه؛ فتأمل ذلك موفقا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)﴾ [هود: من آية (٤٠)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الله تعالى: ﴿إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾؛

فكانوا فيها بلغنا والله أعلم: مائتين شابا من الأمم بعد آدم عليه السلام، فدعاهم إلى الله تسع مائة وخمسين سنة.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: من آية (٤٤)]

قال في كتاب ينابيع النصيحة:

هو: جبل بالموصل.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)﴾ [هود: ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨]

قال في كتاب ينابيع النصيحة، في سياق كلام عن المولاة والمعاداة، ما لفظه:

وقد علمت أيها المسترشد: شفقة الوالد على ولده، وفرط محبته له؛ فلما عصى الله تعالى ابن نوح قال له نوح عليه السلام: ﴿يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٢) قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾[هود]، ثم ظن نوح عليه السلام أنه ممن وعده الله نجاته؛ ﴿فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين(٤٥)﴾؛

فأجابه الله سبحانه: ﴿قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين(٤٦)﴾؛ فعند ذلك تاب نوح عليه السلام، واعترف واستعاذ بالله عز وجل: ﴿قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين(٤٧) قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)﴾ [هود: من آية (٦٣)]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: إنما المعنى في ذلك أنه يقول: فما تزيدونني غير تخسير لكم، وغير تضليل لكم، وسوء قول فيكم.

قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[هود: من آية (٨٦)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

بقية الله هاهنا: طاعته وتقواه؛ لأنها التي تحمد ذخيرتها، والبقية هي: الذخيرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)﴾[هود: من آية (٨٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: هذا من الحروف المقلوبة، وهو: أن تصف العرب الشيء بضد صفته، كقولهم للديغ: السليم؛ تطيرا من أن

يقول: سقيما، وتفاؤلا بالسلامة، ويقولون للعطشان: ناهل، أي: سينهل، يريدون: سيروى، ويقولون للفلاة، وهي مهلكة: مفازة، يريدون: منجاة.

وقولهم لشعيب: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧)﴾، يريدون: السفيه الجاهل، وهذا كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستحمقه: يا حليم. ثم أنشد الشاعر:

وقلت لسيدنا يا حليم   إنك لمن تأس أسوا رفيقا [١]

(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)﴾[هود: من آية (١٠٥)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق رده على المجبرة، ما لفظه:

ومما احتجوا به أيضا: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، فتأولوا ذلك على أحكم الحاكمين بأقبح التأويل، ولعمري لو نظروا ما في الآية من قبل هذا الكلام - لأسفر لهم الأمر ولعرفوه؛ ألا ترى كيف يقول سبحانه: ﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾؟! يخبر عز وجل ذكره: أن ذلك الشقاء والسعادة إنما تكون في ذلك اليوم - يعني يوم القيامة -، لا أيام الدنيا، ولعمري إن يوم القيامة ليوم التغابن والحسرة والندامة، فمنهم ذلك اليوم: شقي وسعيد؛

---

(١) هكذا في النسخة المنقول منها، وهي المجموع المطبوع، وفي لسان العرب هكذا:
وقلت لسيدنا يا حكيم ... إنك لم تَأْسُ أسواً رفِيقاً
وهو في الصاحبي لابن فارس، وكذا في كتاب البرصان والعميان للجاحظ، والبيان والتبيين، والحيوان بلفظ:
وقلت لسيدنا يا حليم ... إنك لم تَأْسَ أسواً رفيقاً
و" تأس " من: التأسي.

شقي قد شقي بعمله، وبما وقع عليه من حكم الله له بالعذاب، وسعيد قد سعد في ذلك اليوم بعمله، وبما قد حكم الله له به من الثواب. والشقي: أشقى الأشقياء من شقي في ذلك اليوم، والسعيد: أسعد السعداء من سعد في ذلك اليوم. وإنما أخبر الله سبحانه عن شقائهم وسعادتهم في ذلك اليوم لا في الدنيا؛ ألا ترى كيف يقول: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ [هود: ١٠٣]؟! يعني: يوم القيامة؛ ولو كان الأمر على ما ظنوا، لكانت المخاطبة عند أهل اللسان والمعرفة على غير هذا اللفظ، وكان اسم الشقاء والسعادة قد انتظمهم قبل ذلك اليوم، وكانوا مستغنين عن إرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولم يكن لله سبحانه عليهم حجة؛ إذ كان المشقي لبعض، والمسعد لبعض، والمدخل لأهل الشقاء في المعصية، ولأهل السعادة في الطاعة؛ وهذا أقبح ما نسب إلى الله، وقيل به فيه؛ فنعوذ بالله من الضلالة والعمى، ونسأله الرشد والهدى.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، وقلت: ما معنى ذلك؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، يقول: منهم ناج بعمله، سعيد في الجنة، ومنهم شقي بعمله، هالك في النار. وقال عز وجل: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾؛ فكيف تكون يداه قدمتا له، وإنما هو أمر قسر عليه - زعمت المجبرة -، وبطل قوله عندهم: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾؛ نعوذ بالله لنا ولك من الجهل في دينه، والمعاندة لكتابه؛ إنه منان كريم.

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾؟

فهي: سماوات الآخرة، وأرضها الباقية، وليست سماوات هذه الدنيا، ولا أرضها التي هي زائلة فانية. وأما ﴿إلا ما شاء ربك﴾، فإنما هو: إخبار عن قدرة الله على إفنائها إن شاء، وذلك فهو كذلك؛ إذ كان هو الذي خلق وأنشأ؛ لأنه لا يقدر أحد أبدا على أن يبقي شيئا تخليده وإبقاءه، إلا من يقدر أن يفنيه؛ فلم يشاء سبحانه إفناءه؛ ولكنه شاء تخليده وإبقاءه، وأخبر بقدرته إن شاء على الإفناء، كما قدر على الإبقاء، وأن أهل الجنة فيها بإبقائه لهم باقون، فإنهم خالدون فيها أبدا لا يفنون، وكما لا تفنى أرضهم فيها ولا سماؤهم؛ فلذلك لا يفنى - ما بقيت الجنة – بقاؤهم؛ والحمد لله الذي لا يخلف وعده، ولا يخلد من الأشياء إلا ما خلده.

وقال في موضع آخر، بعد ذكره للآية:

خبر من الله عن القدرة والاقتدار على كل شيء، وليس هو خبر أن الله مخرج من النار بعد دخولها أحدا، ولو خرج منها خارج بعد دخولها -لم يكن فيها مخلدا، وقد قال الله في غير مكان: ﴿خالدين فيها﴾، ﴿وما هم منها بمخرجين﴾[الحجرات: ٤٨].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾؟

الجواب: اعلم - وفقك الله - أن معنى قول الله سبحانه: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ كمعنى قوله: ﴿يعذب المنافقين إن شاء﴾ [الأحزاب: ٢٤]، والتأويل فيهما سواء، وقد ذكر بعض من تمعنى الكلام: إن معنى "إلا" وكـ "ما" واحد، واحتجوا بقول الشاعر:

إلا سليمان إذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها علي[١]

والمعنى: كما سليمان إذ قال المليك له؛ فإن صح ذلك من التفسير: فمعنى قول الله سبحانه: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ فهو: كما شاء ربك، والله سبحانه فلا شك أنه يشاء عذاب من كفر به ويريده؛ فاعلم ذلك.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، في سياق جوابه عن أسئلة -ما لفظه:

وفي معنى قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك...﴾الآية، وما فائدة الاستثناء في أهل الجنة والنار؟

الجواب عن ذلك: إن الاستثناء لأوقات الحساب والقيامة، فإن أهل الجنة غير خالدين في الجنة، وأهل النار غير خالدين في النار؛ فلا فرق بين الاستثناء في أول الأمر، ولا في آخره، كمن حلف بصيام شهر إلا يوم، فإن اليوم يجوز أن يكون من أوله، ومن آخره، ويصح الاستثناء.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

الاستثناء هاهنا: من الحكم في الدنيا للشقي باسم الشقاء، وللسعيد باسم

(١) – هكذا في الأصل المنقول منه، والذي في كتاب اللغة والأدب: أن النابغة الذبياني قال:
إلا سُلَيمانَ إذْ قال الإلهُ لَهُ ... قُم في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد.

السعادة، وليست المشيئة بمستثناة من الخلود، وإنما هي مستثناة ممن حكم له في الدنيا باسم، ثم رجع عما كان عليه؛ تقديره: فأما الذين حكم عليهم باسم الشقاء في الدنيا، ففي النار خالدين فيها، إلا أن يتوبوا في الدنيا؛ فهذا الاستثناء هو المراد بقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾، وكذلك في:" الذين سعدوا " تقديره: وأما الذين كتب لهم اسم السعادة في الدنيا، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، إلا أن يخرجوا من الطاعة إلى المعصية في الدنيا. وهو المراد بقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾.

ومما يؤيد ذلك: أن الذين سعدوا لا يخرجون من الجنة أبدا؛ إذا ماتوا سعداء بالإجماع؛ فلو جاز خروج أحد من النار -جاز خروج من يدخل الجنة؛ لأن الاستثناء هاهنا في ذكر الجنة والنار؛ فبطل تعلقهم بهذه الآية. وقد قيل: إن معنى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ المراد به: وقت الحساب.

وأما الخبر الذي رووه عن النبيء صلى الله عليه وآله وسلم فهو خبر ضعيف؛ لأنه من خبر الآحاد، وإن صح فالمراد به: من حكم له بأنه من أهل النار، ثم تاب في الدنيا - خرج مما حكم عليه به، ويدل على هذا التأويل: ما روي عن النبيء صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمع مؤذنا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خرج من النار)).

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود:١١٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

ما يقول سبحانه : ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾؛ فجعل سبحانه طرف النهار الأول كله: وقتا للفجر، وجعل الطرف الآخر كله: وقتا للظهر والعصر، وجعل زلف الليل كله جميع: وقتا للمغرب والعشاء معا؛ فبين أوقات الصلوات لمن فرضت عليه، بيانا لا شبهة

ولا لبسة فيه.

فوقت الظهر والعصر جميعا، لمن أراد أن يفردهما أو يجمعهما معا -من دلوك الشمس إلى غروبها، إلى أن يظلم أفق السماء، ويظهر أحد نجومها؛ لذهاب ضوء الشمس وشعاعها؛ لا يعتد في ذلك كله بظهور الكواكب الدرية، ولا اطلاعها؛ فإنه ربما طلع أحدها والشمس ظاهرة لم تغب؛ فلا يعمل من تلك الكواكب كلها على ظهور كوكب.

ووقت المغرب والعشاء: الليل كله، وزلف الليل: فأول الليل وآخره، كل ذلك وقت لهما جميعا، من شاء أفردهما، ومن شاء جمعهما معا.

ووقت الفجر: أجمع، حتى يظهر قرن الشمس ويطلع؛ فهذه أوقات الصلوات، وما بين لها من الأوقات، لا ما قال به فيها - من لم ينصف، ضعفة الرجال والنساء من كل مكلف – ولها[1]، من عسير المقاييس، وما في ذلك على ضعفة الرجال والنساء من عسير المشقة والتلابيس، التي لو كلفوا عملها دون الصلاة لفرحوا، أو رمى بهم إليها وفيها -لتاهوا وتطرحوا منها في عسر عسير، وحيرة وضيق وحرج كبير؛ فقال سبحانه رحمة منه بالمؤمنين: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾[الحج: ٧٨]. والحرج في كل أمر من الأمور فهو: الضيق، والعسر في الأمور فهو: التلبيس والأعاويق.

وزوال الشمس فهو: ميلها، إذا ما استوى ظلها، فزالت – وأنت مستقبل القبلة – عن وسط السماء، فزاد ظلها شرقا قليلا أو كثيرا، على مقدار الاستواء. وغسق الليل فهو: ما لا يخفى، على مكفوف بصره أعمى، وهو: سواد الليل وظلمته، أوليته في ذلك سواء وآخريته. والفجر أوله وآخره -فقد يعاين ويرى؛

(١) – قوله:" ولها " عطف على:" فيها " من قوله:" لا ما قال به فيها ".

فهو بين لا يشك فيه ولا يمترى، وهو: ما بين إدبار النجوم، إلى طلوع الشمس المعلوم.

وكل وقت بين هذه الأوقات، فأبين ما بين من البينات؛ لا يحتاج فيه إلى مقياس ضعيف ولا قوي من الناس؛ والحمد لله في ذلك وغيره، على تخفيفه فيه وتيسيره....(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)﴾[هود: ١١٦]

قال في كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾، وهم: الذين نجوا مع أنبيائهم عليهم السلام، وبعد أنبيائهم عليهم السلام، وهم الذين نهوا عن الفساد في الأرض، ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾[هود: ١١٨-١١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾؟

فذلك: فلن يزالوا - كما قال الله سبحانه - مختلفين؛ لأن الاختلاف لا يزال

أبدا بين المحقين والمبطلين. وهو خبر من الله عما يكون، وأنهم لن يزالوا مختلفين فيما يستأنفون؛ فالاختلاف منهم وفيهم، ولذلك نسبه الله إليهم. وقوله: ﴿إلا من رحم ربك﴾ يريد: من المؤمنين؛ فإنهم في دينهم متآلفون، غير مختلفين. وقوله تبارك وتعالى: ﴿ولذلك خلقهم﴾: يقول سبحانه: للمكنة، مما يجب به الثواب والعقاب من السيئة والحسنة، ولولا خلقه لهم كذلك، وعلى ما فطرهم عليه من ذلك -لما اختلفوا في شيء، ولما نزل عليهم أمر ولا نهي، ولا كان فيهم مسيء ولا محسن، ولا منهم كافر ولا مؤمن، ولكانوا كالموات الذي لا يحسن ولا يسيء، ولا يفجر عند الله ولا يتقي.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من: قول الله سبحانه: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ -فإنا نقول: إن معنى قوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ هو: إخبار عن قدرته، ونفاذ ما شاء من إرادته؛ فأخبر سبحانه: أنه لو شاء أن يجعلهم أمة واحدة -لجعلهم قسرا، ولأدخلهم في طاعته جبرا؛ ولكنه لم يرد قسرهم على ذلك، ولم يرد أن يدخلهم في الطاعة كذلك؛ للحكمة النيرة، والحجة الباهرة؛ ليثيب على عملهم المثابين، ويعاقب على اجترامهم المعاقبين، لا ما يقول به المبطلون، ويذهب إليه الجاهلون، من أنه لم يرد من العاصين الطاعة، ولم يكره من الفجرة المعصية، وأنه لو أراد ذلك منهم لفعلوه، ولو شاء أن يعبدوه لعبدوه، وقالوا على الله عز وجل الأقاويل الردية، وضاهوا في ذلك قول الجاهلية، حين قالوا: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ [الزخرف: ٢٠]، فقال سبحانه، يكذبهم فيما وهموا من أنه يريد عبادة أحد دونه، وأنه لا يشاء أن يعبدوه: ﴿مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون (٢٠) أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون (٢١)﴾ [الزخرف]، ثم أخبرنا بما به عبدوا من يعبدون، ومن به في ذلك يقتدون، فقال:

﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (٢٢)﴾ [الزخرف: ٢٢]، ثم أخبر نبيه صلى الله عليه وآله بقول من كان قبلهم، ممن أهلك بمثل قولهم؛ فقال: ﴿كذلك ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣)﴾[الزخرف: ٢٣]؛ فكيف يقول الجهال، وأهل الغي والضلال: إن الله سبحانه يشاء من عباده أو لهم الكفر، وقد يسمعون في ذلك قوله، ويرون ما نزل بإخوانهم على قولهم من نكير قولهم؟! أو لم يسمعوا الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه، يقول: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧]؟ فقال: ﴿إن تكفروا﴾؛ فأخبر بذلك: أن الكفر فعل منهم ولهم؛ إذ نسبه سبحانه إليهم، وذكره عنهم، ثم قال: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾، فأخبر أنه لا يرضى ما كان من كفرهم، فكيف يقول الجاهلون في ربهم: إنه قضى بما لم يرض لهم عليهم؟! فأكذبوا في ذلك رب الأرباب، وعاندوه في كل الأسباب، فقالوا: إنه رضي بما قال سبحانه: إنه لم يرضه، وقالوا: إنه سخط ما قال: إنه رضيه؛ فعاندوه في ذلك عنادا، وجاهروه بالمكابرة جهارا؛ ففي هذا – والحمد لله – من البيان –ما يكفي عن ذكر غيره من الحجج والبرهان.

وأما قوله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ –فإنا نقول في ذلك بالحق المبين، على رب السموات والأرضين، فنقول: إن معنى قوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، أي: لا يزال أهل الحق لأهل الباطل مخالفين، وعليهم في باطلهم وفسقهم منكرين، ﴿ولذلك خلقهم﴾ رب العالمين، وبه أمرهم سبحانه أكرم الأكرمين؛ فخلق جميع خلقه ليعبدوه، لا ليعصوه، وأمرهم أن يطيعوه ولا يخالفوه، وأن يجاهدوا الكافرين كافة أجمعين، حتى يفيئوا إلى طاعة رب العالمين؛ فخلقهم سبحانه لما شاء من ذلك، وشاء ما أمرهم به، وأمرهم بما خلقهم له، من طاعته، ومجاهدة

أعدائه، والنصر لأوليائه؛ فقال سبحانه في ذلك: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾[التوبة: ٣٦]، وقال: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢]، ففي كل ذلك يأمر المحقين بمخالفة المبطلين، وبالبراءة والعداوة للفاسقين الناكثين، وبالتحاب والتواصل، والتبار والتواخي على الدين؛ ومن ذلك ما يقول جل جلاله أكرم الأكرمين: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد قيل في قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾: إنه مردود على ما ذكر من الرحمة، وكل ذلك - والحمد لله - فجائز أن يقال به على ذي الجلال والقدرة، لا ما يقول الضالون: إن الله عز وجل خلقهم للضلال والاختلاف، وركب فيهم العداوة وقلة الائتلاف؛ وكيف يكون ذلك، والله يأمر بقتال من بغى، وظلم وتجاهل وأساء، حتى يفيء إلى البر والتقوى؟! وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩]؛ ففي هذا – والحمد لله – من الدلالة على ما قلنا –ما أجزى وكفى. تم جواب مسألته.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾؟

وقد قيل في ذلك: إن معناها: للرحمة خلقهم. والذي أراه أنا في ذلك، ويتوجه لي من القول فيه: أنه سبحانه أراد به: خلق المؤمنين لمخالفة الكافرين؛ لأن مخالفة الكافرين في كفرهم أعظم الطاعة لرب العالمين، وقد قال الله سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾؛ فأخبر: أنه لم يخلق الخلق إلا لعبادته، فمن خالف عبادته وطاعته -فمخالفته في ذلك من فرض الله على من يخالفه، ولا مخالفة لأعداء الله ولا مفارقة -أكبر من ضرب وجوههم بالسيف، وسفك دمائهم، ومجاهدتهم على مخالفة الحق؛ وهذا فهو أكبر فرائض الله على خلقه، وأعظم ما افترض الله على عباده؛ ولهذا خلق الخلق؛ لأنه أفضل عبادته؛ فإذا قد صح فرض المخالفة للفاسقين على المؤمنين والجهاد -فقد صح أن لتلك المخالفة التي افترضها عليهم خلقهم، وإليها دعاهم، وبها في أعدائه أمرهم.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾:

يريد: أنه خلقهم للرحمة، ولئلا يخالف أهل الحق أهل الباطل.

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[يوسف: ٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه في يوسف صلى الله عليه، من قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾: كيف كان همها به؟ وكيف هم بها؟

فقال: كان همها هي هم شهوة ومراودة، وكان همه بها هم طباع النفس والتركيب؛ ألا ترى أنك إذا رأيت شيئا حسنا أعجبك، وحسن في عينك، وإن لم تهم به لتظلمه، وتأخذه غصبا من أهله، وكذلك إذا رأيت طعاما طيبا، أو لباسا حسنا أعجبك، وتمنيت أن يكون لك مثله، وأنت لا تريد بإعجابك به أخذه، ولا أكله إلا على أحل ما يكون وأطيبه، ولم ترد بقولك: إنك تأكله، أو تلبسه، أو تنكحه إلا حلالا؟

قلت: بلى.

قال: فكذلك كان هم يوسف صلى الله عليه في زوجة الملك.

قلت: قد سمعنا بعض الرواة يذكر أنه منع يوسف عليه السلام من إتيانها أنه: رأى يعقوب صلى الله عليه كأنه يزجره عنها ويخوفه.

قال: قد قيل فيه شبيه من ذلك، وليس القول فيه كذلك، وحاش لله أن ينسب ذلك إلى نبي من أنبياء الله.

قلت: فقد كان يروى لنا ذلك بين الملأ، ويتحدث به في المساجد.

قال: قد ذكر ذلك، جل الله عن كل ما يقول فيه الملحدون، وينسب إليه الضالون. وليس قولهم هذا في أنبياء الله، ورواياتهم الكاذبة عليهم -بأعظم من كذبهم وجرأتهم على الله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا؛ ألا ترى كيف شبهوه بالأشياء من خلقه، وجعلوه جسما ذا أعضاء وأجزاء مختلفة؟ فتعالى عن ذلك من ليس كمثله شيء.

ولقد ناظرت رجلا ممن ينتحل التشبيه، فألزمته أن يقول: إن الله مخلوق، أو ينفي عنه التشبيه؛ فاختار أن يجعله مخلوقا، وكره أن ينفي عنه التشبيه؛ فهذا أعظم الأمور، وأقبح الأقاويل كلها.

قلت: فالبرهان الذي رآه يوسف صلى الله عليه ما هو؟

قال: هو ما جعل الله فيه من علمه، وخصه به من المعرفة به، والخوف في علانيته وسره. وإنما كان ذلك ابتداء منها، ومراودة له على نفسه؛ كان من قولها له: أن يا يوسف إن لم تأتني -أتيت أنا إليك. فقال: معاذ الله من ذلك. فقامت، فأرخت سترا كان على باب البيت، وكان في البيت صنم لها تعبده من الذهب، له عينان من ياقوتتين حمراوين، فكانت تستحييه وتعبده. فقال لها يوسف صلى الله عليه: لم أرخيت هذا الستر؟ فقالت: إني خفت أن يراني هذا الذي في البيت، فأرخيت الستر؛ حياء منه، وإجلالا له. فقال لها: فإذا كنت أنت تستحيين من صنم لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع؛ فكيف لا أستحيي أنا من الذي خلقني وخلقك، وخلق هذا الذي تخافين، ومنه تستحيين؟! بل أخاف وأستحيي الذي خلقني وخلقكم، وهو خالق السموات والأرضين. ثم نهض منها؛ هاربا بنفسه، فلحقته إلى باب الدار، فقدت قميصه، ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾، وهو زوجها الملك؛ وذلك أنهم كانوا يسمونه السيد؛ لموضعه عندهم، ورفعته فيهم، فقالت له: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو

عذاب أليم قال﴾ ـ يوسف :ـ ﴿هي راودتني عن نفسي﴾[يوسف: ٢٥، ٢٦]، فتحير الملك، واشتبه عليه الأمر، وكثر فيه القول، فذكر بعض الرواة: أن الذي حكم في ذلك صبي صغير كان في المهد، واختلف فيه، والذي صح عندنا في ذلك: أنه كان صبيا قد عقل، وهو من أبناء خمس سنين، أو شبيه بها، فأتي به إلى الملك، فقال: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت﴾ هي فيما ذكرت، من مراودته لها عن نفسها، ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت﴾ هي فيما ادعت، ﴿وهو من الصادقين﴾ في قوله، ومراودتها له عن نفسه، فأتي بالقميص إلى الملك؛ فنظر إليه، فإذا هو مقدود من دبره؛ فقال: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾[يوسف: ٢٨]. ثم بدا لهم من بعد ذلك، فألقي في السجن، وكان في السجن رجلان من خدم الملك، فلما كان من إعلامه لهما بتأويل رؤياهما على الحقيقة بعينها، فلما رأى الملك رؤياه -أتى أحد الرجلين إلى يوسف، فقص عليه ذلك، فأخبره بتأويله، فلما انتهى ذلك إلى الملك -بعث إلى النسوة يسألهن عن خبره، فـ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ فيما تبرأ منه وأنكره؛ ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾[يوسف: ٥١، ٥٣]؛ فهذا ما كان من خبره عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ [يوسف:٤٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته: عن قول الله سبحانه: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾؟

قال: هذا خبر عن يوسف صلى الله عليه، وصاحبيه المسجونين معه، حين رأيا الرؤيا وقصاها عليه، فعبرها لهما، فكانت كما قال صلى الله عليه، وكان منه تقدمة إلى الذي علم أنه ينجو منهما من القتل، أمره أن يذكره عند ملكهم بحسن تعبير الرؤيا، والفهم بما يأتي من الأمور ويذر، فلما أن كان من رؤيا الملك ما كان، وسأل قومه وأهل مملكته: أن يفسروها له، فلم يجد ذلك عندهم -ذكر الناجي من الحبيسين يوسف، وبصره بالتعبير، فأخبر به الملك، فأحضره وسأله عن تعبير رؤياه، فعبرها، فتمكن عنده بذلك، وعظم قدره. فأما قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ فهو: أنساه الشيطان أن يذكر أمر يوسف لربه قبل رؤيا الملك. وربه فهو: سيده وكبيره، وقوله ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ يعني: يوسف، والبضع فهو: ما بين الست إلى السبع سنين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: من آية (٦٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل عن: قول الله سبحانه فيما يحكى عن يعقوب صلى الله عليه، لجماعة بنيه: ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾[يوسف:٦٧]؟

هذا من يعقوب صلى الله عليه حين خرجوا عنه مسافرين؛ فخاف عليهم من النفس، وعيون الناظرين، فأمرهم عند دخول القرية: بأن لا يدخلوا جملة واحدة، لما كانوا عليه من كمالهم، وكثرتهم وجمالهم، وكانوا أحد عشر رجلا، لم ير مثلهم جمالا ولا كمالا، فخاف عليهم، وأشفق صلى الله عليه من أن يراهم أهل تلك البلدة مجتمعين جماعة واحدة، على ما هم عليه من كمالهم، وحسنهم

وجمالهم، فأمرهم أن يتفرقوا، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة؛ شفقة عليهم من العين والنفس؛ قال الله سبحانه: ﴿فلما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه﴾[يوسف:٦٧]، يخبر سبحانه أن الحذر للنفس والعيون لا ينفع إلا بدفاع الله وتوفيقه، ولطفه وحفظه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)﴾[يوسف: ٦٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾؟

فكان أمرهم أن يدخلوا من أبواب معروفة، ونهاهم أن يدخلوا من باب معا؛ لأنه خشي عليهم عند اجتماعهم العين؛ لما كانوا عليه من الهيئة والجمال، والكثرة والكمال؛ فأخبر الله تبارك وتعالى: أنه لولا دفاعه عنهم -لم ينفعهم ما أوصاهم به، وأخبر تبارك وتعالى: أن يعقوب صلى الله عليه كان عالما بأن ذلك الذي أمرهم به لا يغني عنهم شيئا، إلا بمدافعة الله عنهم، وإحسانه إليه فيهم، غير أنها حاجة في نفسه قضاها، يريد: سببا كان في نفسه أن يلقيه إليهم؛ فألقاه احتياطا وشفقة، وعالم أنه لا ينفعهم إلا بالله سبحانه، ولا يدفع عنهم ما كره إلا بدفعه عز ذكره.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)﴾ [يوسف: ٧٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾، وقلت: كيف جاز ليوسف صلى الله عليه أن يرمي بالسرقة من قد علم أنه لم يسرق صواعه؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل في هذه المسألة بجوابات كلها تجوز في لغة العرب، وتثبت العدل والبراءة ليوسف صلى الله عليه من الظلم والإثم، من ذلك ما أنا ذاكره؛ فافهمه إن شاء الله.

أما الوجه الأول فقالوا: إنه يجوز أن يكون المنادي نادى بغير أمر يوسف صلى الله عليه، فحكى الله عز وجل عن المنادي.

وإما أن يكون أمر بوضع الصواع في الرحل بغير علم المنادي الذي نادهم بالسرقة، فلا يكون المنادي تعمد كذبا، وذكر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أن يوسف صلوات الله عليه أمر المنادي بذلك، وأضمر في نفسه:" إنكم لسارقون لي، سرقتموني من أبي، وطرحتموني في الجب "، وهذا حسن.

وقول آخر قال: إن يوسف صلى الله عليه قال هذا على الاستفهام: آنكم لسارقون، على معنى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن يقدر عليه﴾، على طريق الاستفهام؛ لأن نبي الله صلى الله عليه لا يظن أن الله عز وجل لا يقدر عليه، والعرب تستفهم بغير ألف في كلامها؛ قال الشاعر:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا ... شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر

يريد: أشعيب بن سهم، أم شعيب بن منقر؛ فكل هذا قد قيل في تفسير هذه الآية.

وقول أمير المؤمنين أحسنها عندي، وكلها حسن جائز، وقد أعلمتك بما قال أهل العلم فيها؛ فافهم ذلك موفقا إن شاء الله، وإنما أراد يوسف صلى الله عليه بوضع الصواع في رحل أخيه ليأخذه به من أخوته؛ لأنه لم يكن يمكنه في دين الملك أن يأخذه، والأنبياء صلوات الله عليهم فلا تفعل فعلا إلا بأمر الله عز وجل؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾؛ فكل فعل من ذلك بإذن الله؛ لأن إذن الله عز وجل هو أمره؛ فهذا هو الحجة البينة في هذا الباب، وما أمر الله به فلا عيب فيه ولا إثم، ولا كلام لمتكلم؛ قوله الحق، وأمره الصدق، لا إله إلا هو العلي العظيم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾؟

ومعنى ذلك - رحمك الله - أنه يقول: كدنا لمعاقبته على احتياله لأخذ أخيه، وادعائه من السرقة لما ادعا عليه بدسه الصواع في رحاله، حتى أخذه بذلك من أخوته، فكره الله لنبيه صلى الله عليه الظلم والزلل، ولم يرض بذلك من أحد من أهل الملل؛ فهذا معنى قوله ﴿كدنا﴾؛ فكان من يوسف صلى الله عليه الزلل والنسيان، وكان من الله سبحانه العفو والمن والإحسان.

قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)﴾ [يوسف: ٨٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

ومما حكى الله تعالى عن ولد يعقوب عليه السلام: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[يوسف: ٨٢]، فقال: القرية، والقرية فإنما هي: البيوت والدور، وليس البيوت والدور تسأل، وإنما أراد: أهل القرية؛ لأنها من سبب الأهل، والأهل من سببها؛ فجاز ذلك في اللغة العربية.

وكذلك قولهم:" العير التي أقبلنا فيها "، والعير فإنما هي: الجمال المحملة، وليس الجمال تسأل، ولا تجيب ولا تستشهد، وإنما أرادوا: أهل الجمال، وأرباب الحمولة، فقالوا:" سل العير "، وإنما أرادوا: أهلها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾[يوسف:١٠٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وأما تأويل قوله: ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ -فهي: ما كان من رؤياه في أول أمره، وقيل: فعل إخوته ما فعلوا به، من سجود الكواكب و الشمس والقمر؛ فكان تأويل ذلك: أبويه، وإخوته، وإتيانهم إياه في مملكته، فخروا له سجدا، كما قاله الله سبحانه. ومعنى: ﴿وخروا سجدا﴾ فهو: خروا لله من أجل ما أنعم عليهم به فيه، كما كان سجود الملائكة لآدم، وإنما معنى قول الله سبحانه: ﴿اسجدوا لآدم﴾، أي: اسجدوا لله من أجل آدم عليه السلام؛ لعجيب

ما ترون من قدرته فيه، وابتداعه له وخلقه.

فأما قوله: ﴿قد جعلها ربي حقا﴾ فإنما يقول: قد حققها ربي؛ بما من به من إتيانه بكم، وتفضل بذلك علي وعليكم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

فأما قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام:﴿إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾[يوسف:١٠٠] -فإنما أضاف ذلك إلى الله سبحانه؛ لكونه بألطافه وتوفيقه، وعونه وتأييده، كانوا عالة فأغناهم، ومستضعفين فملكهم؛ وعلى مثل ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾[يونس:٢٢]، معناه: أعطاكم آلة السير وقدرته في البر: الظهر والقدرة، وفي البحر: الرياح والألواح؛ ثم إن قصدتم في فعلكم رضا الله تعالى - كنتم قد أطعتموه، وإن قصدتم هوى نفوسكم كنتم قد عصيتموه؛ وعلى مثل هذه المعاني يحمل ما شاكل هذه الآيات: بأنه تعالى نهانا عن المسير في معصيته، وأمرنا بالنفير إلى طاعته؛ فلولا أنها أفعالنا لم يصح ذلك فيها، كما لم يصح في صورنا وألواننا؛ فتفهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ [يوسف: ١٠٦]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

يقول: وما يؤمن أكثرهم بالله أنه ربه، إلا وهو مشرك به في طاعة شياطين الإنس والجن.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

ومن ذلك: ما ذكر أبو صالح، عن الكلبي، عن عمر بن الخطاب، أنه قال لابن عباس يوما من الأيام: يا أبا العباس، ضربتني البارحة أمواج القرآن في آيتين قرأتهما؛ لم أعرف ما تأويلهما ؟

فقال ابن عباس: ما هما يا أمير المؤمنين ؟

قال: قوله: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقلت: سبحان الله، أيظن نبي من أنبياء الله: أن الله لا يقدر عليه، أو أنه يفوته إن أراده؟! ما ظن هذا مؤمن. وقوله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾[يوسف: ١١٠]، فقلت: سبحان الله، كيف هذا: أيس الرسل من نصر الله، أو تظن أن قد كذب وعد الله ؟!! إن لهاتين الآيتين خبرا من التأويل ما فهمته!

فقال ابن عباس: أما ظن يونس فإنه ظن لن تبلغ به خطيئته أن يقدر الله بها عليه العذاب، ولم يشك أن الله إن أراده قدر عليه؛ فهذا قوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾. وأما قوله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ -فهو: استيئاسهم من إيمان قومهم، وظنهم فهو: ظنهم لمن أعطاهم الرضى في العلانية، أنه قد كذبهم في السر؛ وذلك لطول البلاء عليهم، ولم يستيئسوا من نصر الله، ولم يظنوا أن الله قد أخلفهم ما وعدهم.

فقال عمر: فرجت عني، فرج الله عنك.

سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد:٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، في سياق كلام ما لفظه:

وقال تبارك وتعالى: ﴿رفع السموات بغير عمد﴾، ثم قال جل ثناؤه ﴿ترونها﴾، يعني سبحانه: تعاينونها وتبصرونها، غير معمودة من تحتها بعمد، ولو كانت كذلك لرأى ذلك من أهل الأرض كل أحد؛ فكيف يكون من حملها سبحانه محمولا، أو يكون ذلك عليه في القول مقبولا ؟!

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾[الرعد: ٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾؟

فقال: قطعة مالحة، وقطعة لينة، وقطعة أعدى، وقطعة تسقى، وقطعة جبال، وقطعة عمران، وقطعة خراب، بعضها إلى جنب بعض متجاورات، ثم وصف، فوضع كفه في الأرض، ثم رفعها ووضع أيضا إلى جنب الموضع الذي كان وضعه أولا.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)﴾[الرعد: ٧]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيئه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد(٧)﴾؛ فمعنى هذه الآية، والله أعلم: أن الله -جل ذكره- جعل في كل وقت من أهل بيته هاديا لقوم ذلك الوقت.

وفي كتاب ينابيع النصيحة:

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧)﴾ فأومأ بيده إلى علي عليه السلام؛ فقال: أنت الهادي يا علي؛ بك يهتدي المهتدون من بعدي.

وقال في مجموع السيد حميدان عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

فأخبر أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - منذر للعباد، وأن لكل قوم هاديا إلى الحق في كل زمان، يوضح ما التبس من الأديان، ويرد على من دان بغير دين الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[الرعد: ٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾؟

فغيضها هو: ما ينقص منها، مما هو فيها من الأولاد، دون غيرها، وزيادتها فهو: ما يحدث فيها ومنها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢)﴾[الرعد: ١٢]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

معناه: لتخافوا عقابه، وتطمعوا في رحمته وثوابه.

قوله تعالى:﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)﴾[الرعد:١٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار...﴾، إلى قوله: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾؟

فقال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل؛ فجعل الباطل كزبد السيل، يذهب فلا يبقى، وجعل الحق كالذي يبقى مما يوقدون، مما يحمل السيل من الحطب، ويأتي به من عيدان الأشجار التي ينتفع بها، وتوقدونه في تسوية الحلية وغيرها. ومعنى قوله:" قدرها " فهو: على قدرها، وما تحتمل من الماء، وما يسعها منه؛ ومعنى قوله: ﴿زبدا رابيا﴾ فهو: زبدا منتفخا، مجتمعا متكاثفا؛ وكذلك تسمي العرب كل منتفخ مجتمعا متكاثفا: رابيا.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾[الرعد:٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره لهذه الآيات ما لفظه:

بدأ تبارك وتعالى في صفة عباده المؤمنين: بالصلة لما أمر الله به أن يوصل، والذي أمر الله به أن يوصل فهو: ذو الرحم، والرحم الواجب عند الله صلته. ثم ذكر من بعد الصلة للرحم: ما يرضى من الصبر - ابتغاء وجهه سبحانه - على المكاره، والكظم على الغيض، والإنفاق سرا وعلانية، وأن يدرءوا بالحسنة السيئة من ذوي الرحم وغيرهم؛ فلا يجازوا من أساء بإساءته.

ثم أخبر تعالى: أن لهم عقبى الدار، وهو: ثوابه جل جلاله للأبرار، فقال: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾؛ فأخبر: أنه لا يلحق بهم مع رضاه عنهم من الآباء والأزواج والذرية إلا من عمل من الصلاح والصالحات مثل عملهم.

ثم أخبر عن الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، وهي صلة الرحم: أن عليهم بقطيعة الرحم والفساد في الأرض – اللعنة، ولهم سوء الدار، وهو عذاب النار؛ نعوذ بالله ونستجيره منها، ونسأله العون على ما يبعدنا من تقواه عنها.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)﴾ [الرعد:٣١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سُئِل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾، ثم قال: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾، فقلت: ما معنى هذا، وهو لا يجري في نظمه؟

فأما قول ذي الجلال: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ فإنما يريد: لو أنا جعلنا قرآنا تسير به الجبال المرسية، أو تقطع به الأرض المدحية، أو تنطق به الجثث الفانية، والمتمزقة في الأجداث البالية -لكان هذا القرآن، الذي نزله الرحمن، على محمد المصطفى، وأمينه المرتضي؛ فطرح سبحانه:" لكان هذا القرآن "؛ لعلمه بفهم المخاطبين بما نزل في القرآن المبين، إذ كان في لغة العرب الذي نزل عليها، وجعل وحيا باقيا أبدا فيها؛ وشأن العرب أبدا الاختصار فيما تنصه وتذكره من الأخبار، ومثل هذا وشبهه فموجود في كتاب الله ووحيه؛ من ذلك قوله: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾، فقال:" العجل "، والعجل القلوب لا تشربه، وإنما أراد سبحانه: إجلاله وحبه؛ أراد: وأشربوا في قلوبهم حب العجل، فطرح للاختصار، وعلم المخاطب:" الحب "، وأثبت:" العجل "، وقال في ذلك الشاعر:

ألا إنني سقيت أسود حالكا... ألا بجلي من ذا الشراب ألا بجل[1]

فقال:" سقيت أسود حالكا "، والأسود لا يشرب، وإنما أراد: سقيت سم أسود حالكا؛ وهذا فكثير في اللسان، موجود في اللغة والبيان، وفي غير ذلك ما نزل الله من القرآن، وعلى ذلك مخرج قول الله: ﴿أو كلم به الموتى﴾، ثم ابتدأ فأخبر: أن له الأمر جميعا في كل الأشياء؛ إظهارا منه لقدرته، واحتجاجا على بريته، وتثبيتا فيهم لحجته.

وأما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَس الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد:٣١] -فقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾، فقلت: ما معنى: ﴿ييأس﴾ هاهنا؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: يقول: ألم توقنوا؛ وذلك جائز في لغة العرب؛ لأنها نقلت أشياء في كلامها، وتصرفها إلى ضدها من الكلام؛ قال الشاعر:

ألم يأيس الأقوام أني أنا ابنه ... وإن كنت عن أرض العشيرة فائيا

وقال حريث بن جابر، وكان من رجال أمير المؤمنين صلوات الله عليه بصفين:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تأيسوا أني حريث بن جابر

يريد: ألم توقنوا.

---

(١) هكذا في النسخة المنقول منها، وهو في مقاييس اللغة لابن فارس وغيره :
أَلَا إِنَّنِي سُقِّيْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا... أَلَا بَجَلِيَّ مِنْ الشَّرَابِ ألا بَجَلْ
والبيت لطرفة، وبجيلة: قبيلةٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[الرعد:٤١]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد اللّه بن حمزة عليه السلام:

المعقب هو: الذي يتعقبه بنقض، أو تغيير.

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[إبراهيم:٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، بعد ذكره للآية:

هذا إبلاغ منه سبحانه بالحجة على عباده: أن يأمر إليهم رسولا على لسانهم؛ لئلا تكون لهم حجة، بقولهم: إنا لا نفهم قولك؛ فجعله بلسانهم، مع أن ذلك لم ينجع في أهل الضلالة منهم؛ بل حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ما نفقه كثيرا مما تقول﴾.

(إلى أن قال:)

فأما قوله تعالى: ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ فالمراد بذلك: أنه لما جاء رسول الله بلسانهم، وردوا عليه أمره -شاء تعذيب المكذبين منهم، وإثابة المصدقين، وذلك مستقيم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾[إبراهيم:٧]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد أن ذكر الآية:

يقول سبحانه: ﴿تأذن ربكم﴾، يريد: حكم ربكم: لئن شكرتموني، فعملتم بطاعتي، واتبعتم مرضاتي -لأزيدنكم من فضلي، ولأضاعفن لكم ثوابي، ولئن

كفرتم نعمتي، وعصيتم أمري، وعندتم عن طاعتي -لأعذبكم عذابا شديدا.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[إبراهيم:٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾؟

فهو: عضهم على الأيدي بأسنانهم، وهو شيء يفعله المغتاظ، إذا غضب أو اغتاظ، ويفعله أيضا المتحير المتفكر، إذا التبس عليه ما يفكر فيه وينظر.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾[إبراهيم: ٢٢]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

قال الناصر الحسن عليه السلام : حدثنا بشر بن عبدالوهاب، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان الثوري، عن رجل، عن الحسن في قوله: ﴿ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾: إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيبا على منبر من نار، فقال: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾، قال سفيان: معنى ﴿ما أنا

بمصرخكم﴾، أي: بناصركم، ﴿وما أنتم بمصرخي﴾، أي : بناصري، ﴿إني كفرت بما أشركتموني من قبل﴾، أي : بطاعتكم إياي في الدنيا... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾ [إبراهيم: ٢٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾؟

فقال: هم: قوم أنعم الله عليهم وكفروا، أنعم الله ولم يشكروه، وبدلوا مكان الشكر كفرا؛ فأتبعهم بكفرهم على ذلك، فهلكوا كلهم بأسباب رؤسائهم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

يقول: بدلوا ما أنعم الله به عليهم من إرسال الرسل، والدعاء والدلالة على الخير -كفرا بذلك، أي: جحدوا به، ودعوا الناس إلى المعصية والكفر به،...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)﴾[إبراهيم:٣٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام ما لفظه:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿أضللن﴾: يعني: الأصنام التي اعتكف عليها الجهال، واتخذوها آلهة من دون الرحمن عز وجل، وجهلوا في فعلهم، وتبعوا فعل من مضى من أسلافهم، من أهل الجهل والعمى، والميل عن طريق الهدى. ثم قال عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنه مني﴾، يقول: على ملتي وديني، ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾، أراد بقوله: ﴿غفور رحيم﴾: صفة الله سبحانه بالمغفرة والرحمة، والرأفة والمنة، على من تاب إليه، راجعا عن معصيته، تائبا من ذنبه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[إبراهيم: ٤٨]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾؟

تأويل ﴿تبدل﴾ هو: تغير؛ وتغييرها هو: نسف ما على وجهها من الجبال، وبعثرة ما فيها من القبور - وبعثرة القبور فهو: إخراج ما فيها من الموتى، وردهم بعد الفناء أجساما وأحياء -، وتسوية تفاوتها، ودكها دكا، كما قال الله العلي الأعلى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾... إلى آخر الآية، وتبديل حالها: تسوية خلقها، وعدل متفاوتها، وقشع أوساخها، وتجديد بهجتها، واستواء أقطارها، حتى تكون الأرض مستوية فيحآء (١)، معتدلة الأرجاء، لا تفاوت فيها ولا اختلاف؛ بل تكون في ذلك اليوم كلها على غاية الاستواء والائتلاف، لا يرى شيء من آلة الدنيا فيها، ولا أثر فعل من أفاعيل الدهر

---

(١) - أي واسعة، والفيح يتردد بين انتشار الرائحة، وغليان الشيء، وإهراقه، واتساعه؛ كما في (القاموس المحيط)، وقال:" والفَيْحاءُ : الواسِعَةُ من الدُّورِ ".

عليها؛ فهذا: تبديلها وتغييرها. وكذلك تبديل السماوات فهو: رد الله لها إلى ما كانت عليه في الابتداء، ثم يردها على ما هي عليه اليوم من الاستواء، من بعد أن تصير كالمهل؛ والمهل فهو: شيء يكون كالدهن، يخرج من صفو القطران؛ فذكر الرحمن: أنها تكون في يوم الدين كالمهل السائل، بعد التجسم الهائل، وهو قوله: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾[الدخان: ١٠]، يريد: أنها تعود إلى ما كانت عليه من الدخان، ثم ترد السماوات مطبقات، كما خلقت من الدخان أولا، سماوات مقدرات مجعولات؛ تبيينا منه سبحانه لقدرته، وإظهارا لنفاذ أمره، فيما افتطره من فطرته؛ فهذا معنى: ما ذكره الله من تبديل الأرض والسماء؛ لا أنه يذهب بهما، ويخلق سواهما من غيرهما؛ وإنما تبديله لهما وتغييره: نقلهما من حال إلى حال، والأصل واحد مستقيم، غير فان ولا معدوم؛ مثل ذلك مثل خلخال من ذهب أو فضة كسر، فصير خلخالا أوسع منه قدرا، فكان قد بدلت خلقته، وغيرت صيغته، ونقلت حالته من حال إلى حال، ومن مثال إلى مثال؛ فبدل تصويره، وأصل فضته ثابت لم يبدل ولم يغير، وإنما غير منها خلقها وتقديرها، وصورتها وتمثيلها، والأصل ثابت قائم، موجود من العدم سالم.

وكذلك تبديل ما يبدل من الحديد: فيكون أولا سيفا، ثم يرد خنجرا، ثم يجعل الخنجر سكينا، ثم تنقل السكين، فتجعل أوتادا وسككا، وهو: ينقل من حال إلى حال، وهو الحديد الأول، لم يتغير ولم يبدل، وإنما التغيير منه: تصاويره وتقاديره، ونقل أحواله ومقاديره؛ فهو الحديد الثابت، يجعل مرة سيفا كما ذكرنا، ويقلب ثانية صنفا من الصنوف التي ذكرنا، فهو وإن تغيرت أحواله، واختلفت مجعولاته -فهي الحديدة المعروفة، الأولة الأصلية المفهومة.

وكذلك ما ذكر رب العالمين، في تبديل السموات والأرضين -فهو: نقله لهما من حالة في التصوير إلى حالة، ومن صفة في التقدير إلى صفة، وهن في أصلهن اللواتي كن، لم يبدل أصلهن ولم يحل، ولم ينقل عما كان ولم يزل؛ فافهم ما أجبناك

به فيما عنه سألت، وفسرناه لك فيما شرحت وقلت.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الحادية عشرة: عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾: ما معنى التبديل؟

الجواب عن ذلك: أن معنى التبديل عندنا: أن تنتقض بنيتها، وتبنى بنية أخرى، على شكل آخر وصورة، وفي الحديث: ((أنها تبدل بأرض بيضاء كالفضة، لم يعص الله على ظهرها))، وفي غريب الحديث: كقرصة النقي.

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)﴾[الحجر:٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾، قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : هذا – والله اعلم – عندما يرى الكافرون، من نصر الله لنبيه وللمؤمنين، وإظهاره له على أعدائه، وتمكين ما جاء به من الدين؛ فربما ودوا وتمنوا حينئذ أن يكونوا مسلمين، ثم تأباهم غوايتهم وشقاوتهم، إلا إتباع ما جرى من الضلال عليه آباؤهم .

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾[الحجر:١٢، ١٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾؟

فهو: يدخله ويثبته في قلوبهم، حتى يوقنوا به؛ ويثبته في قلوبهم فهو: بالحجج النيرة البالغة، التي نزلها مع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى يثبت بها الحق عليهم، وتشهد عقولهم أنه حق، فإذا كابروا بعد ثبات الحق نزل بهم العذاب؛ وذلك قوله

سبحانه: ﴿لا يؤمنون به﴾، وأما قوله: ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ فهو: منهاجهم وسبيلهم؛ والمعنى الذي هلكوا به فهو: التكذيب بآيات الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)﴾[الحجر:٢١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾؟

معنى ذلك: أنه ليس من شيء إلا وهو مقتدر عليه، يفعل ما يشاء، ويبسط للخلق من أرزاقه كلما يريد، وأنه لا يعجزه ولا يمتنع منه شيء، وعنده أصل كل شيء وفرعه، والإمداد لمن يشاء بما شاء، وأن لو شاء لبسط للخلق كلما يحبون، وأعطاهم أضعاف ما يريدون؛ لكنه سبحانه ينزل بقدر معلوم في الحكمة، والتقدير الحسن الذي لا يصلح لخلقه غيره، ولا ينفع فيهم ولا يغنيهم سواه، ولا يلزم عنهم كل اللزوم، فيهلكوا ويموتوا، ولا يبسط لهم كل البسط فيأشروا ويفسدوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾[الحجر:٢٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء

فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿أرسلنا الرياح﴾: فرفعت السحاب وأقلته؛ ومعنى ﴿لواقح﴾ فهي: القوية ذات السلطان الشديد، المنفذة ما تريد، والعرب تسمى كلما نفذ: لقاحا، تقول:" لقد ألقح فلان ما يريد "، أي: أنفذه وأمضاه؛ فلما أن كانت السحاب منفذة لما أمرت به -سميت: لواقح. ومعنى قوله ﴿بخازنين﴾، أي يريد: لستم له بحافظين، ولا ممسكين في الأرض، ولولا لزوم الله له، وإثباته إياه في الأرض، وخزنه إياه لكم في طينها -إذا لأصبح غورا، ولما وجد إذا في الأرض منه شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦)﴾ [الحجر: ٢٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦) والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧)﴾؟

فقال: الصلصال هو: الطين اليابس، الذي يتصلصل ويتقعقع إذا أصاب بعضه بعضا. والحمأ المسنون فهو: الطين المتغير اللون والريح، يقول سبحانه: ﴿خلقنا الإنسان من طين﴾؛ هذه خلقته. وأما الجان فهم: الجن؛ فذكر سبحانه: أنه خلقهم من نار السموم؛ ونار السموم فهي: مارج النار، ومارجها فهو: اللهب المنقطع في الهواء، الذي ينفصل ويخرج من لسان النار عند تأججها. ومعنى قوله: ﴿السموم﴾ فهو: الهائل المسموم، والمسموم فهو: الذي فيه التلف لمن قاربه وداناه؛ لما فيه من الحر والإحراق؛ ومن ذلك اشتق للريح التي تضرب

بمثل النار: اسم السموم، فسميت سموما، اشتق لها الاسم، من نار السموم؛ لما فيها من الأذى، والحرارة والقذى، حتى ربما قتلت من تصيبه هذه الريح: ريح السموم، فأهلكته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾[الحجر:٤٢]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه من: قول الله عز وجل لإبليس: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾، ومن قوله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)﴾[النحل]، وعن قول إبليس حين قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣)﴾، فقال: ما هذا السلطان الذي ليس للشيطان على المؤمنين؟ فتوهم لجهله، وسوء نظره وعلمه: أن الله تبارك وتعالى حال بين إبليس وبين بعض العباد حولا، ومنعه من الوسوسة لهم منعا، وقسرهم عنه قسرا.

وليس ذلك كما قال؛ ألا تسمع ما ذكر الله عن آدم وزوجه، وكيف كانت وسوسته لهما، حتى أوقعهما فيه، وكذلك اعترض لعيسى بن مريم، حتى دحره، ولم يطمعه في شيء مما ذكره، ولغيرهما من الأنبياء والمؤمنين؛ فلو منعه الله من أحد من المؤمنين منعا، وقسره عن الوسوسة له قسرا -لكان ذلك لأبيهم آدم صلى الله عليه؛ ولكنه سبحانه منعه من ذلك بالنهي له، والزجر عما هو عليه من إغوائه، وعاقبه عليه، وأعد له النار والعذاب فيه، فقال: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٩].

فأما السلطان الذي ذكر الله عز وجل أنه ليس له على المؤمنين، في قوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ -فهو: ما علم من المؤمنين، من طرده ودحره، وترك طاعته في وسوسته وأمره، وأنهم لا يجعلون له عليهم سلطانا بشيء من الطاعة له، من العصيان لربهم، وأنهم لا يزالون مؤثرين لطاعة الرحمن، محترسين من الشيطان بتلاوة القرآن، والاعتصام بذي الجلال المنان؛ فهم أبدا لله مراقبون، وفي طاعته ساعون، وللشيطان اللعين معادون، كما أمرهم ربهم حين يقول: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾[فاطر:٦]، وفي كل ما أمرهم به مخالفون؛ فأولئك هم المهتدون، الذين على ربهم يتوكلون؛ فليس له على هؤلاء سلطان، وإنما سلطانه على الذين يتولونه، والذين هم به مشركون. وكذلك سلطانه على أوليائه، وهو: دعاؤه لهم، وإغواؤه إياهم، وقبولهم منه، ومثابرتهم عليه، فلما أن قبلوا منه ولم يعصوه -كانت طاعتهم له: السلطان له عليهم إذ أطاعوه، وفي دعائه اتبعوه. تم جواب مسألته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾[الحجر:٧٥، ٧٦، ٧٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام ما لفظه:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: تأويل هذه الآية في أولها، وهو الشاهد على آخرها، قوله سبحانه: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)﴾، وهي: القرية التي عصى الله أهلها، وكذبوا نبيه، فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل كما ذكر، فأهلكهم بها، وطحنت الحجارة دورهم، وغيرت ما كان من

حالهم. ثم قال سبحانه: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥)﴾، فأخبر: أن ما كان من فعله عز وجل بهم، وإمطار الحجارة عليهم -آيات للمتوسمين؛ والمتوسمون فهم: ذوو العقول والفكر والتمييز؛ لأن العرب تسمي المتوسم: ما تفكر فيه وتبين وعرف، فتقول :" توسمت فيه الخير "، وتقول:" توسمت فيه الشر "، فقال عز وجل: إن في ما فعلت بهؤلاء المبطلين -لآيات لمن عقل وفكر وميز من المتوسمين الناظرين. ثم قال: ﴿وإنها لبسبيل مقيم (٧٦)﴾، والسبيل: فهو الطريق، وهي: قرية على طريق الشام، يختلف الناس عليها من الشام إلى الحرمين، ويرون فيها من آثار عقوبة الله سبحانه، وما نزل بها من الخراب والدمار؛ فحذر الله سبحانه مشركي قريش: من قد رأى تلك الدار، واختلف عليها -ما نزل بأهل البلد وبها، عند عصيانهم الله سبحانه. ثم قال: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)﴾، معنى " آية للمؤمنين ": أي: عبرة وتحذيرا للمؤمنين؛ لأن أهل الإيمان لهم قلوب خاشعة، ونفوس إلى الله مقبلة، فذكر الله عز وجل أنهم يعتبرون بها، ويتفكرون فيما نزل بأهلها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨)﴾[الحجر:٧٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الأيكة: اسم من أسماء الشجر، إذا عظمت الشجرة، فجازت إلى الغاية من العظم، التي هي في الكبر النهاية، فقيل لها : الأيكة؛ فيشبه - والله أعلم -: أن تكون هذه الأيكة من الشجر، كان يعبدها قوم شعيب صلى الله عليه، كما يعبدون الأصنام التي ينحتون من الشجر، وقد قال بعض المفسرين: إن الأيكة: اسم القرية التي كانوا يسكنون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩)﴾[الحجر:٧٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألني عن: قول الله سبحانه: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾؟

فقلت: هما: قريتان أهلكتا ودمرتا؛ لما طغتا وعصتا، فكانتا على طريق قريش في الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف؛ والإمام فهو: الطريق الواضح، والأعلام التي يستدل بها على مسالكهما ومياههما، فذكر الله أمرهما احتجاجا على من خالفه، ممن يفعل كفعلهما من عصيان ربه، ومخالفة خالقه، فقال: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾: ترونهما، وترون في كل رحلة آثار قدرتنا عليهما، وأخذنا لهما بما كان منهما، من البغي والعصيان، من مثل ما أنتم عليه من مخالفة الرحمن.

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾[الحجر:٩٠، ٩١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠)﴾، يريد: أنا ننزل بهؤلاء من اللعنة والفضيحة، والحكم بالكفر والوعيد بالنار في الآخرة، من بعد الهتك لهم في الدنيا -مثل ما أنزلنا بالمقتسمين، فقامت " على " مقام: الباء؛ و" المقتسمين " فهم: الذين كانوا يقتسمون بالأزلام، من قريش وأتباعها؛ وهؤلاء الذين مثلوا بالمقتسمين فهم: من عصى الله ورسوله، وبغى وطغى، ممن عصى بعد أولئك

وأساء، واجترأ على الله ورسوله، واستهزأ بدينه؛ وأحسب - والله أعلم -: أنهم النفر الذين استهزءوا بأمر الله وبرسوله في غزوة تبوك، وقالوا: ﴿إنما كنا نخوض ونلعب﴾[التوبة: ٦٥]، فأكذبهم الله، وأنزل فيهم: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾[التوبة:٧٣]، فدعاهم بذلك: كافرين.

ومعنى قوله: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين (٩١)﴾ -فهي: كلمة كانت قريش تقولها، وتهزءوا فيها بالنبي صلى الله عليه وآله وبالقرآن؛ كانوا إذا قرأ عليهم القرآن ووعظهم -قالوا: يعضنا بقراءته، فيقلبون الظاء: ضادا؛ استهزاء وعبثا، وجرأة على الله وكفرا؛ فأخبر الله سبحانه بما أنزل عليهم وفيهم، من السخط والغضب، وأبدا من فضيحتهم، وأطلع عليه نبيهم من سرهم، وأنزل فيهم هذا العيب في القرآن؛ فهذا معنى قوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠)﴾.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾، فقلت: ما تفسير ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هم: نفر من قريش، كانوا يقولون إذ قرأ رسول الله عليه وآله السلام عليهم القرآن:" يعضنا "، وكانوا يقولون:" هذا عضين "، يريدون: هذه عظة، فيستهزؤون بالقرآن، ويجعلون الظاء: ضادا، ويزيدون فيها: الياء، والنون؛ استهزاء منهم واستخفافا، بما جاء به خاتم النبيين عليه وآله السلام.

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل:٩]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وعلى الله قصد السبيل ومها جائر﴾، فقلت: كيف يكون من سبل الله شيء جائر؟

قال عليه السلام: إن سبل الله جل ثناؤه ليست بجائرة، ولا منها شيء جائر؛ وإنما عنى الله تبارك وتعالى: أن من الخلق من يجور عنها بظلمهم واختيارهم، فالجور منهم هم عن سبيل الله عز وجل، ولم يجعل تبارك وتعالى شيئا من سبله جائرا ولا غامضا.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾[النحل:١٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

العلامات وهي: الدلالات من كل شيء، من الاهتداء، دليل على الله، أو دليل على دين الله، أو دليل على سبيل من السبل. ﴿وبالنجم هم يهتدون (١٦)﴾، والنجم هو: النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر، والطرق والسبل، ومن الاهتداء بالنجوم أيضا هو: الاهتداء إلى معرفة الله تبارك وتعالى، بما في

النجوم من أثر صنعه، والدليل على قدرته ووحدانيته.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)﴾[النحل:٢٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام ما لفظه:

هذا إخبار من الله سبحانه: أن كل ما يعبد الكافرون من دونه -لا يخلقون شيئا، والله خالقه، وخالق من عبده؛ فيخبر سبحانه: بضعف من كان كذلك وضلاله؛ إذ هو يعبد مخلوقا مثله، ويترك عبادة الخالق الذي ليس كمثله شيء.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

يعني: أتاهم أمر الله سبحانه وعقابه، وأخذه وعذابه -من حيث لم يحتسبوا؛ وإتيان الله سبحانه: إتيان أمره وقدرته، وحكمه وسلطانه وقوته، لا بالانتقال والزوال؛ لأن الزائل مدبر محتاج إلى الانتقال؛ لولا حاجته إلى الزوال لم يزل، والله جل وتقدس أجل وأعلى وأقدر من أن يزول أو ينتقل؛ ولهذا نفى الموحدون عن الله سبحانه الزوال والانتقال.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم﴾ [النحل:٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل (الذين تتوفهم الملائكة ظالمي أنفسهم فالقوا السلم ما كنا

نعمل من سوء)

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا ومثله، وما كان نظيرا له، من جحد الظالمين، المستبينين لظلمهم وإساءتهم في الدنيا، عند معاينة الملائكة ووفاتهم، وفي الآخرة إنما هو: عند عظيم ما يعاينون، وحل بهم، ويطلعون عليه، مما أعد الله من العقوبة لهم، فيطيش منهم عند ذلك الروع والأحلام، ويختلط عند الفزع منهم العقول، فيختلطون في الكلام، ويجحدون الإساءة؛ لما يعاينه المسيء من النكال ويراه، كما يجحد المملوك من الآدميين في دار الدنيا عظيم ذنبه؛ لما يخاف ويحل من كبير العقوبة، وإن لم ينفعه الجحد؛ روعا وفزعا واختلاطا؛ لعظيم ما يعاين وانقطاعا.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾؟

الجواب في ذلك: أن الله سبحانه قد هدى كل الخلق إلى الهدى المبتدأ؛ فمنهم: من قبل الهدى، فحقت له على الله سبحانه الزيادة في هدايته، والتوفيق والتسديد في أفعاله، ومنهم: من أبى الهدى، فحق عليه الضلال بفعله، ووجب عليه الخذلان بكسب يده، حتى حق عليه الخذلان من ربه؛ فالخذلان من الله تبارك وتعالى نازل به، والضلال فمن نفسه، لا من ربه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾[النحل:٣٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

معناه: إن تحرص على ثوابهم، فإن الله سبحانه: لا يثيب من يعذب؛ لأنه لا يعذب إلا من يستحق العقاب...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)﴾[النحل:٤٠]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، بعد ذكره للآية ما لفظه:

يقول: إذا كوناه كان بلا كلفة ولا اضطراب، ولا تحيل ولا إضمار ولا تفكر، ولا تتقدم إرادته فعله، ولا فعله إرادته؛ بل إرادته للشيء: إيجاده وكونه، وإذا أراده فقد كونه، وإذا كونه فقد أراده، لا وقت (١) بين إرادته للشيء وكونه.

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)﴾[النحل:٤٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، وإنما أمر الله عز وجل بمسألتهم؛ لأن عندهم ما يسألون عنه؛ فجعل الله عز وجل عند محمد صلى الله عليه وآله وسلم علم القرآن، وجعله ذكرا له، وجعل الله علمه عند أهل بيته، وجعله ذكرا لهم، فمحمد وآل محمد هم أهل الذكر، وهم المسؤولون المبينون

(١) - في نسخة: لا فرق.

للناس؛ قال: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس﴾[النحل: ٤٤]، وأخبر الله عز وجل أن أهله سيسألون من بعده، فقال: ﴿وسوف تسألون﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ فجعل عندهم علم القرآن، وأمر الناس بمسألتهم، وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، والذكر: هو القرآن، وقال: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤]، ولم يأمر المسلمين: أن يسألوا اليهود والنصارى؛ وكيف يأمر الله أن نسأل اليهود والنصارى؟! أو ينبغي لنا أن نصدقهم إذا قالوا؟! لأنا إذا سألناهم جعلوا اليهودية والنصرانية خيرا من الإسلام، فلم يكن الله ليأمرنا بمسألتهم، ثم ينهانا عن تصديقهم؛ إنما أمرنا أن نسأل الذين يعلمون، ثم أمرنا أن نصدقهم ونطيعهم؛ فمن كذب آل محمد في شيء وضللهم فإنما يكذب الله؛ لأن الله قد اصطفاهم وأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾[النحل:٤٣، الأنبياء:٧]، ومن هم ؟

فقال: أهل العلم والفقه، وقال: وأهل الذكر: من نزل عليه كتبه، من بني إسرائيل.

وقال في موضع آخر في سياق كلام:

وفرض الله اتباع العلماء، فقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[النحل: ٤٣، الأنبياء:٧]، وسمى الله رسوله: ذكرا، فقال: ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا﴾[الطلاق: ١٠]، فأهل بيته المصطفون الطاهرون العلماء -هم الذين أوجب الله سبحانه أن يسألوا، وأن يكونوا متبوعين غير تابعين...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، في سياق كلام عن علم أهل البيت عليهم السلام:

وكذلك قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون(٤٣)﴾، انعقد إجماعهم وهو حجة أنهم المرادون بذلك، ودليله ظاهر في الكتاب، في قوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله﴾[الطلاق:١٠، ١١] ، فسمى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: ذكرا؛ ولا خلاف في أنهم: أهله.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)﴾[النحل:٤٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

هذا إخبار من الله سبحانه عن عظيم الآية التي جعل، وكثير دلائله التي أنزل في الظلال، من تفيئها بالغدو والآصال؛ فيكون القمر [1] بالغدو: شرقا، وبالعشي: غربا، يتقلب بقدرة الله فيما جعل [2]؛ من مسير الشمس في فلكها، وتقلبها بقدرة الله في حورها. ومعنى ﴿سجدا﴾ فهو: مسجدا لمن اعتبر من المؤمنين، وعقل ما فيه من آيات رب العالمين؛ وقد تقدم شرح سجود الأشياء في غير هذه المسألة. ومعنى داخرين فهو: صاغرون مضطرون، بما في الذي أسجدهم من الحجج لله والدلائل عليه، لا يجدون بدا من الإقرار به والمعرفة له.

(١) – هكذا في النسخ، ولعل بدل:" القمر ":" الشمس "؛ ليستقيم الكلام؛ تأمل.

(٢) – في نسخة: وبما جعل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[النحل:٦٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون (٦٧)﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالىٰ عما رزقهم من ثمرات الأشجار، الذي يتخذون منه الأرزاق ويدخرونها، من التمر والزبيب، وغير ذلك من الحبوب، التي تبقي معيشة لهم وحياة، ويتخذون منها أيضا السكر الذي نهاهم عنه، وحرمه عليهم؛ فوقفهم هاهنا في هذه الآية علىٰ كفر من فعل ذلك لنعمه؛ إذ صرفوا رزقه في السكر الذي حرمه، ثم أخبر أن فيما جعل وفعلوا من حسن رزقه لهم، وجميل فعله بهم، وإيجاده لهم سكرا، و صرفهم له عن الطاعة إلىٰ المعصية -لآية لقوم يعقلون.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

وأما قوله: ﴿تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾: فليس هذا بأمر ولا إباحة، وإنما هو إخبار من الله تعالىٰ بفعلهم: أنهم يتخذون مما أخرج لهم من الأرض حراما وحلالا. والرزق الحسن هو: الحلال، مثل: الزبيب والخل وشبهه؛ ومثل ذلك كثير في الكتاب، كقوله تعالىٰ: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾[النساء:٧٦]؛ فهذا إخبار من الله، وليس هذا الإخبار يوجب الأمر والإباحة. وقد قيل: إن السكر هو: حبس الشيء. ويقال:" سكر النهر " إذا سده، وقال الله تعالىٰ: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم

مسحورون﴾[الحجر: ١٤، ١٥]، فصح أن السكر هو: المنع، والحبس.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي﴾[النحل:٦٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته: عن: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي﴾؟

فقد يكون الإيحاء: إلهاما، ويكون الإيحاء من الوحي كلاما، ويكون الإلهام تعريفا وفطرة، ويكون الكلام تعليما وتذكرة، وأي ذلك كان فعلم وبيان، لا ينكره ولا يدفعه بالله مقر، ولا يأباه إلا ملحد في الله متكبر، لا ينكر - صاغرا وإن كابر بالإنكار - في أن للنحل وأشباهه احتيالا، وأن لها صنعا محكما وأعمالا، فيما يرى من شهدها، وعجيب ما فيه من عقدها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾[النحل: ٦٨، ٦٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾، إلى قوله: ﴿سبل ربك ذللا﴾، قال: كيف كان وحيه إليها؟

فقلت له: الوحي يخرج على وجوه أربعة، منهن: وحي إلهام وإلقاء في القلوب، من ذي الجلال والإكرام، مثل ما ذكر عن النبي عليه السلام: أنه سأل جبريل الروح الأمين، فقال: ((كيف تأخذ الوحي من رب العالمين؟ قال: آخذه

من إسرافيل، قال: فكيف يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه، قال: فكيف يأخذه الملك؟ قال: يلقى في قلبه إلقاء، ويلهمه إلهاما، وعلى ذلك يخرج معنى الوحي إلى النحل: ألهمها إلهاما ما ذكر أنه القاه إليها.

والمعنى الثاني: فوحيه إلى أنبيائه المصطفين، بالمشافهة والمكالمة لهم من الملائكة المقربين، وذلك قوله: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾، إلى قوله: ﴿داود زبورا﴾.

والوجه الثالث فهو: الجعل والتقدير، للصلاح والتدبير؛ وذلك قوله: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾... إلى آخر الآية.

والوجه الرابع: فوحي الله عز وجل في ما يراه الأنبياء عليهم السلام في منامهم، من ذلك قول إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾، فكان في ذلك وحي من الله وأمر، والدليل على ذلك قول إسماعيل: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾، فدل بذلك على أنه وحي من الله وأمر.

وما قيل وروي في وحي الله إلى أم موسى: أنه كان في المنام أورته، فإن يكن ذلك كذلك -فهو داخل في ذلك، وإن لم يكن ذلك كان من الله سبحانه إلهاما ألهمها إياه؛ فذلك ما نشك فيه؛ بأن الله على كل شيء قدير. ولا أحسب - والله أعلم - إلا أنه كان وحيا في منامها؛ لأنه عز وجل يقول: ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾[طه: ٣٩]، وهذا القول فلا يكون إلهاما؛ لأنه خبر وقصص وقول، وإنما يلهم من الأشياء ما كان فعلا يدرك بالعقول، ويميز بالمعقول.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾[النحل: ٧١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى: لانبساط رزقه لعباده، وتفضيل من فضل فيه بالسعة والاتساع، وأن الذين فضلوا بالرزق غير مستطيعين أن يرزقوا ما ملكت أيمانهم، ولا أن يردوا لهم خيرا، وأنهم في الرزق سواء المالك والمملوك، كلهم لا يقدر أن يرزق نفسه؛ إذ كانوا كلهم لا ينبتون زرعا، ولا يفلقون في الأرض، ولا ينزلون غيثا، ولا يخلقون أنعاما؛ فلما أن كانوا كذلك في الضعف عما ذكرنا -كان المالك والمملوك في اجتلاب الرزق إلى نفسه من دون الله -سواء.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾[النحل: ٧٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

هذا مثل ضربه الله لأهل الشك والارتياب، ممن كان يعبد الأصنام من دون الله؛ فأخبره الله: أن مثل ما هو فيه من الشك في الله، والعبادة لمن دون الله -كهذا المثل، وأن ما تعبدون من دون الله كهذا الضعيف الذي لا يقدر على شيء، وكذلك ضرب مثل هذا العبد الأبكم الذي لا يأتي بخير، فجعله شبها لأصنامهم التي يعبدونها من دون الله، وجعل الأمر بالعدل والحق مثلا للحق.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)﴾[النحل: ٨٠ -٨١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، في سياق جواب على ابن الحنفية:

إن معنى قوله جل جلاله: ﴿جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ هو كما قال سبحانه، هو الذي خلق الخشب والحجر، والماء والمدر؛ هو دلهم على ذلك، وهم بنوا وعملوا المساكن، وكل ما صنعوه من الأماكن، وهو جعل وخلق الأنعام وجلودها، وهم عملوها بيوتا، ولو لم يخلق الجلود لم يقدروا على عمل ما ذكر من البيوت، وكذلك لو لم يخلق الحجر، والخشب والمدر -لم يبنوا بيوتا يسكنونها، ولا دورا يأوونها، وكذلك السرابيل التي تقي الحر وقت الحر، وتقي القر وقت القر[1]، وكذلك سرابيل البأس، التي تقي وتحرز من الناس -فالله عز وجل أوجد حديدها، ودلهم

(١) - قال في القاموس المحيط: القُرُّ، بالضم: البَرْدُ، أو يُخَصُّ: بالشتاءِ.

على عملها، وهم تولوا فعلها وسردها، وتأليفها ونسجها.

وأما ما ذكر من قول الله جل ثناؤه: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ -فكذلك فعل عز وجل؛ فهو المتولي لذلك، لم يفعله غيره، وهو جاعله؛ فجعل من الأكنان -وقاء أوقى من البنيان، وجعل من الظلال؛ لما خلق من الأشجار وغيرها من الجبال -ما تبين فيه القدرة والمنة لذي الجلال؛ فما كان من فعل العباد -فخلاف أفعال ذي المنة والأياد، وما كان من فعل الرحمن -فخلاف فعل الإنسان، لا كما قال المتكمهون الجهال: الله سبحانه والعبد سواء في الأفعال؛ كذب المبطلون.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[النحل:٩٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾، قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : معنى ذلك: أنه يوقع اسم الضلال عليه، وينسبه إليه، ويدعوه به؛ فلما أن كان ذلك جاز أن يقول عز وجل: ﴿يضل من يشاء﴾، أي: بإيقاع اسم الضلال عليهم؛ فلما أن استوجبوا بفعلهم سماهم: ضالين؛ وهذا موجود في لغة العرب، إذا قال رجل لرجل:" يا ضال "، قال:" فلان ضللني "، ويقول السامع:" فلان ضلل فلانا "، ولم يضلله عن منهج ولا عن حجة، وإنما سماه: ضالا، فلما أن سماه ضالا -قال:" ضلله "؛ فعلى هذا يخرج معنى قوله سبحانه: ﴿يضل من يشاء﴾، أي: يوقع أمر الضلالة على من يستأهل ذلك بفعله، ويستوجبه بجرمه .

ولو كان الله عز وجل كما يقول الظالمون، ليقضي عليهم بالمعاصي قضاء حتم، ويقضي عليهم بالطاعة قضاء حتم، كما قضى عليهم بالخلق، فجعل منهم أسود

وأبيض، وأسمر وأصفر، وطويلا وقصيرا -ما ذمهم على معاصيهم، ولا عاقبهم على فعلهم، ولا حمدهم على إحسانهم، ولا على طاعتهم؛ إذ كان ذلك منه قضاء، كما لم يحمدهم ولم يعاقبهم على بياضهم وسوادهم، واختلاف ألوانهم؛ إذ ليس لهم فعل يذمون عليه، ولا يحمدون فيه؛ لأن المحمود مدخل في فعله، غير مخير[1] في نفسه؛ ولكن جعلهم سبحانه مخيرين في الطاعة والمعصية، ممكنين في الاستطاعة، وأبان لهم طريق النجاة، وأبان لهم طريق الهلكة، ثم قال: ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينه وإن الله لسميع عليم﴾، فعاقبهم على اختيارهم للمعصية، وأثابهم على اختيارهم للطاعة.

والشاهد على ما قلنا من تخييره لهم، وتركيبة الاستطاعة فيهم، وأنهم غير مضطرين ولا مقهورين -قول الله سبحانه: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾، فأخبر سبحانه: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فلو كانوا مجبورين مقضيا عليهم -ما استحبوا شيئا، ولا قدروا من بعد أن هداهم يستحبوا العمى؛ هذا كتاب الله عز وجل ينطق بخلاف ما قالت المجبرة، ومن ذلك ما قالت الجاهلية به مثل قول المجبرة، فسيبوا وبحروا وحموا [2]، وكان هذا فعلهم في إبلهم وغنمهم، فإذا كان منهم رجل غائبا -نذر إن رده الله أن يسيب بعض إبله، وكذلك في الحام: إذا ضرب في إبلهم الجمل، حتى يضرب معه أولاد أولاده -خلوه، وقالوا :" قد حمى ظهره".

فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يأخذوا إبلهم وغنمهم التي قد أرسلوها، وكانت قد أضرت بالناس، تشرب مياههم، وتكثر ضرهم، فقالوا: يا محمد، إن هذا أمر أمرنا الله به، وقضاه علينا، فلا نستحل أخذها. فأكذبهم الله عز

---

(١) - هكذا في النسخة المطبوعة، ولعل الجملةَ هي:" غَيْرُ مُجْبَرٍ في نفسه "؛ حتى يصح أن يكون علة لقوله:" إذ ليس لهم فِعْلٌ يُذَمُّونَ عليه، ولا يحمدون فيه "؛ تأمل.

(٢) - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

وجل فيما قالوا عليه، فقال: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾؛ فلو كانت أفعال العباد بقضاء من الله عز وجل، كما يقول الجاهل -ما أكذبهم الله فيما ادعوه عليه؛ ولكنهم مخيرون في أفعالهم، غير مجبورين على أعمالهم، فسبحان من لا يظلم العباد!! ولا يقضي عليهم أبدا بفساد!!

وقد يكون أيضا من الضلال: الخذلان، على ما يكون منهم من الجرأة والعصيان، فإذا كانوا كذلك وقع عليهم اسم الضلال، ولزمهم الخذلان؛ وليس هو سبحانه يجبرهم على معصية، ولا يخرجهم من طاعة، ولو كان ذلك كذلك لكان فعله لا فعلهم، وكانت إرادته لا إرادتهم، ولم يكن لهم في ذلك ذنب فيذمون عليه، ولا عمل فيعاقبون فيه؛ عز عن ذلك ذو العزة والسلطان؛ بل هو بريء من أفعال العباد، متعال عن الظلم والفساد؛ وكيف يقدر أحد أن ينسب معاصي العباد إلى الله سبحانه، وهو يقول في كتابه: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾؟! فلو كان التنزيل من الله عز وجل بقضاء عليهم -ما نسبه إليهم، ولا قال: ﴿بدلوا نعمت الله كفرا﴾، فلما أن كان الفعل لهم ذكرهم به، ونسبهم إليه، وفي ذلك ما يقول سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، فكان بدو النعم والإفضال من الله عليهم، وكان التغيير منهم لا منه؛ فذكر عز وجل: تغييرهم لما أنعم الله عليهم به، ولو كان منه لنسبه إلى نفسه، وما ذمهم على فعله؛ وفي ذلك ما يقول سبحانه: ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾؛ أفيقول الكذاب: لووا ألسنتهم به، وقضى عليهم بالكذب عليه، فإن قال بذلك قائل كان من الظالمين، ولعذاب الله من المستوجبين؛ لأن الله سبحانه ينفيه عن نفسه، وينسبه إليهم، والله يقول الحق،

ويأمر بالصدق، ويذم على الكذب، ويقول عز وجل: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾؛ فهذا قوله للمخلوقين، وذمه لهم على رميهم بخطاياهم المسلمين؛ فكيف يجوز على رب العالمين: أن يقضي على خلقه بقضاء، وينزل فيهم أمره وما يشاء، ثم ينسبه إليهم، ويحيله عليهم، ويعذبهم عليه، ويذمهم أشد الذم؟!

ومن ذلك ما يقول سبحانه: ﴿قل أرءيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾، فقال: ﴿جعلتم منه حراما وحلالا﴾؛ فلولا أن لهم فعلا قد تعدوا فيه -ما قال : ﴿جعلتم﴾، ولقال :" خلقت "، وما قال عز وجل: ﴿قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾؛ فأخبر تبارك وتعالى: بافترائهم عليه، ومخالفتهم له؛ فكيف يجوز لأحد من المسلمين: أن ينسب إلى الله أفعال الظالمين؟! فهو سبحانه يبرئ نفسه من ذلك في كتابه المستبين؛ فما يقول ببذلك إلا من كانت حاله كما قال الله: ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون﴾.

ولعمري: إن من اتبع المتشابه، وخلى المحكم -لكما قال الله سبحانه: ﴿يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾، وإن من تعلق بآية متشابهة، ثم فسرها بجهله، وقاسها بعقله -لبعيد الصواب، ناء عن الحق والجواب، يخبط أبدا في عشواء مظلمة، ويحكم الآيات المتشابهات على الأمهات المحكمات؛ ولقد أخبر الله عنهم، وعن ما يكون من فعلهم، فقال: ﴿يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾، والفتنة فهي: إهلاك المسلمين وتضليلهم، وتحييرهم عن الحق؛ فعابهم الله سبحانه بذلك.

الكتاب فإنما هو نور وبيان، وهدى وبرهان، يهدي به الله من الحيرة، وينقذ به من الهلكة، وليس من آية متشابهة إلا وفي كتاب الله تحتها آيات كثيرة محكمات،

ولها مفسرات، فأغفلوا المحكم، وطلبوا المتشابه: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، فأخبر سبحانه: أن له مترجمين، وبغامضه عالمين، ولحكمه مصيبين؛...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

أما قوله تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ فالمراد بذلك: يثيب من يشاء؛ وهو لا يشاء إثابة غير المطيع، ويعذب من يشاء؛ وهو لا يعذب إلا العاصي؛ وعلى ذلك يحمل قوله: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾[البقرة:٢٦]، معناه: يعذب به كثيرا، ويثيب به كثيرا، وكذلك يكون الحال في الآخرة، وإنما يعذبهم بذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾[العنكبوت:٤٠]، ويثيبهم على أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[الرحمن:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾[الكهف:١٧]، معناه: من أراد توفيقه وتسديده؛ لقبوله الهداية الأولى -فهو المهتدي حقا، ومن أضله عن طريق الجنة؛ عقوبة له على عصيانه في الدنيا -فلن تجد له وليا مرشدا، يدله إلى الجنة، ويدخله إياها...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾[النحل:١٠٠]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

قوله جل ذكره: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)﴾، معنى ذلك: أشركوا بالطاعة للشيطان الطاعة لله، ويؤكد البيان في ذلك - والله

مشكور -: قوله تعالى واصفا خطبة الشيطان يوم القيامة: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾، إلى قوله: ﴿إن الظالمين لهم عذاب اليم﴾؛ فتفهم أيها المرجئ المتبع هواه هذا البيان، من الله الرحمن: هل تجد هذا الشرك غير طاعة الشيطان، مع طاعة الله ذي النعمة والفضل والامتنان، التي كفر بها وتبرأ منها إلى الإنسان؟ أو هل تجدها شركا بعبادة نددة أو أوثان، أو ظلمة أو نيران، وإن كان ركوب ذلك، مع ركوب جميع الكبائر -داخلا في طاعة إبليس المغري الفتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)﴾[النحل:١٠٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين (١٠٣)﴾؟

فقال: كانت قريش ومن معهم من المشركين، يتكلمون في رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون: أن رجلا كان ينزل بالطائف، أعجمي اللسان، يعلم النبي صلى الله عليه وآله ما يأتي به عن الله؛ فأكذبهم الله، واحتج عليهم، وبين فضيحتهم بما ذكر من عجمة الذي يلحدون إليه أنه يعلم النبي؛ فلسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين، يقول: هذا القرآن الذي جاء به -والذكر- عن الله محمد صلى الله عليه وآله -بلسان العرب لا بلسان العجم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، في سياق جواب على ابن الحنفية:

أولم يسمع قول الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه، فيمن أكرهته قريش على الكفر والعصيان، ودعته إلى الخروج من الحق والإيمان، وصالت عليه بصولتها، وأذاقته ما قدرت عليه من أليم عقوبتها، حتى أعطاهم ما أرادوا بلسانه وقوله، وقلبه مخالف لما لفظ به من مقاله، مطمئن بالإيمان، مخالف لدين أهل العصيان، فقال في ذلك الرحمن: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولم عذاب عظيم﴾ [النحل: ١٠٦]، وكان الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان: عمار بن ياسر رحمة الله عليه، ذو المعرفة بالله والإيقان؛ فلا يشك مميز عاقل، ولا ينكر ما قلنا به جاهل، من أن الخلق يكره بعضهم بعضا، على القول والفعل لما لا يحب ويرضى، وإن كان ضمير القلوب مخالفا للكلام، وهذا موجود في لغة جميع الأنام؛ فأما علم الضمير فلا يطلع عليه إلا الواحد القدير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾[النحل:١١٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

يعني: من بعد ما عذبوا في الدنيا.

قوله تعالى:﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[النحل:١٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾، قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: السبت يوم موسى صلى الله عليه، الذي أمر أمته بإعظامه، وترك الأعمال فيه.

وقد ذكرت اليهود: أن في التوراة:" أن الله خلق الخلائق كلها في الأيام الستة، أولها: الأحد، آخرها: الجمعة، وأن يوم السبت كان يوما خاليا من أن يكون الله صنع فيه خلقا، فقدسه إذ خلقه يوما مفردا، بعد كمال ما خلق من خليقته، وأحدث هذا اليوم بعد كمال ما أظهر في غيره من حكمته، وجعله يوما مقدسا "، تأول فيه (١)، قالوا: لأنه كان يوم فراغ.

فإن يكن في التوراة على ما ذكروا ، فهو مثل نبهوا به وعبروا ؛ ليعلموا أن الله قد أتم ما أراد من خلقه في الستة أيام؛ أخبرنا على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرءان، فقال ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾؛ لأنه لما خلق في الستة الأيام التي قبل السبت ما خلق، وكان يوما فرغت فيه القدرة من تمام جميع الخلق، وتأصل الأقوات، وتقدير ما يتوالد من متناسل ذلك بعضه عن بعض، فيما بين السموات والأرض، إلى يوم القيامة والميقات -كان السبت خاليا، واسمه يدل أنه من خلق جميع الأشياء خلو خاليا.

ولذلك قيل للجلود التي لا شعر عليها : سبيتة. وسميت الجمعة بهذا الاسم؛ لأنها كانت آخر الأيام الستة، التي جمعت جميع ما بقي من الخليقة، وهي: آخر الأيام، ويقال: إن الساعة – والله أعلم – فيها تقام.

وجعل الله السبت يوما أمر موسى عليه السلام بتعظيمه، وأن يكون يوم راحة لكل مشتغل من أمته من عمله؛ ليذكروا بذلك عجيب ما أخبرهم الله عنه، من

(١) – الذي في النسخة المطبوعة:" وجله يوما مقدّسا تأول فيه "، ولعل الذي ضبطناه به هو المقصود.

تمام الخلق في الستة الأيام من قبل كونه، وإنما أمر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم – والله أعلم – للجمعة بالتبجيل والإعظام؛ لأنه خاتم النبيين، والجمعة خاتمة الأيام.

قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسأله ابنه أبو القاسم أعزه الله عن قول الله سبحانه: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، وعن قوله: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤)﴾[فصلت:٣٤]؟

فقال: يأمر نبيه عليه السلام: أن يدعوا إلى الله، وإلى الإيمان به وبكتبه ورسله؛ والسبيل: اتباع الحق، ﴿بالحكمة﴾، أي بالقول الحسن، ﴿والموعظة﴾، أي: بالتخفيف، و﴿الحسنة﴾ أي: الرفيقة، ﴿وجادلهم﴾، أي: في وقت المناظرة بالرفق، والقول الجميل. و﴿بالتي هي أحسن﴾: اللين في القول، وفي المخاطبة؛ فإنك إذا فعلت بهم ذلك –صار العدو لك مثل الولي. والولي: المحب؛ والحميم هو: القريب؛ يقول سبحانه: يصير عدوك مثل قريبك المحب لك إذا فعلت له الجميل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾[النحل:١٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير

للصابرين﴾، يريد عز وجل: أن لا تتعدوا بفعل لم يفعل بكم مثله؛ وهذه الآية التي استشهدناها فإنما نزلت في أمر حمزة رحمة الله عليه؛ وذلك أنه لما مثلت به قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم))، فأنزل الله سبحانه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، فقال عليه وآله السلام: ((بل أصبر، بل أصبر))، فصفح وطلب ما عند الله من الأجر والثواب.

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)﴾[الإسراء:٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

اعلم: أن القضاء في كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه:

قضاء بمعنى: الإخبار والإعلام، يحكيه قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾ [الإسراء:٤]، معناها: أخبرنا وأعلمنا.

وقضاء بمعنى: الأمر والإلزام، يحكيه قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء:٢٣].

وقضاء بمعنى: الخلق والتمام، يحكيه قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ [فصلت:١٢]، معناه: خلقهن وأتم خلقهن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)﴾[الإسراء: ٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

هذا إخبار من الله عز وجل لبني إسرائيل بما يكون، وما ينزل من النقم

بالظالمين منهم؛ ومعنى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ فهو: أول العذابين، وهي وقعة تنزل بهم، وما نال منهم، ومعنى: ﴿بعثنا﴾ هو: خلينا بينهم وبينكم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧)﴾[الإسراء: ٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، عند ذكره للآية:

هذا إخبار من الله بأن كل فعل كان من أحد من الخلق -فهو له وعليه، من خير أو شر لا يجوز ذلك نفسه، ولا يشركه فيه غيره؛ وأما قوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ فهو: آخر الميعادين، وهي: الكرة الثانية الآخرة من المرتين، وهو: فتح بيت المقدس الذي فتح بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، [فتحه علي عليه السلام]، فطرد الإسرائيليون الروم، وساؤوا وجوههم بذلك، ومعنى:" يتبروا ما علوا" فهو: يتبروا عزهم الذي بنوه، وجعلوه، وأسسوه.

قوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣)﴾[الإسراء: ١٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[الإسراء:١٣]؟

وطائره فهو: ما يلحقه وما يلزمه، من خيره وشره؛ فكله مكتوب محفوظ عليه، إذا لقي الله وصار إليه، كما قال الله سبحانه: ﴿نخرج له يوم القيامة كتابا

يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾[الإسراء: ١٥]

قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الأساس:

المعنى: ﴿وما كنا معذبين﴾ بعد استحقاق العذاب؛ بارتكاب القبائح العقلية؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾[الأنعام:١٣١]؛ فأخبر الله سبحانه: أنهم قد ارتكبوا القبح الذي هو الظلم، وهم غافلون عن السمع، حيث لم تبلغهم الرسل؛ فقال تعالى: ﴿حتى نبعث رسولا﴾ ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[النساء: ١٦٥]: بأن يقولوا: حصل العلم بالاستحقاق، ولم نجزم بالوقوع؛ لعدم معرفتهم لربهم، كمن يقتل نفسا على غفلة، فإنه يعلم أن القصاص مستحق عليه، ولا يجزم بوقوعه؛ لتجويز أن لا يطلع عليه أحد، فيقولون: لو أنذرنا منذر لأصلحنا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾[طه: ١٣٤]، ونظيره في الشرعيات: عدم جواز حد المرتد، حتى يدعى إلى التوبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[الإسراء: ١٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

سأل رجل زيدا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾، قال: يأمرهم بالفسق، وهو يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل:٩٠]؟

فقال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: ليس المعنى ما ذهبت إليه، أنت تريد مثل قولك:" أمرته فضرب زيدا "،" وأمرته فقام "؛ لأنك تأمر بضرب زيد والقيام، وليس هذا من ذلك؛ ولكنه يكون على معنيين:

أحدها: أمرنا مترفيهم بالطاعة، ففسقوا فيها، كقولك:" أمرتك فعصيتني "، أي: بالخير، وهي قراءة أبي عمرو على: الأمر.

وفيها معنى آخر، وهي قراءة أهلنا: ﴿أمرنا﴾: كثرنا، وقد قرأ بعض أهلنا: ﴿آمرنا﴾ ممدودا ، وقرأ بعضهم: ﴿أمرنا﴾ -مثقلة-، أي: سلطنا، وقد قال في معنى الكثرة: "أمر القوم يأمرون أمرا": كثروا، وفي مثل لهم:" ليس أمر أتى بأمر زائد (١) " وأنشد لبيد:

إن يغبطوا يهلكوا وإن أمروا ... يوما يصيروا للهاتك والنكر (٢).

وقال زهير:

والإثم من شر ما تطال به ... والبر كالغيث نبته أمر

---

(١) – هكذا في النسخة المطبوعة، وقال في كتاب تاج العروس شرح القاموس للزبيدي:" وأَمِرَ الشيْءُ كفَرِحَ أَمَراً وأَمَرَةً بالتَّحْرِيك فيهما : كَثُرَ وتَمَّ . وحَكَى ابنُ القَطَّاع فيه الضَّمَّ أيضاً قال المصنِّفُ في البَصائر : وأَمِرَ القَوْمُ كسَمِعَ : كَثُرُوا وذلك لأنّهم إذا كَثُرَوا صارُوا ذا أَمْرٍ مِن حيثُ إنّه لا بُدَّ لهم مِن سائِسٍ يَسُوسُهم فهو أَمِرٌ كفَرِحٍ قال : " أُمُّ عِيَالٍ ضَنْؤُهَا غيرُ أَمِرْ " . والاسمُ الإِمْرُ . وزَرْعٌ أَمِرٌ : كَثِيرٌ : عن اللِّحيانيّ . وقَرَأَ الحَسَنُ : " أَمِرْنَا مُتْرَفِيها " على مِثَالِ عَلِمْنَا قال ابنُ سِيدَه : وعَسَى أن تكونَ هذه لغةً ثالثةً وقال الأَعْشَى :
طَرِفُونَ ولادُون كلَّ مُبَارَكٍ ... أَمِرُونَ لا يَرِثُونَ سَهْمَ القُعْدُدِ .
ويقال : أَمَرَهم اللهُ فأَمِرُوا أي كَثُرُوا يقال : أَمِرَ الأَمْرُ يَأْمَرُ أَمَراً إذا اشتدَّ . والاسْمُ الإِمْرُ بالكسر . وتقولُ : العرب : الشَّرُّ أَمِرٌ
ومنه حديثُ أبي سُفْيَانَ : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشَةَ وارتَفَعَ شَأْنُه يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم . منه حديثُ ابنِ مسعود : كُنّا نقولُ في الجاهِلِيَّةِ : قد أَمِرَ بنو فلانٍ أي كَثُرُوا "

(٢) – في ديوان لبيد بن ربيعة العامري، وكذا في لسان العرب:
إنْ يُغبطُوا يُهبطُوا وإنْ أَمِرُوا ** يَوْماً يَصِيرُوا للهُلْكِ والنَّكَد.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

خص الله مترفيها بالذكر في الفسق، وإن كان كل أهلها فساقا في حكم الحق؛ لأن أهلها إنما هم: مترف أو جبار، أو مساكن لهم وجار، فكلهم فاسق عن أمر ربه، وكل فإنما أخذ بذنبه.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾؟

فقوله: ﴿وإذا أردنا أن نهلك﴾ فهو: إخبار منه أنه لا يريد إهلاك قرية إلا من بعد العصيان منها له، والمخالفة لأمره. وقوله: ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾، يقول: أمرناهم بالطاعة، فأتوا بالفسق والمعصية؛ ﴿فحق عليها القول﴾: منا، وهو: الحكم منه بمواقعة الوعيد لهم، ووقوع العذاب عليهم، ﴿فدمرناها تدميرا﴾، يريد: أهلها، لا جدرها وأبنيتها.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾، فقلت: ما مخرج ذلك في العدل؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: هذا من الكلام الذي ذكرت لك أنه يضمر في لغة العرب، وإنما المعنى: إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها بأمر، فتركوه وفسقوا فيها؛ وهذا كثير من لغة العرب، وفي كتاب الله عز وجل من هذا كثير أيضا؛ ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾، ثم أضمر فقال: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾، والمعنى فيه

:لكان هذا القرآن، وإنما نزل عليهم بلسانهم الذي يعرفون ولا ينكرون؛ ألا ترى إلى قول الشاعر:

وكيف تواصل من أصبحت ... أمانته كأبي مرحب

يريد: كأمانة أبي مرحب؛ فأضمر، وقال آخر:

فإن المنية من يخشها ... فسوف يصادفها أينما!

فأضمر، وإنما أراد:" أينما كان من الدنيا أدركته المنية "؛ فأضمر، وقد قال الله عز وجل: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾، ثم أضمر؛ وفي الأرض: اليهود، والنصارى، وعبدة الأوثان، والدهرية، وأصحاب النور والظلمة، والزنادقة، وعباد الله (١)، وغير ذلك؛ وإنما المعنى فيه: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين خاصة دون غيرهم، وتقول العرب:" أما والله يا فلان لولاي لعلمت كيف يكون حالك "، فيجزي ذلك، ويعلمون أنه من طريق الوعيد،" فإنه لولا كذا وكذا لعلمت كيف يكون حالك "؛ فافهم هذا الباب إن شاء الله.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾، المراد به: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

الأمر هاهنا: الإكثار والغنى، فلما أكثرهم وأغناهم عصوا، فقصمهم، وقد قيل: أمرهم بالطاعة فعصوا.

---

(١) – الذي في النسخة المطبوعة المنقول منها هكذا:" البدده "، ولم يتضح المقصود، فلعل الصواب ما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾[الإسراء: ١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من قول الله جل جلاله: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾، فقال: إن الله سبحانه فضل قوما بأن أدخلهم في الإيمان، على قوم أدخلهم في الكفر والعصيان -فضل بذلك وغوي، وهلك عند الله وشقي، ونسب إلى الله سبحانه من ذلك الجور والردى، فتعالى وتقدس عن ذلك ربنا.

وليس كما قال الجهال، من أهل السفاهة والضلال؛ بل هو كما قال ذو الجلال، حين يقول: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾[الشورى: ٤٩]، وكما قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا﴾[طه: ١٣١]، ففضل بعضهم على بعض، بما وهب من الذكور، وبما يجعل ويوسع به من الأرزاق، ويمن به ويتفضل على من يشاء من الأرفاق، وما يرزق من يشاء من الحسن والجمال، والمنطق والتمام والكمال؛ فكم قد رأينا، وفهمنا وعاينا، من مولود يولد أعمى، وآخر يكون ذا زيادة ونقصان، وآخر سوي غير زائد ولا ناقص، قد تمت عليه من الله النعماء، وصرفت عنه وعن والديه فيه البلوى؛ فهذا وما كان مثله، مما فضل الله به بعضا على بعض، مما ليس فيه على الله حجة، يفعل من ذلك ما يشاء سبحانه ذو الجلال والحكمة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأما قوله: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾، يقول: إن عطاءنا وامتناننا، ومجازاتنا لأهل طاعتنا، في معادهم وآخرتهم على أعمالهم -أكبر درجات، وأكبر تفضيلا، على اجتهادهم في مرضاتنا؛ فمن كثر عمله بالخير كان

عند الله في الآخرة أكبر درجات ممن نقص عمله؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾[الأنعام: ١٦٠]. تم جواب مسألته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾ [الإسراء: ٢٦]

قال في كتاب مجموع الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق كلام ما لفظه:

ومما يخص تحريم تسليم الأموال إليهم: قوله تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيرا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[الإسراء:٢٦، ٢٧]، ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن التبذير لا يعدو أحد وجهين: إما أن يكون المراد به تضييع المال، أو إنفاقه في المعاصي؛ إن كان الأول، وهو تضييعه -فدلالة الآية على تحريم تسليمه إلى من ينفقه في المعاصي -بطريق الأولى؛ لأن تسليمه إلى من كان ينفقه في المعاصي -أقبح ضرورة. وإن كان الثاني، وهو: إنفاقه في المعاصي - فدلالتها على: تحريم تسليمه إلى من ينفقه في المعاصي -بصريح لفظها؛ وذلك: أنها لم تفصل بين أن يكون إنفاق المال بالنفس أو بالنيابة، وهنا قد جعل الظالم نائبا عنه في إنفاقه في المعاصي؛ لما كان المعطي عالما بذلك، ومختارا له؛ لأجل أن يقر في بيته، ويسكن في وطنه، وإلا فهو متمكن من أن لا يعطيهم شيئا بأحد أمرين: إما أن يهاجر، أو أن لا يتعلق بشيء مما يحملهم على الأخذ منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء: من آية (٢٨)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾، قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الإعراض منه صلى الله عليه وآله وسلم عنهم هو: الاشتغال بذكر ربه، وعبادته في بعض الأوقات دونهم؛ فأمره إذا أعرض عن الاشتغال بهم، وخلا بنفسه من عبادة الله وذكره دونهم -أن يقول لهم قولا ميسورا؛ والميسور هاهنا: اليسر من القول، وهو: القول الحسن اللطيف المقبول.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

السلطان الذي جعله الله لوليه هو: قتل قاتله به.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، في سياق كلام ما لفظه:

وفي ذلك ما يقول سبحانه: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾؛ فأراد عز وجل بقوله: ﴿فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾: الإذن والحكم منه لولي المقتول أن يقتل قاتل قريبه، ومعنى: ﴿فلا يسرف في القتل﴾ فهو: أن لا يقتل نفسين بنفس، ولا يقتل من لم يقتله، ولم يتعد عليه؛ فقد أسرف في القتل، وصار ظالما بتعديه، محكوما بالقتل عليه، ومن قتل من أولياء المقتول قاتل قريبه -فهو مصيب، وعند الله غير مذموم،... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

معنى قوله: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ هو: لا تقل ولا تقف من قذف المحصنات ما ليس لك به علم، وقوله ﴿كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ هو: إخبار منه بأنه سيسأل يوم القيامة سمعه وبصره وفؤاده: هل كان من ذلك الذي لفظ به بلسانه شيء، أم لم يعلموا منه شيئا؟

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت - أكرمك الله - عن: قول الله سبحانه: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾.

واعلم: أن معنى هذا، وأحسن ما يؤول في فهمنا: أن الله تبارك وتعالى أراد بذلك: أنه ليس من شيء إلا وفيه من أثر صنعه وتدبيره وتقديره -ما يدل على جاعله ومصوره، ويوجب له سبحانه على من عرف أثر صنعته فيه التسبيح والتهليل، والإقرار بالواحدانية والتبجيل، عند تفكر المتفكر، واعتبار المعتبر، بما يرى من عجائب فعله جل جلاله، فيما خلق من عروق الأشجار الضاربة في الثراء، وفروعها الباسقة في الهواء، وما يكون منها من ثمار مختلفة شتى؛ فإذا نظر إلى أثر تدبير الجبار فيها أيقن بالصنع، وإذا أيقن بالصنع أيقن بالصانع، وإذا استدل على الصانع ثبتت معرفته في قلبه، ورسخت وحدانيته في صدره، فإذا ثبتت المعرفة في قلب المعتبر، وصحت في جوارح الناظر -نطق لسانه بالتسبيح لجاعل الأشياء، وظهرت منه العبادة لصانعها؛ فهذا معنى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، لما كان في الأشياء كلها الدليل على جاعلها، وفي الدليل على جاعلها ما يوجب الإقرار به، وفي الإقرار به ما يوجب ذكره بما هو أهله من

التقديس، والتبجيل والتسبيح، والمعرفة والإقرار لقدرته -جاز أن يقال: ﴿يسبح﴾؛ إذ كان بسببه التسبيح من المسبح، المستدل على ربه بما بين له في كل شيء من أثر صنعته، فقال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، وهو يعني بالتسبيح: تسبيح المسبحين؛ لسبب أثر الصنع من المعتبرين بذلك، فجاز ذلك إذ كان بسبب أثر الصنع في هذه الأشياء، وكان التسبيح فيها -من المسبحين، المقرين بالله المعترفين، وما التسبيح إلا كقول الله: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾[النمل: ٤]، فليس الله يزين لأحد قبيحا؛ ولكن لما كان سبب زينة الدنيا وما فيها -من الله خلقا وجعلا، وكان منه الإملاء للفاسقين، والتأخير الذي به تزينت أعمالهم -جاز أن يقال: ﴿زينا﴾، ولم يزين لهم سبحانه قبيحا من فعلهم، وكذلك قوله سبحانه: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾[الكهف: ٢٨]، فليس الله سبحانه يغفل قلب أحد عن ذكره، ولا يصرفه عن معرفته؛ ولكن لما أن كان منه سبحانه ترك المعاجلة للمسيء على فعله، والتأخير له في أجله -جاز أن يقول: ﴿أغفلنا﴾؛ إذ كانت الغفلة هي الإعراض، والترك للحق والتوبة والإنابة؛ فجاز من قبل إملاء الله وتأخيره للمسيء المذنب -أن يقول: أغفلنا، على مجاز الكلام؛ ومثل هذا كثير في القرآن يعرفه ذو الفهم والبيان.

ومما حكى الله تعالى عن ولد يعقوب عليه السلام: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[يوسف: ٨٢]، فقال:" القرية "، والقرية فإنما هي: البيوت والدور، وليس البيوت والدور تسأل، وإنما أراد: أهل القرية؛ لأنها من سبب الأهل، والأهل من سببها، فجاز ذلك في اللغة العربية. وكذلك قولهم:" سل العير التي أقبلنا فيها "، والعير فإنما هي: الجمال المحملة، وليس الجمال تسأل، ولا تجيب ولا تستشهد، وإنما أرادوا: أهل الجمال وأرباب الحمولة، فقالوا:" سل العير "، وإنما أرادوا: أهلها.

فكذلك قوله سبحانه: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، يريد: وإن من

شيء إلا وهو يوجب التسبيح على من اعتبر ونظر، وفكر في أثر صنع الله بما فيه، فجاز أن يقال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، لما أن كان أثر الصنع فيه موجبا للتسبيح لصانعه، على المعتبرين من عباده.

فأما قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فهو ذم لمن لم يعتبر، ويستدل بأثر الصنع في الأشياء، فقال: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، يريد: لا يفقهون ما به من أثر الصنع فيها، الذي يوجب التسبيح للصانع، والإجلال والتوقير؛ فكان ذلك ذما لمن لا يعتبر ولا يتفكر، ولا يحسن التمييز في أثر صنع الله، فيعلم بأثر صنعه ما يستدل به على قدرته، ويصح لربه ما يجب لمعرفته، من توحيده، والإقرار بربوبيته.

وأما قوله: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾[الرحمن: ٦] فقد قال بعض العلماء: إن معنى السجود: سجود ظلال الأشياء، ووقوعها على الأرض. وقال بعضهم: إن هذا على المثل، يقول: إنه لو كان في شيء من الأشياء، من الفهم والتمييز مثل ما جعل الله في الآدميين والشياطين، والملائكة المقربين -إذن لعبد الله كل شيء وسبحه، بأكثر من عبادة الآدميين وتسبيحهم؛ فجعل هذا مثلا، كما قال سبحانه: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ ... الآية [الأحزاب: ٧٢]، أراد تبارك وتعالى: أنه لو كان في السموات والأرض والجبال من الفهم والتمييز ما في الآدميين، ثم عرض عليها ما عرض على الآدميين، من حمل الأمانات التي قبلها الآدميون -لأشفقت السموات والأرض والجبال من حملها، ولما قامت بما يقوم به الآدمي من نقضها، مع ما في الأمانة من الخطر، وعظيم الأمر، على من لم يؤدها على حقها، ويقم بها على صدقها. والأمانة على صنوف شتى، فمنها: قول الحق وفعله، ومنها: أداء الشهادة على وجهها، ومنها: أداء الحقوق إلى أهلها، من الأنبياء المرسلين، والأئمة الهادين، ومنها: الودائع من الأموال وغيرها، ومنها: العقود التي قال الله تبارك وتعالى فيها، وفيما عظم من

خطرها، وأجل من أمرها: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[المائدة: ١]؛ فكل ما ذكرنا فهو أمانة عند العالمين، واجب عليهم تأديتها عند رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)﴾[الإسراء: ٤٨]

قال في ينابيع النصيحة في الرد على المجبرة:

معنى ذلك: أن حيل المشركين ضلت، فلم يقدروا أن يحتالوا له حيلة إلا قولهم: إنه ساحر مجنون.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾[الإسراء: ٥٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت عن: قوله: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (٥٦) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته﴾؟

الذين كانت العرب تدعوهم: ملائكة الله، وكانت العرب تزعم أن الملائكة بنات الله، كما قال الله سبحانه: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ [النحل:٥٧]. والملائكة هم: الذين كانت العرب تدعو، والملائكة الذين كانوا يدعون فهم: الذين يبتغون الوسيلة إلى الله، ويرجون من الله الرضوان والرحمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾ [الإسراء: ٦٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾، إلى قوله: ﴿طغيانا كبيرا﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿أحاط بالناس﴾ فهو: أحاط بعلم أخبارهم، وعلم ضمائرهم، ومعنى قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾، ومعنى: ﴿أريناك﴾ فهي: التي أخبرناك بها وأعلمناك، وهو: ما وعده من فتح مكة، وقد قيل: فتح خيبر. والفتنة فهو: ما كان من سؤالهم وتقاضيهم ما وعدهم الله من الفتح على لسان نبيه، فكانوا يتقاضونه ذلك، ويقولون: يا رسول الله، قلت لنا: كذا، ووعدتنا بالفتح، وقد أبطأ ذلك، وكان صلى الله عليه وآله يقول: لم أوقت لكم وقتا، ولم أذكر لكم وقتا، وإنما وعدتكم أمرا، وستصلون إليه؛ فكان تأخير الموعد بالفتح فتنة للناس؛ بما كان يقع في قلوبهم من استبطاء الفتح، وكان في قلوب المنافقين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصدقهم؛ فهذا معنى ما ذكر الله من الفتنة في هذا الموضع، من المؤمن والكافر، ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ فهي: بنوا أمية.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾ [الإسراء: ٦٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قوله الله سبحانه: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾؟

فقال: هذه كلها أمثال ضربها الله، لا أن ثم خيل ولا رجال، والعرب تقول بعضها لبعض، إذا اختصمت أو تحاجت أو تناظرت، قالت لمن لا خيل له ولا رجال:" أجلب عليهم بخيلك ورجلك "، تريد: اجهد علينا بغاية جهدك، أبلغ فينا أقصى طاقتك، فعلى ذلك يخرج معنى قول الله: ﴿أجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾؛ وذلك أي: اجهد فيهم بغاية جهدك. وأما قوله: ﴿استفزز﴾ فهو: اختدع.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد﴾، فقلت: كيف جاز أن يأمر الله عز وجل بهذه الأشياء، وكلها له معصية، لا تجوز في العدل؟ وكيف يشارك الشيطان الناس في الأموال والأولاد؟

قال أحمد بن يحيى رضي الله عنه: إن ذلك جائز في اللغة العربية؛ أن يخرج الكلام من المتكلم مخرج الأمر، ومعناه على خلاف ذلك الذي خرج عليه، وإنما هذا عندنا على الوعد والتهدد، كنحو قول الرجل:" اجهد جهدك، واحمل جهدك "، كل ذلك

على الوعيد، وقد تقول العرب للرجل:" اذهب، اقتل فلانا، واضربه بالسيف "، على جهد الوعيد، وهم لا يحبون قتله ولا ضربه، ولا يريدون ذلك من الذي أمروه به، كقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه لطلحة والزبير يوم عاتباه، ثم أدبرا عنه: ((اذهبا فأخرجاها))، يعني: عائشة، وهو لا يريد: أن يخرجاها من منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أن يخرجاها تحاربه، وهذا في اللغة كثير معروف.

وأما ما سألت عنه من مشاركته لهم في الأموال والأولاد: فإن ذلك ليس كشركة الآدميين، إنما ذلك كنحو قول السحرة لفرعون: ﴿اقض ما أنت قاض﴾، أي: اصنع ما أنت صانع، كل ذلك على الوعيد، وأما شركته في الأموال فهو: أن تؤخذ بغير حقها، وأن يطاع الشيطان فيها، فإذا فعلوا ذلك فقد جعلوه شريكا في أموالهم، وأما الأولاد: فإذا نكحوا الحرام، وولد لهم من النكاح بمال الحرام -فقد أشركوا الشيطان في ذلك بطاعتهم؛ فصارت طاعته سببا للشركة في أولادهم.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وأما ما ذكر الله عز وجل في قوله : ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (٦٤)﴾، فقد قالت العلماء فيه بوجهين:

أحدهما: أن هذا على طريق التهدد والتخويف، مثلما تقول العرب للرجل:" اذهب اقتل فلانا "، على طريق التهدد له، لا أنهم أرادوا قتله، ومثل قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، حيث قال لطلحة والزبير: ((اذهبا أخرجاها))، يعني: عائشة، يريد بذلك: التقريع لهما، وهو لا يريد خروجهما بها تحاربه، ولا أن تعصي الله عز وجل في خروجها من منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أمرها عز وجل: أن تقر فيه، وإنما هذا على حد التوقيف والتقريع، ومثله كثير في اللغة.

والوجه الآخر: أنهم إذا زنوا صارت أولادهم أولاد حرام، وكل حرام مشارك لمعصية إبليس، وكذلك إذا تعاملوا بالربا صاروا مشاركين لإبليس في معصيته عز وجل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾ [الإسراء: ٧١، ٧٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قوله: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾؟

فإمامهم هو: ما كتب عليهم ولهم، من سالف أعمالهم، ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ فهو: عن يمينه، وتأويل: ﴿من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾[الإسراء: ٧٢] فهو: أن من كان في الدنيا ضالا، فهو في الآخرة أضل ضلالا؛ إنه ليس بعد البعث ضلال ولا هدى، فمن ضل في الدنيا أو اهتدى، فهو مهتدي أو ضال أبدا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ [الإسراء: ٧٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما ما سأل عنه من: قول الله سبحانه: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا

نصيرا (٧٥)﴾ -فإن الجواب في ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يركن إليهم بترخيص لهم في دينهم، ولا إسعاف لهم في شيء من أمرهم، ولا بتولي أحد منهم؛ ولكنه صلى الله عليه وآله كان رحيما، رفيقا حليما، وصولا للأرحام كريما، فكان صلى الله عليه وآله ربما رق لهم، ومن العذاب الذي أعد لهم -رحمهم؛ فأنزل الله سبحانه عليه: تحريم الرحمة لهم، فأمره والمؤمنين، بترك الرحمة لأهل المعاصي الفاسقين، فقال: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾[التوبة: ٧٣]، وقال: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾[النور: ٢]، فثبته الله بما أنزل عليه من ذلك؛ فلما أن علم أن رحمتهم لله تسخط -غلظ عليهم، واشتد قلبه عن الرحمة بهم؛ لما أمره الله سبحانه فيهم؛ فكان ذلك تثبيتا منه له عن أن يركن إلى ما يدعوه إليه الكرم، والصلة للرحم من الرحمة؛ لا ما يقول الضالون على الله وعلى رسوله، من أنه كاد أن يركن إليهم، ويميل بالمحاباة في صفهم. ثم قال سبحانه: ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾، يقول: لو رحمتهم، ورفقت - من بعد نهينا لك عن ذلك - بهم، لكنت لنا من العاصين، وكنت عندنا على ذلك من المعذبين.

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ [الإسراء: ٧٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وقال الله - لا شريك له - في الوقت، وما حد للصلوات منه، فيما نزل من الكتاب لرسوله، صلى الله عليه وآله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾؛ فجعل الله هذا وقتا

للصلوات من الفرائض والنوافل محدودا. وقال له صلى الله عليه وآله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[الإسراء: ٧٩]، وما أمره الله سبحانه في صدر نهاره، ولا في شيء مما وصل إلينا عن الرسول من أخباره - بنافلة من النوافل، وما كان بفضيلة من الفضائل بجاهل؛ فأمره بالصلاة من دلوك الشمس، وهو: الميل والزوال، وغسق الليل فهو: السواد والإظلام، وهو الطرف الآخر، والطرف الأول فهو: الفجر.

(إلى آخر كلامه عليه السلام، وقد نقلناه بتمامه في تفسير قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾[هود:١١٤]).

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: قال الله سبحانه: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾، فكان قوله سبحانه: ﴿لدلوك الشمس﴾ فرضا لصلاة الظهر؛ ودلوكها فهو: زوالها، وكان قوله سبحانه: ﴿إلى غسق الليل﴾ دليلا على فرض المغرب؛ وغسق الليل: دخوله، ودخوله فهو: ظهوره، وظهوره فهو: ظهور الكواكب، كواكب الليل التي لا ترى إلا في الظلام، لا كواكب النهار الدرية، التي قد ترى نهارا في كل الأيام، ولذلك وفيه: ما قال الله، وذكر عن نبيه إبراهيم صلى الله عليه حين يقول: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾، فذكر أن علامة الليل وغشيانه: ظهور كوكب من كواكبه، وما لم يغسق الليل ويجن، وتبين بعض الكواكب -فلا تجوز الصلاة ولا الافطار، وكان قوله: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ دليلا على فرض صلاة الصبح، ولا تجوز صلاة الصبح حتى يعترض الفجر ويتبين، وينتشر نوره وضوؤه في الأفق؛ فإذا انتشر وأنار، واستطار وأضاء لذوي الابصار -وجبت الصلاة على المصلين، وبذلك حكم رب العالمين، ثم

قال: ﴿والعصر (١) إن الإنسان لفي خسر (٢)﴾؛ فذكر العصر باسمها، فدل بذكره إياها، وقسمه بها على توكيد ما بين رسول الله صلى الله عليه وآله من فرضها، ثم قال: ﴿يا أيها المزمل (١) قم الليل إلا قليلا (٢) نصفه أو انقص منه قليلا (٣) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (٤)﴾، ثم قال: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾، فأمرهم بالقراءة لما تيسر من القرآن في قيامهم وصلاتهم، فدل بما افترض عليهم من القراءة في أي هذه الأوقات كان قيامهم فيه – على فرض العتمة التي بينها الرسول عليه السلام، وهي العشاء التي سماها الله في قوله: ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾، والعشاء فهي: التي يدعوها الناس العتمة؛ فهذه الخمس الصلوات اللواتي افترض الله سبحانه على المؤمنين، وهذه الأوقات فأوقات لهن، ودلالات على عددهن، وشواهد على ما سمي منهن.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

فأما ما سألت عنه من: قول الله سبحانه: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ -ومعنى ذلك: أن دلوك الشمس هو: زوالها، وهي الظهر، ومعنى غسق الليل فهو: عند غسق الليل، و" عند " و" إلى " حرفان من حروف الصفات يعقب أحدهما الآخر.

قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾، وقلت: فإن قال لنا قائل: وهل يجوز أن يكون بعضه غير شفاء؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله: إن القرآن شفاء، و" من " في هذا الموضع قد يجوز على: البعض وعلى الجميع، وذلك موجود في لغة العرب؛ تقول العرب:" هل يجيء لنا من هذا الثوب قميص "، أي: من الثوب كله، لا من بعضه، وكقول الله عز وجل: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾، يريد: مقام إبراهيم عليه السلام كله لا بعضه،...

(إلى أن قال:)

وقال لبيد بن ربيعة الكلابي:

تراك أمكنة، إذا لم أرضها، ... أو ترتبط بعض النفوس حمامها

فقال:" بعض النفوس "، وإنما أراد: النفوس كلها، وقال ذو الرمة:

تنسمن عن نور الأقاحي بالضحى ... وفترن عن أبصار مضروجة نجل [(١)]

فقال:" من أبصارهن "، وإنما أراد: كل أبصارهن، وقال الله عز وجل: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾، يريد: يغضوا أبصارهم كلها عن محارم الله جل ثناؤه.

---

(١) – تنسمن: تَشَمَّمْنَ، وإذا كانت تبسمن: فهو معروف. الأقاحي: جمع الأُقْحُوَانِ بالضم، وهو البابونج، وهي: زهرة كثيرة النفع. وفتَّرْنَ: سكنَّ بعد حِدّةٍ. وأبصار مضروجة: أعين واسعة، ونُجُل: واسعة أيضا، أتى بها للتأكيد. والبيت في الأغاني لأبي الفرج، وفي تاج العروس للزبيدي وغيره من كتب اللغة: بلفظ:" تبسم " بدلا عن:" تنسم "، وهو المناسب لمقابلة :" فترن "، ولأبيات القصيدة، وكذا بلفظ:" في الثرى " بدلا عن:" الضحى ".

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل عن: قول الله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾؟

فقال: الروح من أمر ربه كما قال، لا يجاب فيه بغير ما قال الله في ذلك؛ لأن الله سبحانه قد أبان: ما هو؟ وأي شيء هو؟.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

فأما قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ -فللعلماء فيه أقوال، كلها توافق أدلة العقول.

منها: أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- لما ادعى النبوءة، وأنكرت قريش ذلك -فزعوا إلى اليهود؛ لأنهم أهل الكتاب، فقالت لهم اليهود: اسألوه عن ثلاث مسائل: عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وعن الروح ما هو؟ فإن أجاب عن الجميع فهو كاذب، وإن كف عن الجميع فهو كاذب، وإن أجاب عن أصحاب الكهف وذي القرنين، وأجمل الجواب عن الروح -فهو نبي صادق. فأتوا إليه، فسألوه، فأمره الله بما حكى في كتابه، وأمسك عن الروح، فلزمت الحجة لله -تعالى- ولرسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- الفريقين من قريش واليهود، ولا يمتنع في الحكمة أن يصرفه عن الجواب فيما يعلم الله؛ لحصول مثل هذا الغرض العظيم، كما منع زكريا عن الكلام؛ آية له، وقد كان مقدورا له قبل ذلك.

ومنها: أنهم لما سمعوه يقرأ: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾[النبأ:٣٨]، قالوا: ما هذا الروح الذي يقوم صفا، والملائكة صفا؟! فأخبرهم أنه خلق من

خلق الله عظيم، فاستعظموا ذلك، فأمره الله -تعالى- أن يجيبهم عن استعظامهم بقوله : هو ﴿من أمر ربي﴾، أي: من خلق ربي؛ لأن الأمر قد يعبر به عن الخلق، يقول:" هذا أمر عظيم "، كما يقول:" هذا خلق عظيم "، يقول: ربي قادر لذاته؛ فلا يمتنع عليه ما يشاء فلا تستعظموه، فليس على قدرته عظيم.

ومنها: أنهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين(١٩٣)﴾[الشعراء]، قالوا: من هذا الروح؟! وما صفته؟! فأمره الله أن يجيبهم بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾.

ومنها: أنه لما سمى الله القرآن روحا، بقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾[الشورى:٥٢] -سألوه عنه، وأمره الله -تعالى- بإضافته إليه، وأنه لم يأت به من تلقاء نفسه.

وقد رأيت لبعض آبائنا صلوات الله عليهم أقوالا تدل على تبقية الجواب فيه على الإجمال في هذه الآية؛ إتباعا للظاهر، فإذا سئلوا عن تفصيله أجابوا بما قلناه أولا، كما حكيناه عن الهادي -عليه السلام-.

ولا فرق عند أهل الشريعة بين الروح والنفوس، وطريقهم إلى العلم بذلك: السمع من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾[الأنعام:٩٣]، أجمعوا أن المراد بذلك: أرواحهم، وإن كان لفظ النفس يخرج على معان كثيرة، لا يحتمل هذا المختصر الكلام فيها.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾[الإسراء: ٩٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: أبي رضوان الله عليه، عن قول الله عز وجل ثناؤه: ﴿ونحشرهم يوم

القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما﴾؟

فقال: تأويل ذلك إن شاء الله: أنهم يبعثون يوم القيامة، حين يجمعون ويحشرون -على صورهم التي فارقوا الدنيا عليها، وهيئاتهم فعلى ما فارقوا الحياة عليه من ضلالهم وعماهم، فمن فارق دنياه وهو أعمى في بصره، بعث كذلك عند حشره، وكذلك يبعث الأبكم، وهو: الأخرس اللسان، وكذلك الأصم من صمم الآذان؛ فكل يبعث ويحشر على ما كان عليه في دنياه من الأحوال، وكذلك يبعثون على ما كانوا عليه في الدنيا من الهدى والضلال، وليس تأويل: ﴿على وجوههم﴾- إن شاء الله -: ما يذهب إليه أهل الجهالات، من تبديل الله في يوم القيامة للخلق والهيئات، التي كانوا عليها في الدنيا بديا؛ وكيف يتوهمون صما وبكما وعميا، والله يقول سبحانه في ذلك اليوم: ﴿ولا يسأل حميم حميا (١٠) يبصرونهم﴾[المعارج: ١٠-١١]، هو: يرونهم؟! وكيف يتوهمون صما بكما خرسا، وهم يقولون: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾[الكهف: ٤٩]؟!، وكيف يتوهمون ذلك، وهم يقولون في يوم الحساب: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا﴾[السجدة: ١٢]؟! فكفى بها بين الله من هذا ومثله بيانا لقوم يعقلون -على أن الأمر في ذلك ليس كما يتوهم الجهلة ولا كما يظنون.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام في قوله تعالى ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾:

المعنى فيه: أن النار كلما أحرقت جلودهم، أعادها الله عز وجل على ما كانت عليه، تأكلهم حتى يحترقوا، ثم يعادوا ويبدأوا؛ وذلك قوله عز وجل: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾، فقال عز وجل: ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧)﴾، يعني بالخبو: خبو ما يحرق، لا خبوها هي؛ وهذا الباب تسميه العلماء : المقلوب في القرآن، وكذلك تسميه العرب في لغاتها

وأشعارها؛ قال الشاعر في نحو ذلك:

حتى لحقناهم تعدوا فوارسنا ... كأننا رعن قف نرفع الآلا [١]

فقال: " نرفع الآلاء "، والآل: السراب في لغة العرب، يريد: أن الآل يرفع القف، والقف: هضبة من الهضاب؛ فيصير " الآل " برفع المرفوع -هو الرافع؛ وقال الآخر:

ونركب خيلا بعد خيل قواصدا ... وتعدوا الرماح بالضياطرة[٢] الحمر

صير الرماح تعدوا بالرجال، والرجال هم الذين يعدون به.

وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾، والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح؛ فافهم هذا الباب إن شاء الله... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)﴾ [لإسراء: ١٠١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾: ما الآيات التي آتاه الله؟

فقال: العصا التي تلقف ما يأفكون، ومنها: اليد البيضاء، وهو قوله: ﴿ادخل

(١) – البيت للنابغة الجعدي، أراد: تعدوا فوارسنا الخيل، والرعن: أنفٌ يتقدم الجبل والهضبة، كما في (القاموس)، أراد: أنها تنزوا في السير كما ينزوا الرعن في الآل؛ قلب المعنى، فأسند الرفع للرعن، وجعل المرفوع هو الآل، والأمر بالعكس.

(٢) – جمع الضَّيطر، وهو العظيم من الرجال. (لسان العرب)

يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾[النمل: ١٢]. ومنها: الكلام الذي سمعه من الشجرة. ومنها: الكلام الذي سمعه من النار.

قلت: وما سمع منها؟

قال: قول الله في كتابه: ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾[النمل: ٨].

قلت: فما معنى قوله: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾؟

قال: أما قوله: ﴿من في النار﴾؛ فإنما أراد بذلك: ما سمع من الكلام في النار، وأما قوله: ﴿ومن حولها﴾، فهو: من حضر من الملائكة حول النار.

ومنها: الحجر التي كان يحملها على حماره من مكان إلى مكان، وكانت حجرا ململمة، لا صدع فيها، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربها بالعصا، فانبجست بالعيون، ثم يدفنها فيخرج الماء من كل جانب منها، فإذا استغنى هو وأصحابه أخرجها، فرجعت على حالتها أولا ثم حملها معه.

ومنها: البحر الذي ضربه بالعصا فانفلق، حتى سار في وسطه هو وأصحابه بأمر الله سبحانه، حتى خرج آخر أصحابه، ودخل آخر أصحاب فرعون تبعا لموسى وقومه، فأغرق الله فرعون وقومه، ونجى نبيه عليه السلام والمؤمنين.

ومنها: طور سيناء.

وقد قيل - والله أعلم -: إن من الآيات التي آتاه الله: الجراد، والقمل، والضفادع، والدم. ولا ندري ما صحة ذلك، غير أن الصحيح ما ذكرت لك أولا، وهو بين نير.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)﴾[الإسراء: ١٠٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿وقرآنا فرقناه﴾ تأويله: فرقناه قطعا، وفرقناه وجعلناه مفرقا؛ ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾، وهو: على مهل وبمكث؛ وتأويل ﴿نزلناه﴾ فهو: قليلا قليلا؛ كذلك يذكر - والله أعلم -: أن جبريل صلى الله عليه كان يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما علمه من القرآن: خمس آيات، خمس آيات؛ لما أراد الله - إن شاء الله - بذلك لفؤاده من الثبات، كما قال الله سبحانه: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾[الفرقان:٣٢]، تأويله: ونزلناه تنزيلا؛ والتنزيل هو: الإبانة والتفصيل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)﴾[الإسراء: ١١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يقول سبحانه: اطلب من القول بين الإخفات والجهر قبيلا؛ فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله في الصلاة: بالواسط بين الجهر والإخفات من القراءة؛ اختيارا منه سبحانه في الأشياء للأوساط، على التقصير فيها والإفراط؛ لأن الإخفات فيها شبيه بالسر والضمير المكتوم، والإجهار الفاحش من الأصوات شبيه بالتنكير المذموم؛ ألا تسمع لما ذكر الله سبحانه، من قصص حكمة لقمان، وما نزل الله - لرضاه بها - منها في منزل القرآن، إذ يقول لابنه، فيما يأمره به: ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[لقمان: ١٩]؛ فلما

كان رفع الصوت في غير الصلاة من التنكير -كان في الصلاة أفحش وأنكر، وفيما أمر الله به منها أكبر.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

يقول: لا تجهر بالقراءة في صلاة الظهر والعصر، ولا تخافت بالقراءة في صلاة المغرب والعشاء والفجر، وابتغ بين ذلك سبيلا، أي: فصلا تفصل بينهن بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾ [الإسراء: ١١١]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

ثم قال يأمره إذا أراد الدخول في الصلاة: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل﴾، ثم أمره أن يكبر، ويفتتح الصلاة بالتكبير، فقال: ﴿وكبره تكبيرا﴾، وهو: أن يقول المصلي:" الله أكبر "، ثم يقرأ فيبتدئ بفاتحة الكتاب، ويتلوها بسورة مما تيسر من القرآن؛ فهذا أصح ما عندنا في الافتتاح، وأحسنه وأشبهه بالتنزيل. قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: التعوذ، ثم الافتتاح، ثم يقول:" الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل "، ثم التكبير من بعد الافتتاح كله؛ ولسنا نرى أن يفتتح بعد التكبير مصل؛ لأن الله أمر بالافتتاح قبل التكبير في قوله: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل﴾، ثم قال: ﴿وكبره تكبيرا﴾؛ فأمره بالتكبير من بعد الافتتاح، فلذلك قلنا: إنه ليس بعد التكبير إلا القراءة. حدثني أبي عن أبيه أنه قال: الافتتاح قبل التكبير، والتكبير بعد الافتتاح، وذكر الآية: ﴿وكبره تكبيرا﴾.

وهذا تفسير سورة الإسراء كاملة

للإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم: وهذا تفسير لسورة الإسراء للإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين:

سورة بني إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم : قوله عز وجل : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾، قال الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم: قوله : ﴿سبحان﴾ يريد بذلك: التنزيه لنفسه والتقديس، جل ثناؤه؛ إذ لا يجوز التسبيح لأحد غيره، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل؛ والتسبيح فهو من لغة العرب المعروفة، وهو: التنزيه؛ قال الأعشى:

أقول لما جاءني قوله ... سبحان من علقمة الفاخر

يريد بذلك: التنزيه لله عز وجل والتعظيم، وأضمر " الله " في هذا الموضع؛ بمعرفته بجواز ذلك عند العرب. وأما قوله: ﴿أسرى بعبده﴾ فإنه يعني: محمدا عليه الصلاة والسلام. الإسراء هو: المسير بالليل، ولا يجوز أن يكون الإسراء بالنهار؛ قال ذو الرمة:

فإن كنت إبراهيم تنوين فالحقي ... نزره، وإلا فارجعي بسلام
فلم تستطع مي مهاواتنا السرى ... ولا خوض ليل في البرين تمام [١]

---

(١) – الذي في ديوان ذي الرِّمَّة:

=

وأما قوله: ﴿ليلا﴾ فإنه يعني به: قدرته، وتعجيل بلوغه إلى الشام من مكة في ليلة واحدة. و﴿المسجد الحرام﴾: مسجد مكة، و﴿المسجد الأقصى﴾: مسجد بيت المقدس المبارك، الذي بارك الله عز وجل فيه وفيما حوله، وأعظم النعمة على خلقه، والإحسان إلى بريته؛ ويعني بقوله: ﴿ليلا﴾: ليلة واحدة. قوله تعالى: ﴿لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾، يعني: ما أراه من عظمة سلطانه، ونيرات برهانه. السميع: بلا آلة، والبصير: بلا حاسة.

قوله: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾، يعني: التوراة، ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾، يعني: ما بين لهم من الحق، ودلهم عليه من الرشد، ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾، يقول: ألا تتخذوا من دونه جل ثناؤه إلها يعبد، ولا رب يوحد.

قوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾، يعني: نسل الذين كانوا مع نوح عليه السلام في سفينته، والوارثين للأرض من ذريته؛ والشكور فهو: الحامد المطيع.

قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ... الآية﴾، يعني: أعلمناهم بما سيفعلون بعد نزول التوراة، لا قضاء حتم ولا جبر؛ لأن القضاء في القرآن يتصرف على ثلاثة وجوه، فمنه: قضاء خبر، وهو: الإعلام، وقضاء حتم، وهو: الذي لا مخرج منه ولا حيلة، وقضاء أمر، وهو: قوله عز وجل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾؛ ولو كان هذا محتوما ما قدر أحد أن يخرج عن الطاعة إلى المعصية، ولا قدروا أن يعبدوا الأصنام من دون الله عز وجل، وأما قضاء الحتم: فقوله: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾، وأشباه ذلك في القرآن من القضاء والحتم. وأما قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في

فإنْ كنتِ إبراهيمَ تنوينَ فالحقي ** نَزُرْهُ وَإِلاَّ فَارْجِعِي بِسَلاَمِ
وَلَمْ تَسْتَطِعْ مَيٌّ مُهَاوَاتَنَا السُّرَى ** وَلاَ لَيْلَ عِيسٍ فِي الْبُرِينِ سَوَامِ

الأرض مرتين﴾ -فهذا قضاء إعلام أخبرهم به، لا قضاء حتم. قوله: ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾، يعني: باتباع أهوائهم، ومخالفة ما جاء به موسى عليه السلام من أحكام التوراة.

قوله ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾، يعني: فسادهم الأول. قوله: ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ -فذلك يخرج على التخلية من الله عز وجل؛ وقد ينتقم من الظالمين بعضهم ببعض على معنى الترك، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾، يعني: أنه يخلي بينهم، ويتبرأ منهم.

قوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾: وقد جاء في الرواية من خبر يحيى بن زكريا صلى الله عليه بخبر بخت نصر، الملك الذي كان في ذلك الزمان، فاستغنينا عن إعادته؛ لشهرته. ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾، يعني: ما خلق في دار الدنيا من البنين والأموال، فلولا ما خلق في ذلك عز وجل وأوجده -لما قدروا عليه باحتيالهم وبقدرتهم؛ وأما النفير فهو: الرجال الكثير، معروف ذلك في لغة العرب وأشعارها؛ قال رجاء بن هارون الربعي، في بني قيس بن ثعلبة :

فإذا دعوت بآل بكر صارخا ... كثر النفير وعزت الأنصار

يريد: كثر الرجال، عز ناصره.

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾، يقول: إن طاعتكم لله عز وجل هي إحسان منكم لأنفسكم، وإن عصيتم الله عز وجل حاق ذلك بكم، وكانت السواية منكم إلى أنفسكم، تعقبكم النار في الآخرة.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾، يعني: أن يقبح وجوههم؛ بمعصيتهم له ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ بما استحلوا من محارمه، وانتهكوا من حرماته.

﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾، يعني: بيت المقدس؛ وأما التتبير: فمعروف في لغة العرب، وهو: ضرب من الدمار والتبار؛ قال الشاعر:

إن العهود التي لم توف مدتها ... قد أورثتك تبارا آخر الأبد

يعني: أنها قد أورثته دمارا آخر عمره.

قوله: ﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾، يقول: سجنا لأعداء الله، لا يخرجون منها أبدا، تقول العرب:" فلان محصور "، إذا حصر عن الشيء، فهو: حصير وحبيس وحبس، إذا كان محبوسا عن شيء لا يناله، ولا يقدر فيه على حيلة، وهو المسجون أيضا؛ قال الشاعر:

فقولوا تركنا الهاشمي ابن صالح ... ببغداد حبسا بين راح وخائف

قوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾، يعني: أنه يهدي ويرشد ويدعو إلى الصراط المستقيم، وإلى الحق المنير، وإلى الدين المرضي لرب العالمين.

﴿وبشر الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾، يعني: الذين يؤدون الفرائض على وجوهها، ويجتنبون المحارم وقربها؛ والأجر الكبير فهو: الثواب العظيم، الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولم يخطر على قلب بشر؛ يصدق ذلك قوله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾.

قوله: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾، يقول: إنه عز وجل أعد لأعدائه المخالفين لأمره، والعادلين عن طاعته -عذابا أليما؛ والأليم فهو: الغاية القصوى من العقاب، والأشد من العذاب؛ نعوذ بالله لنا ولكم من أليم عذابه، والمحذور من عقابه؛ إنه منان كريم.

﴿ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾: فالذي جاء في الرواية: أن ذلك

الإنسان عني به: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار، وكان الذي دعا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي ذكره الله عز وجل حيث يقول: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾، يعني بذلك عز وجل: ما خلق من الشمس والقمر، وما جعل بينهما في الفرق الواضح، وما فضل به ضوء النهار على ظلمة الليل، وما أتقن فيه من الصنع والتدبير؛ لمعازة[1] الدنيا، ومصالح الخليقة؛ وذلك قوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾، يعني: تصرفهم في طلب المعاش، وقوام الحياة.

﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾: فهذا ما لا يخفى على أحد، من عدة الأيام والشهور والسنين؛ نعمة منه عز وجل ورحمة؛ ليعرفوا الأوقات والمدد، والحساب والعدد، والصيام في وقته، والآجال المضروبة بينهم، في معاملاتهم وأحكامهم، وأعيادهم ونكاحهم، وجمعهم وديونهم، وأسفارهم ومزروعهم، والأسباب التي لا غنى عنها، ولا قوام لهم إلا بها.

قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾، يعني بذلك: عمله الذي عمل في أيام حياته، من الخير والشر، فيجده محصى محكما مثبتا، لم يسقط منه صغيرة فتخفى، ولا كبيرة فتنسى، وذلك قوله عز وجل: ﴿يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾، والمغادرة في لغة العرب هو: الأمر الذي لا يترك منه شيء قل أو كثر؛ قال الشاعر: قتلنا بالرجال فلم نغادر ... لهم بالدار من يحمي السواما

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، ولعلها: " لعمارة الدنيا "؛ تأمَّل.

يقول: لم نترك من رجالهم من يمنع عن نعمهم وأموالهم أحدا إلى إلا قتلناه.

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾، يقول: كفى به لنفسه محاسبا، وعليه شاهدا، ولها محاجا. وقد قال غيرنا: إنه عنى بذلك الأسود بن عبد الأسود القرشي. ونحن نقول: إن كل الناس داخل في هذه الصفة، غير معتزل عن هذه الشريطة؛ لقوله عز وجل: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾، ولم يعن واحدا بعينه. وكذلك قوله: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾، فنقول: إن هذه الصفة يدخل فيها كل أحد من الناس. وقد قال غيرنا: إنه يعني الوليد بن المغيرة، وأن الذي اهتدى: أبو سلمة بن عبد الأسود.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، يعني بذلك: أن أحدا لا يدفع عن أحد، وأن أحدا لا يحمل ذنب أحد أبدا، ويصدق ذلك قوله عز وجل: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾، والأوزار في لغة العرب فهي: الأحمال والأعباء والأوقار؛ قال الشاعر :

حامل الأعباء حين يؤد ... ب القوم لا زمل ولا نواح

وقال آخر يصف الأوزار:

يحمل أوزارنا إذا حجر الغيث ... ولم تند بالبلال الرفود

والرفود فهي: الناقة ذات اللبن الكثير، ترفد أهلها.

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، يقول جل ثناؤه: إنه لم يكن ليعذب خلقه قبل إيجاب الحجة، والإبلاغ في المعذرة، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والإعذار والإنذار؛ تفضلا منه ورحمة، وامتنانا وكرما وإحسانا؛ فإذا بلغت الرسل، وجاءت بالمعجزات، والدلالات الباهرات، والآيات الشافية -وجبت الحجة، وقام العذر، وثبت الحق، واستحق النكال والثواب.

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾، يعني جل ثناؤه، وقهر سلطانه: أن أمره هذا الذي عنى في هذا الموضع، أي: أمرنا مترفيها بأمرنا فتركوه وفسقوا فيها. وهذا الكلام لا يجهله ذو لب، ولا ينكره من كان له في العربية أدنى سبب؛ قال الشاعر بذكر الإضمار في الكلام، ويستغني عن موضعه؛ لعلم العرب به وصحتها عندها:

وإن المنية من يخشها ... فسوف يصادفها أين ما

يريد: أين ما كان من جميع الدنيا أدركته المنية؛ فأضمر ذلك؛ لعلمه أن العرب قد علمت ما أراد؛ قال امرئ القيس بن حجر الكندي، وكان من أهل نجد:

لعمرك لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد بك مدفعا

فأضمر، ولم يأت بجواب:" لعمرك لو شيء أتانا سواك "، وكان ينبغي أن يقول:" لفعلنا كذا وكذا "؛ فأضمره. وقال عز وجل: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فإن الله تواب حكيم﴾، ثم وقف الكلام، وقد علمت العرب أن تحته:" لكان كذا وكذا من العقاب "، فأضمره ولم يذكره. وقال في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق﴾، فأضمر، والذي تعرف العرب أنه أراد: أنه عنى:" فأرسلون إلى يوسف الذي في السجن "، فأضمر:" إلى يوسف "، وأضمر الإرسال، وأضمر المصير إليه، فلم يذكر ذلك؛ لاستغناء العرب عنه بقوله: ﴿يوسف أيها الصديق﴾، ومثل هذا في القرآن كثير، في سورة يوسف وفي غيرها من السور، يطول بشرحه الكتاب، ولولا كثرته لفسرناه على جهته، بمعانيه وشواهده من أشعار العرب ولغاتها، وفيما قلنا كفاية وشفاء إن شاء الله؛ والله عز وجل لا يأمر أحدا من جميع خلقه بفسق ولا فساد، ولا معصية ولا إلحاد، ولا يصدهم عن خير ولا رشاد؛ جل عن ذلك وعلا علوا كبيرا؛ فقال عز وجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها

تدميرا﴾، يقول جل ثناؤه: أمرناها بأمرنا، فتركت، فحق عليها القول، فوقع بها الهلاك والنقم بالدنيا والآخرة.

﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا﴾، يقول: كفى به عز وجل عالما بجميع الأشياء؛ إذ لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه غائبة، ولا يحجب عليه مستور؛ وكيف يكون ذلك، وهو القائل جل ثناؤه : ﴿إن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾؟! فقد علم بذنوبهم من قبل خلقه للسموات والأرضين، وإلى ما هم عليه باختيارهم صائرون.

﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ هو: أنا قد رأينا الكل يريد أشياء كثيرة، فلا تواتيه ولا تسعفه ولا تدانيه؛ فالله عز وجل يعجل لمن يشاء في الدنيا ما أراد، ثم يصيره إلى جهنم يصلاها مذموما مدحورا؛ والمدحور فهو في لغة أهل نجد: الملعون، ويقولون للرجل إذا غضبوا عليه:" دحر الله فلانا "، أي: لعنه؛ قال الشاعر:

إن عوف ابن عامر رام ظلمي ... ولما زال فاجرا مدحورا

وهو أيضا في اللغة: المبعد.

﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾، يعني: الجنة؛ والسعي لها: الأداء لجميع الفرائض، والاجتناب لجميع المحارم؛ فهذا السعي لها. ﴿وهو مؤمن﴾، أي: مؤمن بالله، قائم بفرائضه، مؤد لما أمر به من طاعته.

﴿فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا *﴾، فالله عز وجل إنما يعطي المشركين ومن يعصيه من زخرف الدنيا ومتاعها: ما يكون له به عليهم الحجة، ويعطي المؤمنين الفضل فيما أنعم به عليهم من الهداية والدين، واتباع المرسلين، ثم قال عز وجل: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾؛ لأن درجات المؤمنين في الآخرة -ما لا يبلغه وهم متوهم، ولا يصفه لسان متكلم؛ لجليل خطره، وعظيم شأنه،

وشرف قدره؛ وكذلك ما يحل بأعداء الله عز وجل، أهل النار، من النكال العظيم، وظل اليحموم، وأكل الزقوم، وشراب الحميم.

﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾؛ فأمره الله جل ثناؤه ومن اتبعه: ألا يجعلوا معه إلها، ولا يشركوا بعبادته أحدا، وأن من فعل ذلك فقد استوجب الذم والخذلان في الدنيا والآخرة.

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾: أمرا لا جبرا، وتخييرا لا قسرا؛ فلمن أطاع الجنة، ولمن عصى النار. ﴿وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾؛ وهذه وصية من الله سبحانه: أن لا يقطعا، ولا يجفا بهما، وأن يحسن إليهما؛ جزاء بما أحسنا، وأن يحفظاكما حفظا، ويكرما كما أكرما، ويربيا كما ربيا؛ رحمة منه عز وجل، وتأديبا لخلقه، وتنبيها على الصواب؛ ليجزيهم على ذلك الجنة، ويوجب لهم الكرامة. ﴿فلا تقل لهما أف﴾: والأف هو: التأفف في لغة العرب المعروفة، وهو: التأذي والاستثقال؛ قال الشاعر:

حللنا بكم حتى إذا طال مكثنا ... بدا لي تأذي منكم وتأفف
وطال ثوانا عندكم فمللتم ... وإنا يقينا فاعلموا سنخفف

﴿ولا تنهرهما﴾: فالانتهار هو: الصياح بالغضب والكلام الغليظ؛ قال الشاعر:

بدا لي من أبي زيد شنار ... في رسائله انتهار

والقول الكريم الذي أمر الله به عز وجل فهو: اللين الجميل، الحسن من القول، كما قال لموسى وهارون: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا﴾، أراد بذلك: استعطافه إلى الحق، والرجوع إلى التوبة؛ لكرمه عز وجل، ورأفته بخلقه؛ لأن الكلام الغليظ يباعد ولا يقرب، وينفر ولا يؤلف.

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾: يوصيه بلين الجانب لهما، والتذلل لعظيم قدرهما، والرأفة بهما، والرقة عليهما.

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾: فالله عز وجل المطلع على ضمائر النفوس، وسرائر الصدور، فمن كان صالحا أثيب، ومن كان عاصيا عوقب. والأوابون فهم: التائبون المفلحون الذين يستوجبون من الله عز وجل ثناؤه الغفران، وينجون من النيران. تقول العرب:" قد آب فلان إلى ربه "، أي: قد تاب عن ذنبه، ورجع عنه، كما تقول:" قد آب فلان من سفره "، أي: رجع من سفره؛ قال الشاعر:

وآب إلينا مالك بعد ما غدا ... على حد صرم لا يريد رجوعا

﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾: فأمره بصلة القرابة؛ لما عظم من فرض ذوي الأرحام، وهذا الذي ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿وآت ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾، فهذه للناس كلهم عامة، وعليهم واجبة: أن يؤتوا القريب والمسكين وابن السبيل، وأن يأتوا فيهم ما فسرناه وبيناه؛ لأن الله عز وجل فرض على الناس فروضا، وجعل الدني والشريف فيهما سواء، وأما ابن السبيل فهو: مار الطريق المنقطع، والمسكين فهو: الذي لا مال له، وهما اللذان تجب مواساتهما، والإحسان إليهما؛ والتبذير فهو: ضرب من الفساد، وكثرة الإنفاق، فأمره عليه السلام بالاقتصاد؛ لأن من أنفق في غير طاعة الله عز وجل صار مواليا للشيطان. ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾، أي: عاصيا، وقد قال غيرنا: إنه عنى بكفور، أي: جاحد، وليس عندنا كذلك؛ بل كفر إبليس اللعين، وهو يعلم أن الله عز وجل ربه وخالقه؛ الدليل على ذلك قوله عز وجل يخبر عنه: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾؛ فأقر أن الله جل ثناؤه خالقه، ولم يجحد ذلك.

﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾،

يريد بذلك: المشركين من قوله، يقول: تعرض عنهم إعراضا، يريد: صبرا وثوابا فافعل. ﴿وقل لهم قولا ميسورا﴾، يعني: سداد في القول، في اللين والحلم، وما يشبهه عليه السلام من الفضل والكرم.

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾، يعني بذلك: البخل؛ فكرهه، وأدبه عليه، وأمره بالجميل من الإصلاح، ثم قال له: ﴿ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾، يعني: أن يلام ويقال فيه القول؛ ومحسورا لا يبقى معه شيء.

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾، يعني: أنه لو أراد لبسط عليه الرزق، وأن يجعل الجبال كلها له ذهبا وفضة -لهان ذلك عليه.

﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾، يقول: لكرامتك عندي، وعظيم قدرك لدي -حميتك عن تافه الدنيا، وجعلت لك كرامة الآخرة؛ وقد جاء في الأخبار: أن الله عز وجل يحمي عبده الكريم عليه عن الدنيا، كما يحمي الطبيب الرجل العليل من الأشياء التي تتوق إليها نفسه؛ لما يريد له من دائم الكرامة في الجنة.

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾؛ وذلك: أن العرب كانت تقتل أولادها من البنات خاصة؛ على ضربين، أما أحدهما: فكان من خشية الفقر، وأما الآخر: فكان من الغيرة والحمية. والإملاق في لغة العرب فهو: الفقر وقلة ذات اليد، والضيق في المعاش؛ تقول العرب:" فلان رجل مملق "، أي: فقير؛ قال الشاعر :

إننا معشر نجود على الضيف ... على حالنا من الإملاق

يعني: على حالهم من الفقر، فيجودون ويطعمون، وهم في غير سعة؛ لكرمهم، وسعة أخلاقهم. ﴿نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾، يعني: إثما عظيما.

وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾، يعني: سوء السبيل إلى النار، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((في الزنا ثلاث خصال في

الدنيا، وثلاث في الآخرة؛ فأما اللواتي في الدنيا: فإنه يذهب البهاء، ويورث الفقر، ويقطع العمر؛ وأما اللواتي في الآخرة: فيوجب سخط الرحمن، وسوء الحساب، والخلود في النار)).

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، يعني: إلا من قتل بحق في جميع الأسباب، التي يحل بها القتل بين قود أو حد من حدود الله عز وجل؛ فمن أوجب الله قتله ممن عاند المسلمين من المشركين، وغيرهم من الباغين، والظالمين والمرتدين، وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ومن تعدى في شيء من القتل -فقد عاند الله عز وجل، وخرج من حكمه.

وقوله جل ثناؤه: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾، يعني: ألا يقرب ماله إلا بما فيه له الصلاح، وإدخال المرافق بإزاحة الضرر عنه؛ فقد قال عز وجل في سورة البقرة: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم﴾، يعني: في البيع والشراء، والتزويج والعارية وما أشبه ذلك. ﴿فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح﴾، يعني: في مال اليتيم، ﴿حتى يبلغ أشده﴾، يعني: مبالغ الرجال.

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾، يعني: أوفوا بعهد الله وبذمتكم؛ لأن الوفاء بالعهد أجمل بالمؤمنين، وأحسن بالصالحين؛ وقد بلغك كيف كان قصة هلال بن عويمر، وما ذكر الله عز وجل في خبره في سورة براءة، حيث قال: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾، ثم لم يف بعهده، ولا بما أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه بذلك؛ فأعقبه نفاقا في قلبه إلى أن يلقى ربه؛ وقد فسره الهادي إلى الحق صلوات الله عليه في " كتاب الأحكام "، فأغنانا ذلك عن إعادته.

﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾: يحضهم عز وجل على الوفاء في كيلهم، ووزنهم ومعاملاتهم؛ إذ كان ذلك أحل وأزكى عند الله عز

وجل، وأقرب إلى الجنة، وأنجى من النار؛ والقسطاس فهو: الميزان الوافي، الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، وهو الحق المستقيم.

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾: يأمره كما تسمع: أن لا يقول إلا ما يعلم، ولا يشهد إلا بما أيقن، ولا يعمل إلا بما أتقن؛ إذا كان الله عز وجل لا بد أن يسأل البصر عن فعله، والفؤاد عن فعله، وجميع الجوارح عن أفعالها؛ فلا يجوز عنده عز وجل إلا الحق، ولا يقوم لديه إلا الصدق، ولا ينجو إلا المحق؛ وقد ينبغي لكل مسلم أن يحافظ على حواسه، ويحول بينها وبين الهوى بجهده وطاقته، فلا يقف من الأمور كلها إلا صحيحا، ولا يتعاطى منها محرما قبيحا، ولا يقول إلا حقا مشروعا؛ والقفاوة في لغة العرب فهو: التتبع لكل شيء من خلفه؛ فما تبعته من خلفه فقد قفوته ونصرته؛ لأن العرب تقول:" نقف الأثر "، وتقوله العرب:" نحن نقفوا آثار الخيل، وآثار الإبل، وآثار الناس، ونحن نقفوا سيرة فلان وفعله، ونحن نقفوا آباءنا وأجدادنا "، يريدون بذلك: أنا نتبع آثارهم، ونقفوا مكارمهم؛ قال الشاعر:

لمن ظعن غدون مقفيات ... على أثر الخليط متبعات

قفوت جدودهن وقد تولت ... وحال الآل دون الباكرات

ويجب مع ذلك: غض البصر، وكف جميع الجوارح عن كل مأثم؛ ديانة وتكرما، وقد كانت الجاهلية على كفرها -تأنف من العيب، وتكره الأمور القبيحة؛ فكيف بأهل الإسلام الذي عظمة الله، وطهره وطهر أهله؟! ألم تسمع إلى قول عنترة بن شداد العبسي، حيث يقول وهو مشرك جاهلي؛ قال عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾: والمرح هو: الخيلاء والكبر، والتيه في لغة

العرب؛ وقد ذكر الله عز وجل ذلك في خلقه، وأمرهم أن لا يفعلوه؛ لأنهم عبيد أذلة، لجبار متكبر، قدوس متعظم، حي لا يموت، ولا يزول ملكه؛ فأما من يموت، ويأكل الطعام -فهو عاجز بين العجز؛ فكيف يتكبر من هذه صفته، وهو الذليل الضعيف المقهور؟! والسيئة المكروهة لا تخفى على أحد.

وقوله عز وجل: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا﴾، يريد بهذا القول: المشركين الذين زعموا أن الملائكة إناث؛ افتراء منهم على الله عز وجل وعتيا؛ وقد ذكر بعض أهل العلم: إن قائل ذلك في العرب، قوم يقال لهم خزاعة، وهم كانوا حول مكة، فذكروا عنهم أنهم قالوا: الملائكة بنات الله عز وجل، وتنزه عما قالوا وتقدس، وعلا علوا كبيرا.

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا﴾، يقول: ولقد بينا لهم من كل شيء فيه منفعة وهدى، ولهم فيه نجاة ورحمة؛ فأعلمناهم بما كان قبلهم، وما هو كائن بعدهم؛ فأبوا إلا نفورا . ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾، يقول: لو كان لله عز وجل شركاء كما قلتم، أو نظراء كما كذبتم، أو مشاقون كما زعمتم -لطلبوا سبيلا إلى إزالته، واحتالوا بكيدهم في إزاحته؛ قدوس قدوس رب الملائكة والروح، الذي لا شريك له ولا مضاد ولا مضار، ولا مساوي ولا مضاهي ولا موازر، ولا مظاهر ولا مظافر ولا مساهم، ولا مقاسم ولا مخاصم، ولا ند ولا مقاوم، ولا منافر ولا مكابر ولا مزاحم؛ عز فبذ عزه كل عز، وقهر فأذل سلطانه كل قاهر، ودام فأفنى دوامه كل دائم، سبحانه وتعالى لا إله غيره، ولا معبود سواه، ولا خالق ولا رزاق إلا إياه، وهو رب العرش العظيم، يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾، يقول: ﴿إن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، أي: وهو مطيع خاضع لعظمته، فيه آية الفطرة، ودلالة البراية؛ فهو شاهد لخالقه، مسبح ببنيته لبانيه.

﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، يقول: لا تنزلونه منازله ولا تعرفون كيفيته. والحليم فهو: الذي لا يعجل، والغفور فهو: العافي عن الذنوب ممن أناب.

وفيه وجه آخر، وهو أحب إلي، في معنى قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾، يعني بذلك سبحانه: أنه إذا رأى خلقه بدائع صنعه، وعجائب تدبيره -سبحوا؛ لما رأوا من خلقه، فلما سبح المسبحون بحمده؛ لما عاينوا من عظيم قدرته -جاز أن يقول: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾؛ لما كان في تسبيح المسبح لما رأى من قدرة الله عز وجل فيه، ومثل ذلك يشهد لنا في كتاب الله عز وجل، حيث يقول في قصة قارون: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾، وإنما المعنى فيه، الصحيح عند أهل العلم، وجميع أهل التفسير: أن العصبة أولي القوة هم الذين ينوءون بمفاتحه، كان العصبة تحمل المفاتيح، والمفاتيح لا تحمل العصبة ولا غيرها؛ فهذا أبين شاهد، وأحسن دليل. ومن ذلك قول الله عز وجل أيضا: ﴿وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت﴾، وإنما المعنى فيه عند أهل العلم: وإذا الموءودة سئل عنها من قتلها: بأي ذنب قتلها؟ لأنها هي لا تسأل وهي المقتولة؛ إذ كان ليس عليها في العدل سؤال؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾، والمسئول إنما هو القاتل لا المقتول، وقال عز وجل: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾، يقول: سئل قاتلها؛ وهذا فغير منكر في لغات العرب، ولا مجهول في كلامها وخطابها، وقلبها لمعاني الأشياء، من ذلك أنها تقول للديغ:" سليم "، وتقول للشمس:" جونة "؛ لشدة بياضها، والجون عندها: الاسم، فقلبت الاسم، وتقول للظبا:" الآدم "، تعني به: الظبا البيض؛ قال الشاعر:

حتى لحقناهم تعدوا فوارسنا ... كأننا رعن قف نرفع الآلا [١]

(١) – البيت للنابغة الجعدي، أراد: تعدوا فوارسنا الخيل، والرعن: أنفٌ يتقدم الجبل والهضبة، كما =

والآل هو الذي يرفع القف، والآل: ما رفع الأشياء في البرية وبينها، حتى يراها الناظر من الأمد البعيد، وليس للآل شيء يرفعه غيره.

وقوله عز وجل يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا﴾، يريد بذلك: الذين لا يصدقونك بما تذكر من البعث والحساب، والجنة والنار، يقول: لا يصلون إليك بسوء، ولا بمكيدة ولا مكروه، مع حجابنا المحصن من الأسواء، والحافظ من الأعداء.

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾: واعلم - أرشدك الله -: أن الجعل في كتاب الله عز وجل يخرج على وجهين، ليس لهما ثالث؛ فأحدهما: جعل حتم، فهو الخلق؛ وذلك قوله عز وجل : ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾، ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾، ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾، وما أشبه ذلك في القرآن فهو: جعل خلق وحتم، وأما الجعل الآخر فهو: جعل حكم وتسمية، مثل قوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾، ومثل قوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾، وجعلنا منهم أئمة يهدون إلى النار، فهذا وما كان مثله في القرآن: جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق؛ والوقر فهو: الصمم، معروف ذلك في لغة العرب غير منكر، وقال في موضع آخر: ﴿كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم﴾، يعني بذلك: كأن في أذنيه صمما؛ قال الشاعر :

وقفنا بدار الحي نسأل عنهم ... فردت علينا أن في سمعها وقرا

والأكنة: ما يستر الشيء، وحال دونه، وهو مثل قوله: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾، وذلك كله: حكم وتسمية، لا أن الله غطى على قلب أحد، ولا غشى

في (القاموس)، أراد: أنها تنزوا في السير كما ينزوا الرعن في الآل؛ قلب المعنى، فأسند الرفع للرعن، وجعل المرفوع هو الآل، والأمر بالعكس.

على بصره، ولا حال بينه وبين هداه. ﴿ولوا على أدبارهم نفورا﴾، يعني: أنهم ينفرون من توحيد الله عز وجل.

﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾، يعني: يتناجون به بينهم، في تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاستهزاء به؛ والمناجاة في لغة العرب فهي: المساواة والمخافتة بالشيء في الكلام؛ قال الشاعر:

يناجون حتى لا يبين كلامهم سرارا لئلا يعلم الناس ذلكا

﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾: يقول هذا بعضهم لبعض؛ والمسحور عند العرب يخرج في لغتهم على وجهين، أحدهما: أنهم فيما يقولون هم: أن الرجل يرقى له الرقى، ويعقد له العقد، حتى يزول عقله، ويختلط عليه أمره. والوجه الآخر في السحر عندهم فهو: السحر بالكلام، الذي يتعمل فيه الناس، من الكذب والحيل، والمكايد والمكر، حتى يزيغوا عقل الإنسان، ويصدوه عن طريقه، ويتعملون عليه في قطع قريبه، ومفارقة خليله، وطلاق زوجته، والرجوع عن رأيه، والصد عن هواه؛ وهذا قد يكون كثيرا في الناس اليوم، وقبل اليوم، وهو السحر عند العرب، يقول الرجل لصاحبه إذا أخذ عنه:" سحرني فلان "، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:" إن من البيان لسحرا "، في حديث طويل. وقد كانوا أيضا يقولون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه مجنون، وإنه كاهن، وإنه محتال؛ وكان الله عز وجل المتولي لتصديقه، والمظهر لبراهينه، والدال على معجزاته، والمكذب لهم ببيان الحجة عنه، ووضوح الطريقة، حتى قامت الحجة، وغلب الحق، وزهق الباطل؛ إن الباطل كان زهوقا.

ثم قال عز وجل: ﴿انظر﴾ يا محمد، ﴿كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾، يقول: إنهم لا يريدون الهدى، ولا الرجوع إلى الحق.

﴿وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾، والرفات في لغة العرب هو: ما تكسر من الأشياء، وصار حطاما متهشما، سمته العرب رفاتا إذا

كانت لا تطمع له بجبر، ولا لأجزائه باتصال؛ لشدة تحطمه وتكسره، ولأنها قد أيست من كل رفات أن يعود سويا، قال الشاعر :

تركناهم غداة الخيل تردي ... هشيما بالأسنة أو رفاتا

فعظم عند المشركين أن يكون الله جل ثناؤه يعيد الخلق بعد أن صاروا رفاتا -خلقا جديدا منشورا في القبور، فقال عز وجل: ﴿كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾؛ فإن الله عز وجل قادر على ما أراد، لا يعجزه شيء، ولا يكبر عليه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، وهو على كل شيء قدير.

قال الله عز وجل: ﴿فسيقولون﴾ لك يا محمد: ﴿من يعيدنا﴾، أي: من الذي ينشئ خلقنا بعد الموت؟! قال الله عز وجل: ﴿قل الذي فطركم أول مرة﴾، يعني: الذي خلقكم أول مرة؛ والفاطر هو: الخالق؛ قال الله سبحانه: ﴿الحمد لله الذي فطر السموات والأرض﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿فسينغضون إليكم رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾، و" عسى " من الله واجبة، والإنغاض في لغة العرب فهو: الرؤوس على طريقة المستهزئ، الذي يؤيس من الشيء، ويباعد كونه، ويكذب به؛ قال الشاعر:

أنغضك رأسك مؤيسا من نصرنا ... فأتاك مثل الأسد للميعاد

قوله عز وجل : ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾: مثل قوله: ﴿لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾؛ لأنهم لا يعلمون: كم لبثوا تحت أطباق الثرى؟

وقوله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿وقل لعبادي﴾، يعني بذلك: أولياءه، ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾، وهي: قول: لا إله إلا الله؛ ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم

إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾، يعني: أن الشيطان يوسوس بينهم، ويغري بعضهم ببعض، في تكذيب الرسل عليهم السلام، والجحود لله جل ثناؤه، وجميع المعاصي التي كرهها الله عز وجل.

﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾: فالله عز وجل هو العالم كما قال بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، ولا ظاهرة ولا باطنة، ولا سرا ولا علانية، ولا في ضمير ولا في فكره، ولا في همامة ولا في روية؛ ومعنى قوله: ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ فهو: إن يرد أن يرحمكم ويتفضل عليكم -فهو الولي لذلك، والقادر عليه، لا مانع لذلك ولا حائل دونه، ولا صاد له عنه؛ لأنه رب الأرباب، وسيد العباد، والمنفذ لما يشاء في جميع الأسباب. ومعنى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾، والوكيل في لغة العرب فهو: الذي يوكل لأخذ الشيء وقبضه، وتوكله العرب أيضا على حقوقها وأموالها في الحق يقبضه؛ فأعلمه الله عز وجل: أنه لم يجعل محمدا عليه السلام وكيلا في عقوبة عباده التي جعلها في الآخرة، وأن ذلك شيء هو إلى الله سبحانه، من رحمته في آخرته وعذابه، وأنه إنما أرسل محمدا عليه السلام بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ومعذرا ومنذرا، وقائما بأحكام الدنيا بالحق فيما بين العباد، لا غير ذلك؛ فبين الله لنا سبحانه: أنه لم يجعل محمدا ولا أحدا من الأنبياء عليهم السلام في عفوه ولا عقابه، وأنه المتولي لما أراد من أمره سبحانه، لا إله إلا هو، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾؛ وذلك قوله سبحانه: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ .

وقال عز وجل لنبيه عليه السلام ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾، يريد: أنه خلقهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾: فالله عز وجل قد فضل بعض رسله على بعض، منهم من جعله من أصحاب الشرائع، ومنهم من كلمه،

ومنهم من اتخذه خليلا، وغير ذلك من التفضيل.

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾: وكل زعم في كتاب الله عز وجل فهو: كذب من قائله، مثل قوله: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثون قل بلىٰ وربي لتبعثن﴾، ومثل قوله: ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾. ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾، يعني: أن الذين تدعونهم من دونه لا يقدرون أن يكشفوا عنهم الضر من السقم، ولا الضر من الفقر، ولا الضر من غير ذلك، ولا يحولونهم إلىٰ الغنىٰ والصحة؛ لعجزهم عن ذلك، وأنهم لا يقدرون لهم ولا لأنفسهم علىٰ نفع ولا ضر.

ثم ذكر عز وجل أولياءه وأهل طاعته، فقال: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة﴾، يقول عز وجل: يتضرعون إلىٰ الله جل ثناؤه في طلب الجنة، والدرجة العليا. ﴿أيهم أقرب﴾، أي: يتقربون إليه بالأفضل الزكي من الأعمال. ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾، قال: يخافون أن يعذبهم الله جل ثناؤه علىٰ لفظهم، وعلىٰ الردي من فعلهم، وعلىٰ الغضب والمنع.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾، يعني: أنه يهلك أهل القرىٰ، الظالمين منهم بالنقم، والمؤمنين بالموت؛ لأنه ليس من أهل قرية إلا وهم فانون ذاهبون، وإلىٰ الله جل ثناؤه صائرون؛ ولم يعن عز وجل بهلاك القرىٰ: الجدر، ولا الخشب؛ إنما عنىٰ: الناس خاصة؛ لأن القرىٰ لا عذاب عليها؛ وإنما " القرىٰ " في لغة العرب: أهل القرىٰ؛ قال الله عز وجل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾، يريد: أهل القرية، وأهل العير؛ إذ كانت القرية والعير لا يتكلمان؛ فقال ﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا﴾؛ فالإهلاك هو: الموت، والعذاب هو: ما نزل بالأولين من النقم والجوع، وما هو نازل بالآخرين، مثل ما أصاب أهل مكة من الجوع في أيام النبي عليه السلام، ومثل قوله: ﴿فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين (١٠)

يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١)﴾ [الدخان]، فهو: الذي أصابهم من شدة الجوع، كانوا يرون الدخان بينهم وبين السماء، ثم قال: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون (١٦)﴾ [الدخان]، يعني: يوم بدر، وما حل بهم فيه من القتل والأسر.

وقوله عز وجل: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾، يقول: مكتوبا في اللوح المحفوظ، وهو: علم الله تبارك وتعالى، الذي لا يحتاج إلى شيء.

ومعنى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾، يعني بذلك: الآيات التي كانت مع موسى عليه السلام، وهي تسع آيات، منها: العصا، واليد، وفرق البحر، وتلك العجائب التي لا تخفى على أحد، إلا أن كذب بها الأولون، مثل: فرعون وقومه، وهو: الوليد، بن مرة، بن مصعب، بن عياب، بن أهيب، بن الوليد، بن الريان العلقمي، فيما يقال. ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾، أي: آية من آيات الله عز وجل، فكانت لهم عونا على دهرهم، ورحمة من فاقتهم، ومنفعة لعيالاتهم، يشربون منها لبنا خالصا، بلا تعب ولا نصب ولا غم، في خفض ودعة وعظيم نعمة. ﴿فظلموا بها﴾، أي: كذبوا نبي الله تبارك وتعالى، فهو: صالح صلى الله عليه، وعقروا الناقة الكافية، وعصوا ربهم، فحل بهم الدمار والهلاك. وقوله: ﴿مبصرة﴾ يعني: أنها إحدى البصائر الدالة. ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾، يعني: ليزدجر الخلق، ويكفوا عن معاصي الذي خلقهم، وليخافوا عذابه، ولم يزدادوا إلا طغيانا كبيرا.

﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾، يعني: أهل مكة. ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾، فالفتنة تخرج في كتاب الله عز وجل على وجوه، منها: محنة، وغير ذلك، وقد مضى من قبلي إليكم كتاب فيه تفسير المحنة على عشرة وجوه، وفي ذلك كفاية لك إن شاء الله؛ وقد اختلف الناس في الرؤيا، وقالوا فيها بأقاويل، غير أن إجماعنا وإجماعهم في الرواية على: أنه عليه السلام

رأى رجالا من قريش ترقى منبره، ويتداولونه بالظلم كما يتداول الصبيان الكرة؛ وهذا الخبر فقد رواه الجميع، وله تفسير يطول به الكتاب، ونحن نفسره في وقت فراغه إن شاء الله. ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ فهم: بنو أمية.

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فهو: أمر من الله سبحانه للملائكة بالسجود، فسجدوا لآدم؛ طاعة لله جل ثناؤه، وإنفاذا لأمره: بالسجود لله عز وجل؛ فهو تعظيم لآدم عليهم السلام جميعا.

وقوله: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾، وهي: السفن التي سخرها الله عز وجل، وجعل لها سائقا بالرياح، فسخرها وأجراها بقدرته، وهو السميع العليم؛ والتسخير في اللغة فهو: التذليل.

وقوله ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾: فقد قال قوم: إنه عنى بهذا المشركين من أهل مكة خاصة، وهو عندي يدخل فيه جميع من ركب البحر، ودعا الله عز وجل إذا خاف، فإذا نجا وسلم أعرض عن أمر الله عز وجل، وصد عن طاعته.

﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾، يعني: الأمان والسلامة، وطلب النفس من الغرق؛ والخسف فهو: انخساف الأرض وانخراقها إلى أسفل. ﴿أو يرسل عليكم حاصبا﴾، والحاصب: الرياح الشديدة العاصفة، التي تغرق السفن في البحر وتقلبها، ويكون فيها التراب.

﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى﴾، يعني: مرة أخرى، والعرب تعرف التارة في لغتها، وهي مشهورة عندها أنها: مرة أخرى؛ تقول العرب:" كرة أخرى، وطرفة أخرى، ووقوعة أخرى، وتارة أخرى، وفينة أخرى "، كل ذلك في معنى واحد؛ قال الشاعر:

فتارة نحن في خفض وفي دعة ... وتارة تحت أطراف القنا الذبل

﴿فيرسل عليكم قاصفا من الريح﴾، يعني به: الريح الشديدة، والتي تقصف الشجر وما أشبهه، وقوله: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾، يقول: نصيرا، والعرب تسمي طالب الثأر: تبيعا؛ لأنه يتبع بطلب الدم، وينصر من ظلم من قومه، ويتبع بثأره؛ قال الشاعر :

ونحن المدركون لكل وتر ... إذا طل[1] القتيل عن التبيع

يقول: نحن ندرك بدمائنا إذا لم يدرك التبيع بثأره، وطل دمه.

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناها في البر والبحر﴾، يعني: في البحر: على ما لطف لهم به من الفلك الجاري بقدرته في الأمواج، التي كأنها الجبال، وفي البر: على ما سخر لهم من أنعامه المطيعة لهم بقدرته، من الإبل والخيل، والبغال والحمير. ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾، يعني: ما تفضل به عز وجل من نفس الثمار، وجميع الحبوب، ولحوم الأنعام، وصيد البر والبحر، والعسل واللبن والماء، والنعم التي لا تحصى؛ وذلك قوله عز وجل: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾: صدق الله جل ثناؤه، لقد فضل بني آدم على سائر الحيوان، وأعظم عليهم المنة، وأجزل لهم العطية؛ فله الحمد على نعمه كثيرا، كما هو أهله ومستحقه.

﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾، يريد بهذا: جميع الخلق، فليس من أحد إلا وله إمام: إما إمام هدى، وإما إمام ضلالة. ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ فقد نجا وأفلح، و﴿من أوتي كتابه بشماله﴾ فقد هوى، وصار في سجن لظى، حيث لا راحة ترجى، ولا أسير يفدى. ﴿فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا﴾، والفتيل في لغة العرب، والمعروف عندها في كلامها وخطابها، والنقير والقطمير

---

(١) – الطَّلُّ: هَدَرُ الدَّمِ أو أن لا يُثْأَرَ به، وطُلَّ: أُهْدِرَ القتيل عن التبيع، فلا يطلب ثأره أو بثأره. كما في القاموس وشرحه.

-فكل ذلك في النواة موجود؛ والنواة فهي: العجمة التي تكون في جوف التمر، فالشق الطويل الذي يكون في بطن النواة اسمه عند العرب: الفتيل، والنقير فهو: ذلك النقير الذي يكون في وسط ظهر النواة، مثل الخردلة، ومنه: انتشار نباتها إذا نبتت، وأما القطمير فهو: الذي يكون على النواة غلافا لها، وهو: قشرة بيضاء، رقيقة شديدة الرقة؛ فذلك القطمير، وكل ذلك تعرفه العرب، وتخاطب به وتذكره في لغاتها وأشعارها؛ قال الشاعر يذكر الفتيل:

لسنا نسيغكم فتيلا بعدما ... جرت الحكومة بيننا في المقسم

وقال آخر يذكر النقير:

ما تركنا على الكلاب لقيس ... يوم رمنا القضاء حقا نقيرا

وقال آخر يذكر القطمير:

لسنا نخلف قطميرا لظالمنا ... ولا تطل [1] دمانا عند أعدانا

فذكر الله عز وجل ذلك كله، فقال: ﴿ولا تظلمون فتيلا﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾، وقال: ﴿ما يملكون من قطمير﴾، أي: أنه لا يضيع عنده شيء، وإن صغر ذلك الشيء، فكان قياس الفتيل والنقير والقطمير.

﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾، يعني: أنه من كان أعمى عن الحق في الدنيا فهو في الآخرة أعمى، أي: حاله في النار حابط بائر السعي.

وقوله لنبيه عليه السلام: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا﴾: فقد قالوا: إنهم وفد ثقيف، وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حاصر ثقيفا بعد فتح مكة، وهو ذا فر في ذي القعدة بضعا وعشرين

(١) - أي: لا تهدر.

يوما، ثم انصرف عنهم، وقال عليه السلام: ((نهيت عن قتال ثقيف))، وقد كانوا قتلوا من أصحابه أربعة عشر رجلا، منهم: ابن أبي بكر بن أبي قحافة، وعبدالله بن أمية، زاد الركب، وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب، وهو أخو [أم] سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، وعبدالله بن الحارث بن قيس بن عدي بن عطية، وسعد بن سعيد بن العاص بن أمية؛ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -أتاه وفد ثقيف: بنو عمير بن عبد ياليل، وقد كانوا أوفدوا إليه من كل بطن رجلا؛ لشدة شوكتهم، وجرأتهم على الله عز وجل، وكان فيهم عثمان بن أبي العاص، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسر بمجيئهم، فسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن يمتعهم باللات سنة، وسألوه أشياء كثيرة، منها: ألا تجني [١] نساؤهم في الصلاة، وأن يحرم واديهم كما حرمت مكة، شجرها وطيرها ووحشها؛ فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما يصلح ويجوز من مسائلهم، إلا التمتع باللات، وتحريم الوادي ؛ فجعلوا يردون عليه، ويقولون: فسنة واحدة؛ حتى تعرف العرب فضلنا عليهم. فأمسك عنهم في الثانية، ولم يرد عليهم جوابا، فداخلهم الطمع فيما طلبوا، فأنزل الله: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾. وقوله عز وجل: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾، يعني بذلك: كيدهم له، وما أرادوا به من الغوائل، فحماه الله عز وجل عن ذلك كله، وأيده بنصره، وحفظه من كيد الظالمين؛ وقد جاء في الرواية: أن قريظة والنظير وبني قينقاع اجتمعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث هاجر، فقالوا له: يا أبا القاسم، إن الأنبياء بعثوا بالشام، وهي بلاد مقدسة، وأنت قد عرفت مهاجر إبراهيم كان إليها، وكان بها إسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعمران، يعنون: أبا مريم ابنة عمران، وزكريا، وموسى، وهارون، وعيسى، ويحيى، وجميع الأنبياء، إلا قليلا منهم؛ فلو أنك خرجت إلى الشام صدقناك، وآمنا بك، واتبعناك. قال: فوقع في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك؛ لما يحب من إسلام الناس،

---

(١) – قال في تاج العروس في سياق " هدأ ": جَنِئَ بالجيم، أي: انحنى.

فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلا﴾، يقول: حتى يحل بهم الهلاك.

وقوله عز وجل: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾، يقول: إن هذه سنته فيمن كذب رسله، وعصى أمره، فافترى عليه الباطل.

وقوله عز وجل: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾، يقول: لزوال الشمس، وهو الدلوك، وفيه تجب صلاة الظهر والعصر، وغسق الليل فهو: غشيانه وظلمته. ﴿وقرآن الفجر﴾، يعني به: صلاة الفجر. ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾، يعني: تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار.

وقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ يعني: القرآن، والتهجد فهو: الصلاة، أي: فصل به. ﴿نافلة لك﴾، يقول: فضيلة لك. وقد قال غيرنا: إن ذلك فريضته. وليس ذلك عندنا إلا نافلة فضله بها، ودله على الرشد فيها. ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، و" عسى " من الله واجبة، وهو: المقام الذي يغبطه الأولين والآخرين؛ فزاده الله شرفا وعلوا، وعرف بيننا وبينه في ذلك المقام المحمود العظيم، حيث يشاء عليه السلام فيعطى، ويشفع فيشفع.

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾، يعني: النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقد جاء في الرواية: أنه عنى بالمدخل الصدق: مكة، يدخلها بالعز والفتح والقوة، والقدرة والسلطان، والحجة البالغة على جميع من عانده عليه السلام. ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾: من مكة إلى المدينة، يقول: لا ألقى إلا مؤمنا محبا، ولا ألقى مشركا ولا كافرا. ﴿واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾، يعني: حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالف أمري.

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾، قال: أمره إذا وقف على الأصنام بمكة تعبد من دون الله أن يقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾، قالوا: إن ذلك كما يزهق السهم عن نفس الغرض؛ فذكروا: أن رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك بالأصنام، فخرت ساقطة على وجوهها، وذكروا أن رجلا من أصحابه كان معه حين واجه الأصنام، فقال الرجل للأصنام: يا معشر الأصنام، هذا أحمد إن كان حقا للإله فاسجدوا. قال: فخرت الأصنام على وجوهها ساقطة، وأمر بها رسول الله عليه السلام فكسرت، وذكر أنه كان حول الكعبة ستون وثلاثمائة صنم يوم فتح مكة، فأزاحها عليه السلام كلها؛ فذلك قوله: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾؛ فكان الله هو الحق الخالق كل شيء وبارئه، يعبد وحده، ويكفر بما سواه من الأصنام وغيرها؛ فأذهب الله عز وجل بمحمد عليه السلام الأصنام وجميع ما عبد من دون الله، وعبد الله وحده، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾: هذه خاصة للمؤمنين، دون غيرهم من أعداء الله عز وجل؛ شفاء لكل عمى، وبرء لكل داء، وهدى من كل ضلال، ونور من كل ظلمة، ونجاة من كل هلكة. ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾، يقول: لا يزيدهم إلا بلاءا في الدنيا والآخرة، كما أعرضوا عنه، وهم قادرون على اتباعه، والعمل به.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه﴾: فالمعرض في لغة العرب هو: الصاد، والنائي: المتباعد بجانبه، وكل من تباعد فقد نأى؛ قال الشاعر:

نأت دارها عنا فيا رب ليلة ... لهونا بسلمى والمزار قريب

وجاء في الرواية: أنه عنى بهذا النائي بجانبه: الوليد بن المغيرة.

﴿وإذا مسه الشر كان يئوسا﴾، يقول: إذا مسه مرض أو فقر يئس من رحمة الله؛ ولعمري إن الكفار ليئسون من رحمة الله عز وجل.

﴿كل يعمل على شاكلته﴾، يقول: كل يعمل على طريقته وما يشتهيه، ومثل قوله: ﴿وآخر من شكله أزواج﴾، فقال: من مثله، والشاكلة: المثل والشبه. وقد

قالوا: إنه ناحية. والقول الأول أحب إلينا، وهو الصواب عندنا. ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾، يقول: إنه أعلم بمن هو أهدى دينا.

وقوله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾، والروح عندنا له معنيين، أحدهما: جبريل عليه السلام. وقال غيرنا: إنه ملك أعظم من جبريل. ونحن نقول: إنه جبريل صلى الله عليه؛ لقول الله عز وجل: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾، والذي كان ينزل عليه بالوحي فهو: جبريل عليه السلام، لا غير ذلك؛ ولذلك قلنا: إنه جبريل، دون غيره. والروح الآخر فهو: الروح الذي تقوى به الأبدان، وهو قوله سبحانه: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾؛ فستر الله عز وجل الروح عن خلقه، فلا يعلمه أحد؛ لقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾، ولم يفسره.

وقوله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾، يقول الله عز وجل: لو شئنا لأنسيناك ما أوحينا إليك، ولأذهبنا منك، حتى لا تجد منه قليلا ولا كثيرا، ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾، والوكيل فهو: المطالب، يقول: لا تجد بذلك علينا تابعا، ولا راد سوانا، يريد: ليس لك حافظ يحفظك غيري.

﴿إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾، يقول: إن رحمته سبقت لمحمد عليه السلام، وأنه جعله سيد ولد آدم.

﴿قل﴾ يا محمد: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾، يقول: إن اجتمع من خلق الله من خلقه لو اجتمعوا، على أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن -لا يقدرون على ذلك أبدا، ولو أعان بعضهم بعضا، وتظاهروا على ذلك وتوازروا؛ والظهير في لغة

العرب فهو: المعين، والممد، والنصير، والمكاتف؛ تقول العرب:" ظاهرنا آل فلان على بني فلان "، أي: أعانوهم ونصروهم، وأمدوهم وكاتفوهم، كل ذلك معنى واحد؛ قال الشاعر:

تظاهرنا بنو أسد لأنا ... وهم من خندف[1] لب اللباب

﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾، يقول: إلا جحودا.

وقوله عز وجل: ﴿لن نؤمن لك﴾، أي: لن نصدقك يا محمد، ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾، يريد: أنهارا في جبال مكة وأوديتها. ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا﴾، يقول: خلالها، أي: بينها. ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا﴾، يريد: العذاب، والكسف في لغة العرب فهو: القطع. ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا (٩٢) أو يكون لك بيت من زخرف﴾، يقول: من ذهب. ﴿أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾، قالوا: يكون الكتاب من الله إلى فلان بن فلان؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿سبحان ربي﴾، أي: عظم وتنزه، ﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾.

قوله ﴿وما منع الناس﴾، يعني: أهل مكة. ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾، وهو: محمد عليه السلام جاء بالبينات والحق من عند الله عز وجل. ﴿إلا أن قالوا ابعث الله بشرا رسولا﴾.

﴿قل﴾ يا محمد: ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥) قل﴾ يا محمد: ﴿كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه

---

(١) – هم ولد إلياس بن مضر، أمهم خِنْدِفُ: ليلى بنت حُلوان بن عمران، انظر القاموس المحيط وغيره.

كان بعباده خبيرا بصيرا﴾، يقول: كفى بشهادة ربك الذي أرسلك بالصدق والرشاد، على من خالف أمرك وكذبك ﴿شهيدا﴾، يقول: كفى به شاهدا عدلا.

﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾، يقول: فهو السعيد. ﴿ومن يضلل﴾، يريد: من سماه وحكم عليه بالضلالة بفعله. ﴿فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾؛ فالأعمى: الذي لا يبصر، والأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا يتكلم؛ فكذلك أهل النار لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يفقهون شيئا من الراحة ولا الفرح. ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾، أي: كلما صاروا فحما أعيدوا خلقا جديدا. ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾، يقول: كفروا بمحمد عليه السلام، وما جاء به من الأحكام، والفرائض الراشدة، والحلال والحرام.

وقوله عز وجل: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾، يريد: عبيدا آخرين يعبدونه، ويوحدونه ولا يعصونه، ولا يعدلون به شيئا.

﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾، يريد: لا شك فيه، يعني: أجل الموت، وأجل القيامة.

﴿فأبى الظالمون إلا كفورا﴾، يعني بالظالمين هاهنا: المشركين، أي: أنهم أبوا إلا جحودا.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا﴾، يعني: خزائن الرزق الذي لا يملكه أحد، ولا يقدر عليه ملك من الملوك، ولا يطيقه منفق من المنفقين غير الله ذي القوة تبارك وتعالى. ﴿قتورا﴾ يعني: بخيلا؛ وذلك معروف في لغة العرب، تقول: القاتر، والمقتر، والقتور؛ ذلك كله تعرفه العرب، تقول:" فلان قتور"، أي: ممسك شديد، أي: بخيل، ومقتر: مقل؛ قال الشاعر:

وقد علمت هند بأني ماجد ... وإن حل أضيافي فلست بمقتر

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾، يريد بذلك: المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، مما قد قدمناه في أول كتابنا هذا، مثل: العصا، والبحر، والحجر، واليد، والضفادع، والجراد، والقمل، والدم، ونتق الجبل الذي نتقه على بني إسرائيل.

﴿فسئل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾، يعني: بني قريظة والنظير؛ وبنو قريظة والنظير كانوا قريبا منه، مثل: عبد الله بن سلام، ومن كان معه من قومه. ﴿إذ جاءهم﴾ موسى ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا﴾، مثل ما قالوا لمحمد عليه السلام: إنه مسحور، وساحر، وقد مضى تفسيرها.

﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾، يعني بالبصائر: الآيات التي ذكرها الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام، من التوراة والأحكام، والبصائر الواضحة. وقوله: ﴿مثبورا﴾، عنى بالثبور: أنه ملعون مخذول. وقال غيرنا: غير ذلك، من الكلام الذي لا يحسن ذكره ولا إعادته؛ لنزاهة موسى عليه السلام عن مثل ذلك القول الذي قاله من لا فهم له ولا معرفة؛ والمثبور في بعض اللغة: المشكور أيضا.

﴿فأراد أن يستفزهم﴾، يعني: فرعون، أراد أن يخرجهم من أرض مصر، أو يقتلهم. ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض﴾، يعني: بيت المقدس وما حوله. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾، يقول: من كل موضع.

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾، يقول: أنزلناه حقا من عندنا، وبالصدق والحق الذي أراده الله من خلقه من طاعته، يقول: ﴿بالحق أنزلناه﴾، أي: بحق أنزلناه من عندنا، ﴿وبالحق﴾: الذي أردناه ﴿نزل﴾، من: الفرائض والأحكام التي جاء بها محمد عليه السلام، كما قال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.

﴿وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾، يعني: مبشرا لأوليائي وأهل طاعتي، ونذيرا لأعدائي وأهل معصيتي.

﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾، يقول: قرأناه شيئا بعد شيء، يريد بالناس: أي جميع الخلق كلهم. وقوله: ﴿على مكث﴾ يعني به: مدة تكون من بعد لأمتك، يتعاطفون به، ويتواصفون لحكمه وشرفه، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويتدبرون عجائبه المحكمة، ودلائله المتقنة، ويقفون عند متشابهه إذا لم يعلمه منهم من يعلمه، ويؤمنون بكله، وينتهون عما نهاهم عنه، ويقولون:" كله من حكمة ربنا وتنزيله ".

﴿ونزلناه تنزيلا﴾، يقول: شيئا بعد شيء، يقول: نجوما بعد نجوم، مثل قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾، يقول: بنزول القرآن، مثل قول جبريل عليه السلام: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾.

﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا (١٠٧) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)﴾، يعني بذلك: قول محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنهم إن لم يؤمنوا به وجهلوا فقد عرفه وآمن به من أهل الكتاب من قد سمى، ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصدق بما نزل من عند الله جل ثناؤه، ممن عنده علم الكتاب؛ لما رأوا من الحق. ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾، حتى تقع جباههم وأذقانهم على الأرض، خشعا لله، خائفين باكين من عذابه، راجين رحمته، متذللين له سبحانه، خاضعين له.

﴿قل ادعوا الله﴾ يا معشر المؤمنين، ﴿أو ادعوا الرحمن﴾، فقد ذكر في بعض الروايات: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو ساجد: ((يا الله، يا رحمن))، فسمعه أبو جهل اللعين، وكان لا يعرف الرحمن، فقال: محمد ينهانا أن لا نعبد إلهين،

وهو يدعو إلها آخر مع الله، يقال له: الرحمن. فأنزل الله عز وجل: ﴿أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾، يريد: أن أسماءه كثيرة، وهو الواحد وحده، الفرد الذي لا نظير له ولا عديل، ولا مثيل ولا شريك، عز وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾، يقول: في نفسك. ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾، والسبيل فهو: الوسط في الأمر، الذي لا يعلي صوته ولا يسره، يكون بين ذلك وسطا حسنا، لا رفعا شديدا، ولا خفضا غامضا، مثل قوله في سورة الأعراف: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾[الأعراف:٢٠٥]، فأمره الله عز وجل في سورة الأعراف بالذكر الخفي، وأمره في سورة بني إسرائيل بأن يتوسط بالصلاة بين الأمرين، كما وصفنا. وقوله عز وجل: ﴿بالغدو﴾ فهو: أول النهار، ﴿والآصال﴾ فهو: المساء عند الغروب، ولا تكن من الغافلين، والغافلون هم: التاركون لأمر الله عز وجل؛ لأن الغفلة هي: الترك، والترك على وجهين: عمد، ونسيان؛ فالنسيان: مغفور، وصاحبه مضيع، والعمد: فصاحبه معذب عليه.

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾، قوله: ﴿لم يتخذ ولدا﴾ فهو: تنزيه لنفسه سبحانه وتعالى. ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾، يقول: لم يكن له شريك في ملكه. ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾، فينصره من ذل حل به، ولا من عدو ثار عليه؛ جل عن ذلك وتقدس. ﴿وكبره تكبيرا﴾، يقول: عظمه تعظيما؛ لأنه العظيم الذي لا عظيم بعده، والكبير الذي لا شيء أكبر منه، والعزيز الذي لا عزيز أعز منه؛ فليس يقاس به أحد، ولا يناظره أحد، ولا يقوم له أحد، وهو: الأول الذي لا يسبقه شيء، والآخر الذي لا غاية له، ولا منتهى يوقف عليه، وهو مالك يوم الدين، ومصدق المرسلين، ومجازي المؤمنين، ومعاقب الظالمين، وهو ديان الدين، وولي المتقين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.

انتهى - والحمد لله رب العالمين - تفسير الإمام الناصر لدين الله أحمد، بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى، بن الحسين، بن القاسم، بن إبراهيم، صلوات الله عليهم أجمعين. منقول ذلك من تفسير الأئمة عليهم السلام، الذي جمعه الخطابي رحمه الله.

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)﴾ [الكهف:١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

يقول سبحانه: بعثنا أهل الكهف بعد طول نومهم في كهفهم؛ لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا في كهفهم مقيمين: أهم، أم من علم لبثهم من الملائكة؟ هم: الحزبان، وهم في العلم والمكث مختلفان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)﴾ [الكهف: ١٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين: بلغنا - والله أعلم - أنهم كانوا سبعة نفر من عدة أمة من الأمم، وهم أصحاب الكهف...(إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب المجموعة الفاخرة:

وأما ما سأل عنه من: قول الله سبحانه: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾ -فآخر هذه الآية دليل على تفسير ما سأل عنه في أولها؛ ألا تسمع: كيف ذكر عنهم ما ذكر من الإيمان، والإخلاص لله الواحد

الرحمن؟ فلما أن آمنوا زادهم إيمانا، وكذلك يفعل الله بعباده المؤمنين؛ ألا ترى كيف قال: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم﴾؟ فكذلك يفعل الله بمن آمن واتقى، كما يخذل من عند عن أمره وعصى، ولولا ما ركب فيهم من الاستطاعة أولا -ما نالوا زيادة الله لهم في الهدى آخرا؛ ولكن بما جعل فيهم من الاستطاعة ما يقدرون على الطاعة والعصيان، فآثروا الطاعة، ورفضوا المعصية، فصاروا بذلك مؤمنين، فاستأهلوا من الله الزيادة في كل خير، والدفع منه عنهم لكل ضير؛ ألا ترى كيف يقول: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾؟ يقول: لما أن عملوا الطاعة؛ بما فيهم من القدرة والاستطاعة -زدناهم من الخير والكرامة.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾[الكهف: ١٧]

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾، معناه: من أراد توفيقه وتسديده؛ لقبوله الهداية الأولى، فهو المهتدي حقا، ومن أضله عن طريق الجنة؛ عقوبة له على عصيانه في الدنيا، فلن تجد له وليا مرشدا يدله إلى الجنة، ويدخله إياها.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)﴾[الكهف: ٢٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾، وهذا أمر لم يطلع الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه لم يكن يحتاج إلى علمه، ولم يفترض الله على أحد من العباد علمه، ولم يتعبد به، فلسنا نحتاج لتكليف ما كفينا منه، وقد تقحم في ذلك غيرنا بغير معرفة، ولا نحب أن نتقحم فيما نذم فيه ولا نحمد، والله أعلم بذلك وأحكم.

فأما القليل الذي ذكر الله أنهم يعلمونهم: فإنما هم قليل ممن عرف مخرجهم وعددهم، ووقت ما خرجوا من القرية هاربين، وآووا في ذلك اليوم إلى الكهف منحازين، وليس القليل العالم بهم -بعد استيقاضهم من رقدتهم، وإنما القليل الذين علموهم قبل رقدتهم، وعند خروجهم من قريتهم، وقد نهى الله نبيه عن المماراة في عدتهم، والقول في ذلك بما لم يطلعه عليه؛ وما نهي عنه صلى الله عليه وآله وسلم فنحن عنه منهيون، وما أمر بتركه فيهم فالخلق بذلك مأمورون، لا يسعهم التقحم في شبهه، ولا يحل لهم البحث عما أمروا بتركه؛ إذ ليس مع أحد من الأولين والآخرين منه يقين معرفة، ولا يتكلم فيه أحد إلا بمحال وباطل،

وشبه لا يسع النظر فيها، ولا يجوز الإجتراء عليها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)﴾ [الكهف: ٢٣]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

أمره بالاستثناء عندما يتكلم في كلامه، أو يؤمل فعله غدا من أفعاله، ثم قال: ﴿واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾، يقول: لتستثن إذا ذكرت إن نسيت في أول أمرك، فلا تدع الاستثناء عند آخر كلامك، وعندما تكون فيه من ذكرك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾[الكهف: ٢٨]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، ما لفظه:

إن الله تبارك وتعالى نهى نبيه عن طاعة من أغفل قلبه، ممن آثر هواه على هداه.

وأما معنى ما ذكر الله سبحانه من الإغفال -فقد يخرج على معنيين - والحمد لله - شافيين كافيين:

أحدهما: الخذلان من الله، والترك لمن اتبع هواه، وآثره على طاعة مولاه؛ فلما أن عصى، وضل وغوى، وترك ما دل عليه من الهدى -استوجب من الله الخذلان؛ لما كان منه من الضلال والكفران، فغفل وضل وجهل؛ إذ لم يكن معه من الله توفيق ولا إرشاد، فتسربل سربال الغي والفساد.

وأما المعنى الآخر: فبين في لسان العرب موجود، معروف عند كلها محدود،

وهو: أن يكون معنى قوله: ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾، أي: تركناه من ذكرنا، والذكر فهو: التذكرة من الله والتنبيه والتسديد، والتعريف والهداية إلى الخير والتوفيق، فيقول سبحانه: تركنا قلبه من تذكيرنا، وعوننا وهدايتنا، بما أصر عليه من الإشراك بنا، والاجتراء علينا، تقول العرب:" يا فلان أغفلت فلانا "، ويقول القائل:" لا تغفلني "، أي: تتركني، وتقول العرب:" قم مني "، أي: قم عني، فتخلف بعض حروف الصفات ببعض، وتقيم بعضها مقام بعض؛ قال الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال:" لدى لجج "، وإنما يريد: على لجج، فذكر السحاب ونشطها، وشربها من البحار، واستقلالها بما فيها من الأمطار، وقال آخر:

أغفلت تغلب من معروفك الكاسي... فخلت قلبك منهم مغضبا قاسي

فقال: أغفلت تغلب من معروفك، أي: تركتها من عطائك ونوالك، ومنتك وإفضالك، ثم قال: فخلت قلبك منهم مغضبا قاسي، فقال: منهم، وإنما يريد: عليهم مغضبا، فأقام حرف الصفة وهو " من " مقام أختها، وهي: " على "، فأقام " منهم " مقام " عليهم "؛ فهذا معنى الآية إن شاء الله ومخرجها، لا ما توهم الجهال، على ذي المعالي والجلال، من الجبر لعباده والإضلال، والظلم والتجبر بالإغفال.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

قوله سبحانه: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾، فليس الله سبحانه يغفل قلب أحد عن ذكره، ولا يصرفه عن معرفته؛ ولكن لما أن كان منه سبحانه ترك المعاجلة للمسيء على فعله، والتأخير له في أجله -جاز أن يقول: ﴿أغفلنا﴾؛ إذ كانت الغفلة هي الإعراض، والترك للحق والتوبة والإنابة، فجاز من قبل إملاء الله وتأخيره للمسيء المذنب -أن يقول: أغفلنا، على مجاز الكلام؛ ومثل هذا كثير في القرآن، يعرفه ذو الفهم والبيان.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، وقد ذكر الآية من أولها، وهي قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، فقال ما لفظه:

وهذا المغفل قلبه: عيينة بن حصن؛ لأنه نهى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- عن مجالستهم لسوء حالهم، وقال له:" هذا مما ينفر عنك رؤساء العرب "؛ فنهاه الله تعالى عن مساعدته، وأخبره بأنه قد استحق الخذلان وسلب التوفيق؛ لما تقدم من معصيته، فلذلك أغفل قلبه؛ عقوبة له؛ لأن الله -تعالى- لا يغفل قلبه عن ذكره ابتداء؛ لأنه مريد للطاعة من جميع عباده، كافرهم ومؤمنهم، خلافا لما ذهبت إليه المجبرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾[الكهف: ٥٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

سئل الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾[البقرة: ٣٤، الإسراء: ٦١، الكهف: ٥٠، طه: ١١٦]: كيف كان السجود من الملائكة صلوات الله عليهم؟

فقال: معنى ﴿اسجدوا لآدم﴾ إنما أراد بذلك: اسجدوا من أجل آدم؛ تعظيما لخالقه؛ إذ خلقه من أضعف الأشياء وأقلها عنده، وهو: الطين، فجاز أن يقال:

﴿اسجدوا لآدم﴾؛ لما أن كان السجود من أجل خلقه.

وقوله: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾، وإنما جاز أن يجعل إبليس معهم في الأمر، وإن لم يكن من جنسهم؛ إذ كان حاضرا لأمر الله لهم، فأمره بالسجود معهم، وإن لم يكن جنسه جنسهم؛ لأن الملائكة صلوات الله عليهم إنما خلقوا من الريح والهواء، وخلقت الجن كلها من مارج النار، ومارج النار فهو: الذي يتقطع منها عند توقدها وتأججها.

قلت: فما الدليل على أن إبليس من الجن؟

قال: قول الله جل ذكره: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[الكهف: ٥٠].

قلت: فهل أمرت الجن كلها بالسجود، أم خص الله إبليس بذلك دونهم؟

قال: لم يأمر الله سبحانه أحدا منهم إلا إبليس، فقد أمره الله بالسجود دونهم.

قلت: أفمخصوصا كان بذلك دونهم؟

قال: نعم، كان مخصوصا بالأمر.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وأما قوله عز وجل: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ -فالذرية إنما هم: الأولياء في هذا الموضع؛ لأنه لا نسل له، وقد قال عز وجل لجميع المسلمين: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾.

(إلى قوله:)

وسماه أبا لهم، وليس هو أباهم على الولادة؛ لأن ولد إبراهيم عليه السلام خاصة يعرفون بولادته، وإنما هو أبو المسلمين في الدين ، لا في الولادة، وكذلك

قال في قول لوط عليه السلام: ﴿هؤلاء بناتي﴾، يعني: بناته في الدين، لا في الولادة، ورووا: أنه لم يكن له بنت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾ [الكهف: ٥١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قال محمد بن عبيد الله: وسألت الهادي إلى الحق صلوات الله عليه: هل تجوز الاستعانة بالظالمين؟ وقلت: ما معنى قول الله سبحانه: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾.

فقال: أما ما سألت عنه من قول الله سبحانه -فإنما أراد بالعضد: الود والمشاورة في المبثوث من جميع الأسرار، الظاهرة والباطنة، والمحبوب في السر والعلانية، المعتقدة ولايته، الجائزة عند الله مناكحته، وأكل ذبيحته، وقبول شهادته، والاعتماد على قوله، والركون إلى مصافاته؛ فهذا العضد؛ فمن لم يكن عند صاحبه على هذه الحال، على حقيقة الفعل والمقال -فليس له بعضد، ولا كرامة له، ولا ينتظمه هذا الاسم أبدا، ولا يجوز له أصلا.

فأما ما استعنت به في مهماتك، وتقويت به واستعنت به في ساعات حاجاتك، في إصلاح الإسلام والمسلمين، وهايبت به من كان مثله من الظالمين، واستعنت به على من هو أفجر منه، وأنت له شانئ، ومنه متبرئ، وبه غير واثق، تكتمه أسرارك، وتجمل لديه أخبارك، لا تستحل له مناكحة، ولا تأكل له ذبيحة، ولا تقبل له شهادة، ولا تأتم به في صلاة، فكيف تكون له متخذا عضدا، وتكون له وليا مرشدا؟! هذا ما لا يغلط فيه إلا الجهال، وإلا من أعمى الله قلبه من الرجال، فهو يتكمه في عمايات الضلال، يدعو الليل نهارا والنهار ليلا، والعدو وليا، والولي عدوا، ينحل كل واحد منهما نحلة ضده، ويدعو كلا بغير اسمه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢)﴾ [الكهف: ٥٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾؟

فالموبق فهو: الهلكة التي أوبقتهم؛ بمعنى ما قدموا من عملهم، وهو: العذاب الذي صيرهم الله إليه، وأوبقهم فيه، فشغلهم موبق الهلكة عن إخوانهم الفسقة؛ فهذا معنى: ﴿موبقا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)﴾ [الكهف: ٥٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾، فقلت: كيف ظنوا، وقد صح لهم الأمر؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: إن من الظن ما يكون في لغة العرب يخرج على اليقين؛ قال بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل ... سرابيلهم بالفارسي المسرد

يقول: قلت لهم أيقنوا بألفي مقاتل، وهذا جائز في اللغة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)﴾[الكهف: ٥٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

معنى قوله - جل جلاله - ذلك هو: إنكار عليهم؛ لقولهم الذي قالوا، حين دعاهم الرسول إلى الحق، وبين ما هم عليه من الباطل والفسق، فقالوا له استهزاء وعبثا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾[فصلت: ٥]، فقال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله يحكي قولهم، ويرد كذبهم عليهم، فقال: ﴿إنا جعلنا﴾، يريد سبحانه: إنا جعلنا على قلوبهم أكنة كما قالوا، وفي آذانهم وقرا كما ذكروا؛ بل الزور في ذلك قالوا، وبالباطل تكلموا؛ فأراد بذلك: معنى الإنكار عليهم، والتكذيب لهم، والتقريع بكذبهم، وتوقيف نبيه صلى الله عليه وآله على باطل قولهم، وجليل ما أتوا به من محالهم؛ فقال: ﴿إنا﴾، وهو يريد:" أئنا "، فطرح الألف؛ استخفافا لها، والقرآن فعربي، إلى النور والحق يهدي؛ والعرب تطرح الألف من كلامها وهي تريدها، فيخرج لفظ الكلام لفظ إخبار ونفي، وهو تقريع وإيجاب واستفهام، وتثبتها وهي لا تريدها؛ فيخرج لفظ شك، ومعناه معنى خبر وإيجاب، في كل ما جاءت به من الأسباب، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿لا أقسم بيوم القيامة (١)﴾ [القيامة]، وقوله:﴿لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حل بهذا البلد (٢)﴾[البلد]، فقال: لا أقسم؛ وإنما أراد: ألا أقسم؛ فطرح الألف منها؛ فخرج لفظها لفظ نفي، وهي قسم وإيجاب. وقال في عبده ونبيه يونس صلى الله عليه: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾[الصافات: ١٤٧]، فقال: أو يزيدون، فأثبت الألف وهو لا يريدها؛ فخرج لفظ الكلام لفظ شك، ومعناه معنى إيجاب وخبر؛ أراد سبحانه: وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون على مائة ألف.

فأراد بقوله: ﴿إنا جعلنا﴾؛ التقريع لهم، والتوقيف لنبيه على كذبهم؛ لا ما يقول الجاهلون: إنه أخبر عن فعله بهم؛ ألا ترى كيف يدل آخر الآية على أولها، من قوله: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾، يقول: فإن كان الأمر على ما يقولون، وكنا قد فعلنا بهم ما قد يذكرون -فلم أرسلناك تدعوهم إلى الهدى، وتزحزحهم عن الردى؛ وهم لو كانوا كذلك، وكنا فعلنا بهم شيئا من ذلك؛ ثم دعوتهم إلى الهدى -لم يطيقوا أن يهتدوا إذا أبدا؛ ألا تسمع قوله: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾، فقال: ﴿إذا﴾ يريد: إن كان ما يقولون علينا - مما ذكروا أنه على أبصارهم وأسماعهم وقلوبهم - فعلا منا بهم -فلن يهتدوا إذا أبدا؛ إذ كنا منعناهم بذلك عن الاهتداء؛ فكيف نرسلك إلى من لا يستطيع أن يهتدي، ولا يفلح ولا يقتدي؟! فهذا ما لا نفعله بك ولا بهم، ولا نجيزه فيك ولا فيهم، ولا نراه حسنا من فاعل لو فعله من البشر.

وقد يمكن أن يكون الجعل من الله عز وجل للأكنة والوقر الذي ذكر -هو: الخذلان لهم، وتركهم من التوفيق والتسديد، فلما تركوا من عون الله وتسديده تكمهوا، وغووا وهلكوا، ومالت قلوبهم في أكنة الهوى؛ فأعقبهم ذلك شقاء ووقرا؛ والوقر هاهنا هو: ترك الاستماع للحق، وما يركبون من الفسق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)﴾ [الكهف: ٦٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (٦٠)﴾؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى أخبر عن موسى بما كان من قوله لفتاه، وفتاه فهو: عبده، ومجمع البحرين فهو: مراده، والحقب فهي: الأزمنة من الدهور، فقال: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (٦٠)﴾، فقال: ﴿أو﴾، وإنما المعنى: وأمضي، فجاء بالألف في هذا الموضع، ولا معنى لها؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)﴾ [الكهف: ٧٤]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

أراد بقوله: ﴿زاكية﴾، يريد: نفسا لم تعلم عليها سوءا، فتخرجها به عن طريق التقوى، فسمى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الغلام: نفسا زاكية؛ إذ غاب عنه أمره، ولم يدر ما علم غيره من أمره.

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿حتى إذا لقيا غلاما فقتله﴾، فقلت: بما استحق الغلام القتل، وقلت: إن قالت المجبرة: إنه إنما استحق القتل بعلم الله بعاقبة أمره، وكذلك استحق الكافر العذاب بعلم الله لا بأعمالهم؟

فسبحان من لا يعذب أحدا لا بقتل ولا غيره من العذاب، إلا من بعد فعله؛ لسبب يستحق به ذلك، كائنا ما كان من الأشياء، وأما الغلام فإن العرب تسمي الشاب البالغ: غلاما، وتختار ذلك لها لغة وكلاما، وقد يمكن أن يكون هذا الغلام الذي قتله الخضر صلى الله عليه غلاما قد جرت عليه الأحكام والآداب، فقتله بأمر فعله، أطلعه الله عليه، وأوجب القتل على الغلام فيه، مع ما كان من

سوء فعله ورأيه، ونيته في أبويه.

قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)﴾[الكهف: ٨٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: معنى قوله: ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: ﴿فخشينا﴾ هاهنا يخرج على: فكرهنا؛ لأن الله عز وجل لا يخشى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١)﴾[الكهف:٨٩ - ٩١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم أتبع سببا (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ إلى قوله: ﴿بما لديه خبرا﴾؟

فقال: يقول: لم نجعل لهم ما جعلنا لغيرهم من الأكنان والبيوت واللباس، وهؤلاء قوم في مطلع الشمس، في طرف الأرض، ومعنى قوله: ﴿أحطنا بما لديه خبرا﴾ فهو: إبقاؤه من وراء هؤلاء القوم فيما لم يصله من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)﴾ [الكهف: ١٠١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿لا يستطيعون سمعا﴾؟

فهذا من الله على طريق الذم لهم، والعيب لفعلهم؛ أخبر سبحانه: أن صدودهم عن الحق، وقلة سمعهم له -فعال كفعال من لا يستطيع سمعا؛ والسمع هاهنا هو: الطاعة لله ولرسوله، كقلة سمع من لا يستطيع طاعة ولا سمعا.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في سياق كلام ما لفظه:

وكذلك تأويل قوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾، وقوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾[العنكبوت: ٥]، أي: من كان يؤمن بالبعث فإن وعد الله ووعيده اللذين هما الجنة والنار لآت، وليس ذلك اللقاء رؤية، ولو كان لقاء رؤية لقال: من كان يرجو لقاء ربه فإن الله يلاقى.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قول الله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾، تأويله: أن اللقاء في كتاب الله هو: يوم الحساب والموقف، والعرب تسمي الاجتماع والحشد: لقاء؛ ولما كان الله هو الذي جمعهم -سمي لقاء الله؛ ألا ترى: أن الأمير لو أمر بلقائه، ولم ير فيه -أن القائل يقول:" كنا في لقاء الأمير ". واللقاء: الجزاء والثواب؛ يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقا

في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[التوبة:٧٧]، ولأن المشبهة مجمعة على أن أهل النار لا يرونه.

وروي عن الناصر عليه السلام: أنه روى بإسناده أن رجلا أتى إلى النبيء صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني أتصدق بشيء من مالي أريد به وجه الله، وأحب أن أذكر بالخير. فأنزل الله هذه الآية: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام قال:

هذا تفسير سورة الكهف للإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين:

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾: قال محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم: معنى ﴿الحمد لله﴾ فهو: الحمد والثناء على الله، والشكر بما هو أولى، الذي أنزل الكتاب. معنى: ﴿الذي أنزل﴾ فهو: الله الذي أنزل على عبده الكتاب، وعبده فهو: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والكتاب فهو: هذا الكتاب، الذي فيه النور والشفاء، والحق والهدى، وجميع ما يحتاج إليه من حلال وحرام، ونازل من نوازل الأنام.

ومعنى: ﴿ولم يجعل له عوجا قيما﴾: فكذلك هو، لا عوج فيه ولا فساد، ولا اختلاف ولا تضاد ولا تبديل ، ﴿قيما﴾ فهو: الثابت المصيب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وكل ما فيه نور وحجة، ولمن عقله أكبر الدلالة، قيم بجميع أحواله، قاهر لمن ناظره، فالج لمن حاوله، لا خلل فيه ولا

فساد، تنزيل من ذي العزة والأياد، حكمة بالغة، ودلالة قاهرة.

ثم قال سبحانه: ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾، ولدنه فهو: من عنده، والبأس فهو: العقوبة والتنكيل، والجزاء الدايم الطويل؛ فجعل كتابه حجة على خلقه، ومبينا لجميع ما افترض على عباده، وقص عليهم فيه حلاله وحرامه، وحذرهم بما جعل من أليم عقابه لمن عصاه، وخالف أمره سبحانه وهداه؛ فهو توجيهه الرسول عليه السلام بالكتاب المبين: حجة بالغة، وإعذارا إلى جميع المخلوقين.

ثم قال : ﴿وبشر المؤمنين﴾، فأمر سبحانه نبيه أن يبشر المؤمنين: ﴿الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾؛ فهو: عطاء، وهبة وجزاء، وهو مكافأة على طاعتهم، وإكرام في الله بذلك لهم. والحسن فهو: الكامل من العطاء، المبهج لمن صار إليه من أهل الجزاء.

ثم قال سبحانه: ﴿ماكثين فيها أبدا﴾، فكانت هذه زيادة في البشارة، من بعد ما ضمن لهم في الأجر الحسن، والعطية الكاملة؛ فأخبرهم بأنهم ماكثون فيه، غير زائلين عنه، ولا مستقلين منه؛ إذ كل نعمة زال عنها صاحبها، وزالت عنه - فليست بغبطة ولا سرور، وإنما هي بلغة إلى حادث في الأمور، فكانت هذه الغبطة في الآخرة لهم من الله سبحانه دائمة من الله سبحانه، وعنهم غير منقطعة، ولا يفجعون فيها أبدا بنازلة.

ثم قال عز وجل: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾، فأخبر سبحانه: بإنذاره في كتابه على لسان نبيه -الذين قالوا: اتخذ الله ولدا؛ لئلا يكون على الله حجة بعد الإعذار والإنذار، والتوقيف لهم على جهلهم، وعظيم ما أخرجوه من كفرهم، ونطقوا به من قبيح كلامهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ماهم به من علم ولا لآبائهم﴾، فأخبر سبحانه: بجهلهم في ذلك، وتقحمهم في الزور، وقبيح ما نسبوه إليه سبحانه من الأمور: هم وآباؤهم.

ثم قال سبحانه: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾، فذكر عظيم ما تكلموا فيه، ونطقوا به من أفواههم، وأتوا به من قبيح كلامهم، ثم قال سبحانه: ﴿إن يقولون إلا كذبا﴾، والكذب فهو: الزور، واجتراح الباطل من الأمور؛ جرأة وجهلا، وعماية وغشما؛ فأكذبهم الله سبحانه في قولهم، وزجرهم عما أتوا به من زور كلامهم، تعالى الله عما يقول الظالمون، وينسبه إليه الجاهلون.

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾، والباخع بنفسه هو: الذي يسخو بها؛ فأراد الله سبحانه بقوله: ﴿باخع نفسك﴾، أي: متلفها، غما وأسفا على ما يعاني من تكذيبهم، وصدودهم وشدة كفرهم، ولم نكلفك ذلك فيهم، ولم نفترض عليك أن تتلف نفسك بشدة الحزن والوجد والأسف، وإنما عليك الإعذار والإنذار، والله سبحانه المعاقب لهم، والمجازي بالهلكة على فعلهم، من بعد قيام الحجة عليهم؛ فكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتد ما يرى من صدودهم، وما يعاني من إقدامهم بالكذب على خالقهم -عظم لذلك حزنه، وتأكد وجده؛ والغم فقد يتلف النفس، ويستجلب الأمراض؛ ألا تسمع كيف أخبر الله سبحانه عن نبيه يعقوب صلى الله عليه وآله إذ يقول: ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾، فبلغ به الحزن إلى أن ذهب بصره، وكظمه؛ وكذلك أيضا: أيوب عليه السلام، بلغ به الحزن إلى أن أذهب لحمه، وأنغل جلده [1]، وأشرف على الموت؛ لعلته، لولا ما كان من إبقاء الله لنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾: فكذلك كل ما جعل الله سبحانه عليها، وما خلق فيها وذرأ فهو زينة لها، وحجة له عز وجل على أهلها، ودليل على وحدانيته، وشاهد على ربوبيته، وحد سبحانه في جميع ذلك أحكاما بينها

(١) - نَغِلَ الجِلدُ، وأَنْغَلَ: فَسَدَ، كما يستفاد من القاموس المحيط.

وافترضها، فيما جعل على الأرض وذرأه في جميع ما خلق فيها. ثم قال سبحانه ﴿لنبلوهم﴾، ومعنى: ﴿لنبلوهم﴾ أي: نمتحنهم ونختبرهم، فيما خلقنا وجعلنا، وهم: فممن خلق على ظهر الأرض بزينتها؛ ولما أراد الله سبحانه من إظهار حكمته وتدبيره، وحسن تقديره، وأمره لهم ونهيه. فابتلاهم بالأمر والنهي؛ لتبين طاعة المطيعين، فيستوجبون بذلك الثواب من رب العالمين، وتظهر عند الأمر والنهي معصية العاصين، فيستوجبون بذلك العذاب المهين. ثم قال سبحانه: ﴿أيهم أحسن﴾ عند الأمر والنهي ﴿عملا﴾، وطاعة، واستقامة.

ثم قال سبحانه ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾، الصعيد فهو: التراب؛ أراد الله سبحانه: أن جميع الخلق، وما على وجه الأرض -يصير صعيدا جرزا، يقول: رفاتا ذاهبا، والجرز فهي: الأرض التي ليس يحييها مطر، وهي: الأرض الجرز التي لا تنبت شيئا.

ثم قال سبحانه: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾، والكهف فهو: كل ما كان في الجبال مجوفا مضيئا يسمى: كهفا، يسكن فيه، ويؤوى إليه، ويظل من الشمس والأمطار، ويدخل عند وهج النهار. والرقيم فهو: الجبل الذي فيه الكهف. وقد قيل: إنه الموضع الذي فيه الكهف. وأي ذلك كان فجائز في المقال، والذي أقول به - والله أعلم -: أن الرقيم هو: الجبل. ﴿كانوا من آياتنا عجبا﴾، يقول سبحانه: إنهم لم يكونوا من أعظم الآيات؛ بل كان في آياتنا ما هو أعجب وأعظم من هؤلاء، وإن كان فيهم العجب العجيب لمن فكر، وعقل واعتبر وازدجر: أن يكون قوم ممن خلقهم الله كخلق الآدميين، وركب فيهم في الأكل والشرب والروح ما ركب في جميع المخلوقين، ثم أقاموا بلا أكل ولا شرب ثلاثمائة سنة وتسع سنين، لم تتغير لمر السنين أمعاؤهم، ولم تذهب بطول المدة لحومهم، ولم تؤثر الأرض في أبدانهم؛ فهذا من أعظم دلالة لمن أبصر، وأبين حجة لمن تفكر، وآمن بالله واعتبر؛ فكان الناس يتعجبون من بقاءهم، وسلامة

أبدانهم، على طول هذه المدة؛ فأخبرهم الله عز وجل أن من آياته التي يرون ما هو أعظم في ذلك.

ثم رجع القصص إلى ذكر الفتية، فقال سبحانه: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾، ومعنى " أووا " فهو: دخلوا فيه ونزلوا، وانضووا إليه وسكنوا؛ إنكارا على قومهم، واعتزالا لهم؛ لما أظهروه من شرارتهم، وعظيم كفرهم، فخرجوا إلى الله سبحانه هاربين، ولقومهم تاركين، حتى صاروا إلى الكهف، ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾، ومعنى: ﴿لدنك﴾ فهو: عندك، ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾، فسألوا الله سبحانه الرحمة لهم والهداية والرشد والتسديد، فقبل الله ذلك في فعلهم، وشكر ما كان من اعتزالهم؛ فخفف عنهم المحنة، في طول الاعتزال في الناس والوحدة، فضرب على آذانهم، فقال عز وجل: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾، والعدد فهو: ما ذكر الله سبحانه من عدد ثلاثمائة وتسع سنين، ومعنى: ﴿ضربنا على آذانهم﴾ فهو: ما كان من سباتهم، كانوا لا يسمعون ولا يبصرون؛ لما أراد الله سبحانه في ذلك من العبرة لهم ولغيرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾، فقال: ﴿أي الحزبين﴾ يريد: أصحاب الكهف، وأهل عصرهم الذين بلغتهم الأخبار في اعتزال أهل الكهف من قومهم، ولم يكن قومهم ولا من بعدهم يدرون بأهل الكهف، قد أخفى الله سبحانه موضعهم، وسترة عن أعينهم، فكانوا لا يدرون بمكانهم، فقال عز وجل: ﴿بعثناهم﴾، يريد: من رقدتهم التي كانوا فيها، ثم قال: ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾؛ فلم يحط بذلك أحد؛ بل ظن أهل الكهف أنهم أقاموا ساعة، ولم يعلم من سواهم: كم كان مكثهم في الكهف.

ثم قال سبحانه: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾، يقول: نخبرك بأمرهم على صحته؛ لأن أهل الكتاب كانوا يكذبون، ويقولون ما لا يعلمون من أمرهم، فقال الله عز وجل: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾: الذي لا شك

يدخله، ولا باطل يخالطه.

ثم قال سبحانه: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىٰ﴾، فذكر عز وجل: أنهم آمنوا بربهم، وأطاعوه فيما أفترض عليهم، فزادهم عند ذلك عونا وتوفيقا، وهداية وتسديدا.

ثم قال: ﴿وربطنا علىٰ قلوبهم﴾، ومعنىٰ الربط منه سبحانه فهو: التسديد لهم والتوفيق، حتىٰ تثبت قلوبهم علىٰ الحق، فارتبطت به، فلم تزل عنه؛ لأن العرب تسمي من ثبت قلبه: مرتبط الجنان، مرتبط القلب؛ فلما وفقهم الله عز وجل ارتبطت قلوبهم، وتثبتت علىٰ الحق عزائمهم، ولم تزغ مع من زاغ في قومهم، فكان ذلك من الله عز وجل عونا لهم علىٰ طاعتهم له، وتثبيتا علىٰ تعلقهم بأمره؛ فلما كان ذلك منهم ازدادوا نورا إلىٰ نور، وخيرا إلىٰ خير.

ثم قال: ﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونة إلها لقد قلنا إذا شططا﴾، فأخبر سبحانه بإقرارهم به وإيمانهم، وما احتجوا به في وحدانيته في خلق السموات والأرض. ومعنىٰ: ﴿رب السموات والأرض﴾ فهو: خالقها ومالكها؛ فاحتجوا بعظيم صنعه علىٰ وحدانيته. ومعنىٰ: ﴿لن ندعوا من دونه﴾ يقول: لن نتخذ من دونه إلها نعبده، وفي طاعة الله نشركه. ﴿لقد قلنا إذا شططا﴾، والشطط فهو: المحال من القول المهلك فعله، الباطل في نفسه.

ومعنىٰ: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ءالهة﴾: إخبار منهم بفعل قومهم، وما اجترأوا عليه من عظيم كفرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبا﴾، يريدون بقولهم: ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان﴾، والسلطان فهو: البرهان الذي يشهد لهم بالصدق في فعلهم؛ فاحتجوا عليهم بذلك، فقالوا: لولا تأتون علىٰ ما ادعيتم من هذه الآلهة بحجة واضحة، وبينه نيرة، تصدق قولكم فيما ادعيتم من كذبكم، واتخاذكم من دون الله آلهة. ثم قال عز وجل: ﴿فمن

أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾، والافتراء فهو: الكذب، وقول ما لم يكن؛ وذلك: أنهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام؛ لتقربهم إلى الله سبحانه، ويقولون: إن ذلك له رضى سبحانه. وكان ذلك منهم افتراء على الله وكذبا، ولذلك سأل الفتية البرهان، إذ نسبوا ذلك إلى الله سبحانه، فسألوهم تصديق قولهم؛ لأن الله عز وجل إذا أمر بأمر أو تعبد به كانت معه شواهد تصدقه، وعلامات تؤكده، وحجج تبهر عقول الخلق وتبينه.

ثم ذكر عز وجل أمر الفتية، وما كان من قولهم، إذ يقول : ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف﴾، ومعنى: ﴿اعتزلتموهم﴾ أي: تركتموهم وباينتموهم، ﴿وما يعبدون إلا الله فأووا﴾، أي: صيروا إلى الكهف، والكهف فهو: ما ذكرنا وفسرنا.

ومعنى: ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ فهو: ييسر لكم الخير، ويهديكم، ويثبتكم ويتولى أمركم. ومعنى: ﴿يهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ فهو: يوفق لكم من أمركم مرفقا؛ والمرفق فهو: الكفاية في جميع الحالات؛ لأن العرب تقول:" ارفق علي بسبب "، تريد: اعطني؛ فكان المرفق من الله سبحانه: العطية لهم، وكفاية المهم، مع الهدى والتسديد، والعون والتوفيق.

ثم رجع القصص إلى ما تفضل الله به على أهل الكهف، فقال: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين﴾، ومعنى: ﴿تزاور﴾ فهو: تنحرف، ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾، فأخبر بلطفه لهم في الشمس، في طلوعها وغروبها؛ لأنها لو دخلت عليهم لأحرقت أجسادهم، وغيرت ألوانهم؛ فكانت إذا طلعت تزاورت عن كهفهم - كما قال سبحانه - ﴿ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾، أي: تنكسر عنهم، ومعنى القرض فهو: تزول عنهم، وتدخل في طرف يسير منه، لا تصل بهم، وكذلك تقول العرب:" قرضت أرض بني فلان "، أي: أخذت في شقها، ويقال:" في الثوب قرض "، إذا كان في

بعضه. وإنما سمي: القرض؛ لذهاب الشيء اليسير في الكثير؛ فلما قرض بعضه، وسلم أكثره -قيل: قرض؛ كذلك الكهف لما أن لم تنتشر الشمس في كله، وإنما كان دخولها في طرف منه -قيل: ﴿تقرضهم﴾، فكان الكهف - والله اعلم - كان وجهه مقابلا لمغيب بنات نعش وللجدي.

﴿وهم في فجوة منه﴾، ومعنى: ﴿منه﴾ فهو: الكهف، والفجوة فهو: الموضع السالم من الشمس وغيرها، مما يضر بهم في موضع سلامة وعافية. ﴿ذلك من آيات الله﴾، ومعنى: ﴿من آيات الله﴾ فهو: الدلائل على الله سبحانه.

ثم قال عز وجل: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾، كذلك الله سبحانه: من اتبع هداه، وآمن به واتقاه -فقد سلم واهتدى، ونجا بعون الله من المهالك والردى، ونال بفضل الله سبحانه الفضل عليه، وإحسانه إليه - أفضل الهدى، وكان كما قال الله سبحانه: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾، ومعنى: ﴿يضلل﴾ فهو: خذلان الله له، وتركه إياه، من التوفيق والتسديد ؛ والله عز وجل فلا يفعل ذلك إلا بعبد قد عصاه، وخالف أمره وهداه؛ فإذا كان من العبد -استوجب من الله الخذلان. ومعنى: ﴿فلن تجد له وليا مرشدا﴾ فهو: من بعد ترك العبد لطاعة الله سبحانه، ووقوع اسم الضلال عليه، والخذلان من الله -لا تجد له وليا مرشدا، ولا إلى خير داعيا.

ثم رجع القصص إلى أهل الكهف، فقال سبحانه: ﴿وتحسبهم أيقاضا وهم رقود﴾، يخبر عز وجل: أنه لو نظر إليهم ناظر ظنهم أيقاضا. وقد يقال: إن أعينهم كانت مفتحة؛ وذلك لما أراد الله سبحانه في سلامتها؛ لأن الهوى والريح من منافع العين، ولو كانت مغمضة في طول هذه المدة لأحدث فيها طول الإغماض حدثا؛ فكانت أعينهم مفتحة وهم رقود، لا يبصرون شيئا ولا يفهمون. ثم قال سبحانه: ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾، معنى: ﴿نقلبهم﴾ فهو: تحويله سبحانه من شق إلى شق؛ لطفا من الله سبحانه لهم

بذلك؛ لئلا يحدث في جنوبهم من طول المكث على الأرض فساد؛ وقد يمكن: أن يكون الله عز وجل يأمر بهم ملائكته يقلبونهم؛ لتراوح [(١)] جنوبهم، ويفعل في ذلك ما يشاء؛ إذ هو سبحانه إذا أراد شيئا قال له:" كن "، فيكون. ثم ذكر كلبهم الذي كان معهم، فقال: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾، والوصيد فهو: باب الكهف.

ثم قال سبحانه: ﴿لو أطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا﴾؛ وذلك: أن الله سبحانه طرح عليهم الهيبة والجلالة، فكانت هيبتهم تملأ قلب ناظر لو نظر إليهم، حتى يدعوه ذلك إلى ما ذكر الله سبحانه من الفرار منهم.

قال: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾، والتساؤل فهو: التخابر بينهم عما خالفوا فيه قومهم، فكان من كلامهم ما قال سبحانه: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾، فلم يدروا: كم لبثوا، حتى قالوا: ﴿يوما أو بعض يوم﴾، فاستكثروا اليوم، حتى قالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، وقد أقاموا المدة الطويلة؛ ثم رجعوا بالتسليم لله سبحانه، فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾، يريدون بذلك: كمال اليوم أو بعضه. ثم قالوا: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه﴾، ومعنى الورق فهو: الفضة؛ والمدينة فهي: مدينتهم التي كانوا فيها. ثم قالوا: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه﴾، يريدون: أيها أزكى وأطهر، فليشتري لكم منه، وإنما أرادوا بذلك: أي أهل القرية أصلح في إسلامه، وأثبت على طاعة ربه، فيشتري لهم من ذبيحته، ومما في يده؛ يريدون الطهارة والحلال. وقد قيل: إن ﴿أزكى طعاما﴾ أي: أفضل طعام. والقول الأول أحب إلينا. ومعنى: ﴿فليتلطف﴾ أرادوا: في استتار وانكتام عن الناس، حتى يأخذوا لهم حاجتهم، وينصرف بها إليهم. ثم

---

(١) – قال في القاموس المحيط:" المُراوحَةُ بينَ العَمَلَيْنِ: أن يَعْمَلَ هذا مَرَّةً وهذا مَرَّةً. و بين الرِّجْلَيْنِ: أن يقومَ على كُلٍّ مَرَّةً. و بين جَنْبَيهِ: أن يَنْقَلِبَ من جَنْبٍ إلى جَنْب."إهـ.

قال: ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾.

ثم قال سبحانه : ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا﴾: فخافوا -إن يظهروا عليهم، من بعد أن خرجوا من عندهم مغاضبين، ولهم مكفرين-: أن يرجموهم، ومعنى الرجم فهو: الرجم بالحجارة. ثم قال: ﴿أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا﴾، فأخبر: أنهم لو دخلوا في ملتهم لم يكونوا بمفلحين، ولا عند الله سبحانه بناجين.

ثم قال عز وجل: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾، ومعنى: ﴿أعثرنا عليهم﴾ أي: دللنا عليهم، وأوقعنا على موضعهم؛ لما أراد الله سبحانه من الحجة على أهل دهرهم، من إبقائهم في الكهف بلا طعام ولا شراب؛ فكان هذا دليلا على الله سبحانه، وحجة باهرة، وكان للفتية هداية، وزيادة في النية والبصيرة. ومعنى: ﴿حق﴾ فهو: الصدق الذي لا خلف فيه، ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾؛ فكان بعث الله سبحانه لهم من بعد طول هذه المدة -تصديقا للساعة التي وعد بها، فلما خرج الفتية من كهفهم، وهم يظنون عند أنفسهم: أنهم أقاموا يوما أو بعض يوم، فلما دخل المشتري لهم ببضاعتهم -دخل خائفا وجلا، فلم يعرف في القرية أحدا، وأنكر أهلها جميعا، وأقبل يسألهم عن قوم كانوا بها، وعن ملكهم دقيانوس الذي كان سببا لتكفيرهم، فيقولون: فنوا أولئك وذهبوا، وقرن بعدهم؛ فلما أنكروا أمره، وكان خبر اعتزال هؤلاء الفتية شائعا عند القرن الذين خرجوا فيهم، وفيمن بعدهم من خبر من كان قبلهم، ممن انتهى إليه خبرهم، مع إخبار عيسى صلى الله عليه بهم، وذكره لقصتهم، وما يكون من خروجهم؛ وذلك أن عيسى صلى الله عليه بعث من بعد اعتزال الفتية لقومهم، فأخبر بأهل الكهف وبقائهم، ولم يكن يعلم لهم ببقاء، من بعد ما كان من اعتزالهم لقومهم، حتى أخبر بذلك عيسى صلى الله عليه؛ باطلاع الله له على أمرهم، فلم يسألوه حتى فطنوا له، وأيقنوا أنه من أهل الكهف.

ثم رجع القصص إلى ما فعل الأولون، إذ يتنازعون بينهم، فقال عز وجل: ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾، والتنازع فهو: تنازع الكلام والمحاورة، والمجادلة في البنيان عليهم، فحجب الله عز وجل أبصارهم عنهم، فلم يروهم. ثم: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾: فكل هذا كان في كلامهم ومحاورتهم، وما ادرأوا في أمرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾، وهذا الكلام فهو من قول أهل الكتابين، فكان كلما يتكلمون به في عددهم تخرصا، ورجما بالغيب. ومعنى: ﴿بالغيب﴾ فهو: في الغيب، يقول: الرجل[1] يتكلمون في ما لا يعلمون، وينطقون في ذلك بما لا يفقهون؛ إذ هو عنهم مغيب مستتر، لا يعلمه إلا الله كما قال سبحانه. والرجم فهو: قول ما لا يعلم، يقول للرجل إذا تكلم بما لا يعلم: أنت ترجم بالغيب.

ثم قال عز وجل: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾، ومعنى: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ فهو: لا يعلم عدتهم إلا قليل من أهل عصرهم، ومن كان معهم في دهرهم، ممن نظر إليهم عند خروجهم من قريتهم. ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا﴾، فأمره سبحانه: ألا يمار فيهم إلا المراء الظاهر، والظاهر فهو: ما أعلمه الله به، وأظهره عليه في أمرهم؛ لأن كل متكلم تكلم بما لا يعلم -كان كلامه على غير صحة ولا بيان، رجما في المقال، ومخاطبة بالمحال؛ فنهاه الله عما عابه عليهم، وأمره بالمخاطبة الواضحة، والمقالة الصحيحة. ثم قال سبحانه: ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾، فأمره ألا يستفتي فيهم منهم أحدا؛ فإنهم لا

(١) - قال في القاموس المحيط:" والرِّجْلُ بالكسر : الطائِفَةُ من الشيءِ." اهـ

يصدقون في قولهم، ولا يخبرون بحق فيما يتكلمون به فيهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء الله﴾، فكان ذلك تأديبا من الله عز وجل لنبيه عليه السلام، ودلالة على ما هو أفضل عند مخاطبته؛ إذ دله على الاستثناء في كلامه، والتسليم لحكم الله في جميع أسبابه. ثم قال عز وجل: ﴿واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾، فأمره بالذكر لربه، ثم قال: ﴿عسى﴾، و" عسى " ها هنا من الله: إيجاب، ليست بشك ولا ارتياب. ﴿أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾، يقول: لأقرب مما أنتم تمارون فيه، وتتكلمون به، فهداه الله سبحانه للصواب، وفهمه فيما كانوا يمترون فيه للجواب.

ثم قال: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾، فأخبر الله عز وجل عما لبثوا في الكهف من السنين. ثم قال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾؛ كذلك الله سبحانه: هو العالم بما لبثوا، لا يعلم ذلك غيره، ولا يحيط به سواه. وقال: ﴿له غيب السموات والأرض﴾؛ فهو عالم بغيبها، وما استتر في جوانح أهلها، ولا يعزب عنه صغيرة في خلقه ولا كبيرة، ولا يستتر عنه ظاهر ولا باطن، علمه بما ظهر وبان، كعلمه بما استتر وغبي في الجنان. ثم قال سبحانه: ﴿أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا﴾، ومعنى: ﴿أبصر به وأسمع﴾ فهو: يوم القيامة، يقول: يبصرون ذلك اليوم البصر الجيد، والسمع الثاقب؛ لأن العرب تقول لمن غفل عن النظر في الشيء، والاستماع لما يرد عليه فيه، إذا وقعت به مصيبة:" أبصر به اليوم "، يريدون: ما أجود بصره! من طريق التبكيت والتقريع، لما أن غفل عن النظر، حتى وقع في العظيم من الأمر؛ كذلك لما أن كان هؤلاء في هذه الدنيا غير ناظرين، ولا للحق مستمعين، ولا بما يرون في الآيات معتبرين -قال الله عز وجل: ﴿أبصر به﴾: يوم القيامة، ومعنى: ﴿به﴾ أي: بهم، - وذلك جائز في اللغة والمخاطبة؛ قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الإنسان

ما غرك بربك الكريم﴾[الانفطار: ٦]، وإنما أراد: يا أيها الناس، وقال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾[ق:١٦]، وإنما أراد: الناس -؛ يريد: ما أجود أبصارهم وسمعهم، عندما يعاينون جزاء ما كانوا به كذبوا، وعنه بالشهوة واللعب غفلوا.

وقال: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾، يقول: ما لهم في ذلك اليوم من دون الله من ناصر ينصرهم، ولا ولي يدافع عنهم؛ بل تقطعت بهم الأسباب، وذهب عنهم ما كانوا يتعقلون به من الأضداد، وصاروا بفعلهم إلى شر محل ومآب. ثم قال سبحانه: ﴿ولا يشرك في حكمه أحدا﴾، فكذلك الله عز وجل: له الحكم والأمر، لا شريك له في ذلك.

ثم قال عز وجل: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا﴾، فأمره بتلاوة ما أوحي إليه، والوحي فهو: الكتاب والحكمة التي آتاه إياها، والدعاء إلى الله عز وجل، وإقامة الحجة. وأمره بإظهار ذلك وإبانته. ثم قال: ﴿لا مبدل لكلماته﴾، وكذلك الله عز وجل: لا ناقض لحكمه، ولا مبدل لشيء من أمره، بحجة تقهره، ولا أمر يفسده؛ بل أمره القاهر، وحكمة النافذ. ومعنى الملتحد فهو: المأوى، والمذهب والملجأ.

ثم قال عز وجل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾؛ فأمره الله سبحانه بالصبر مع المطيعين له، والتعليم لهم، والهداية لرشدهم. ثم قال سبحانه: ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾: تفهيما من الله سبحانه وتأديبا، ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم ليزهد فيهم؛ بل كان لهم محبا، وعليهم مشفقا. ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾، فالزينة فهي: ما يعرف في زينة الدنيا وأسبابها، التي تقطع عن الله سبحانه. ثم قال: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا﴾، فكان هذا أيضا إخبارا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من عدم التوفيق من الله بفعله، واستوجب ذلك بمخالفته، حتى

تبع هواه، ﴿وكان أمره فرطا﴾، والفرط هو: الإفراط في الشيء: المجاوزة للقدر، والإغراق فيه بما لا يجوز، وما يخرج من القصد إلى الإسراف. والإغفال فهو: الخذلان؛ بما استوجب عند المخالفة والعصيان، مثل من كان من قريش وغيرها من أهل الكتاب، فيما كانوا عليه من الإبلاغ في الكفر، والإفراط والشرارة، وقول الباطل والزور، وارتكاب الشرور، والكفر برب العالمين، وترك ما جاء به خاتم النبيين، حتى أفرطوا في ذلك، وجاوزوا في ذلك كل حد.

ثم قال عز وجل: ﴿وقل الحق من ربكم﴾، فأمره أن يقول الحق الذي أمره الله به. ثم قال: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، فأمره بقول الصدق، وما افترض من الحق، فمن شاء أن يقبله من المخلوقين -قبله، وآمن به وصدقه، ﴿ومن شاء فليكفر﴾؛ اختيارا من نفسه، وتعديا في ذلك بفعله، لا بقضاء من ربه، ولا إدخال في معصية، من بعد أن أقام الحجة عليه، وبين المحجة له. وقد يخرج أيضا في معنى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾: على الوعيد والتهديد والزجر، والتأكيد عليهم في الطاعة، والإعذار إليهم في المعصية؛ وهذا وجه حسن.

ثم قال سبحانه: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾، فأخبر عز وجل أنع أعد للظالمين، والمعاندين للحق. ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾، وهو: عذابها، والتفاف جوانبها، ومصيرهم في قعرها، وهو السرادق.

ثم قال سبحانه: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾؛ فأخبر سبحانه: أنهم عند استغاثتهم من العطش - يغاثون بماء كالمهل؛ والمهل فهو: صفو القطران؛ فيسقون من ذلك عند عطشهم، فيشوي وجوههم، ويقطع بحره أمعاءهم، ويتضاعف عند ذلك ما هم فيه من شدة ألمه. ومعنى: ﴿ساءت مرتفقا﴾ فهي: جهنم، يقول سبحانه: ساء رفقها؛ فأخبر عز وجل: أن جميع ما فيها من مائها وطعامها، وأرفاقها كلها -من شر شديد متعب، لا منفعة فيه لطالبه، ولا راحة لمستشفع به عند حاجته.

ثم قال سبحانه: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾، فأخبر عز وجل: أنه لا يضيع أجرهم، ولا يترهم شيئا من أعمالهم؛ بل يضاعف ذلك لهم، ويديمه بفضله عليهم. ثم قال سبحانه: ﴿أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار﴾؛ فأخبر عز وجل: أنها تجري من تحتهم الأنهار، وهم في أكرم محل وقرار، وفي الغرف العالية، والمنازل المرتفعة.

ثم قال سبحانه: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾، والأساور فهي: هذه الأسورة التي تلبس في الأيدي؛ إكراما من الله لهم، ومكافأة لهم على طاعتهم. ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك﴾، فأخبر سبحانه: بلباسهم، وما من به عليهم، من عظيم جزائه لهم؛ والسندس فهي: الثياب الخضر كما قال سبحانه، وهو اسم سماها الله به. والإستبرق: الحمر السرية المرتفعة، قد قيل: إنها جنس من الوشي [1]. ثم قال: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾، ومعنى: ﴿على﴾ فهو: في الأرائك؛ لأن " على "، و" في ": حرفان يعقب أحدهما الآخر. ثم قال: ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقا﴾، ومعنى: ﴿نعم﴾ فهو: الكريم الفاضل. ومعنى: ﴿حسنت مرتفقا﴾، فهو: حسن وعظم كل شيء فيها من رفقها، وما جعل الله لأهلها من نعيمه، وعظيم عطاياه وفوائده.

ثم قال سبحانه: ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا (٣٢) كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا (٣٣)﴾، وهذا مثل ضربه الله عز وجل للقصة الأولى، وجعله موعظة وتنبيها، وفرقا بين المحقين والمبطلين.

ثم قال عز وجل: ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا (٣٤) ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥)

---

(١) – أي: الثوب المنقوش.

وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦)﴾؛ فكان هذا مثلا أيضا لأهل الظلم إذا أنعم الله عليهم بإحسانه، ورزقهم الأرزاق الوافرة، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة، فلم يشكروا نعم الله عليهم وإحسانه؛ بل زادهم ذلك طغيانا وجرأة وتمردا.

ثم ذكر عز وجل ما قاله صاحبه حين يحاوره: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧) لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨) ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا﴾؛ والحسبان فهو: الآفة النازلة، والتلف والعذاب. ﴿من السماء فتصبح صعيدا زلقا (٤٠) أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (٤١) وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا(٤٣)﴾؛ فهذه الآيات محكمات مفسرات لأنفسهن، لا يحتجن إلى مفسر لهن، إلا اليسير منهن، وقد بينته، جعلهن الله عز وجل تنبيها ومثلا، ضربه فرقا بين الصالح والطالح. ومعنى: ﴿يرسل عليها حسبانا من السماء﴾ فهو: عذاب من الله ينزله بمن صد عنه، ونقمة يحلها بمن أدبر، وعن أمره عند واستكبر. ومعنى: ﴿صعيدا زلقا﴾ فالصعيد هو: التراب؛ والزلق فهو: الذي ليس فيه شيء. ومعنى: ﴿خاوية﴾ فهي: معطلة ميتة، لا ثمر فيها ولا عائدة، قد مات أصلها، وغار ماؤها على عروشها. معنى: ﴿على عروشها﴾ فهو: خشبها التي تشرع به الأعناب، تكون تحتها تعرش عليها.

ثم قال: ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحدا (٤٢) ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا﴾، ومعنى: ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ فإنما هو: تندم وحسرة على ما فاته. قال: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه﴾، يخبر عز وجل: أنه لا فئة له ينصرونه من دون الله، عند نزول العذاب به، ولا هو بمنتصر. والفئة فهي:

الجماعة، وهذه الآيات فهي أيضا مثل للآخرة، وما جعل الله فيها لمن أطاعه، من الجنان والنعيم، والثواب الكريم؛ والدليل على ذلك: قوله سبحانه: ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾؛ فأخبر: أن ثوابه خير الثواب، وطاعته أحسن عاقبة؛ والدليل على ذلك: قوله سبحانه: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾، يريد: أذهبتم ما جعلت لكم من النعيم والطيبات، والعطايا العظيمة في الآخرة في الحيوة الدنيا؛ لأن الله سبحانه قد جعل ما في الجنة جزاء للمطيعين، فلما عصوه في الدنيا، وجانبوا حكمه، وأتبعوا أهواءهم، وتركوا رشدهم -كان هذا إذهابا لطيباتهم، التي جعلها لهم الله على الطاعة.

ثم قال سبحانه: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾، فكان هذا مثلا عظيما، حكميا منبها، ميقظا من الغفلة؛ فأخبر الله سبحانه: أن حال الدنيا وأهلها في تزيينهم لها، وتزيينها لهم -كالماء النازل من السماء، فاختلط به نبات الأرض؛ يقول: خضرة الأرض وحشيشها، حتى تراه مخضرا ناضرا حسنا، ويصبح من بعد ذلك هشيما تذروه الرياح، يابسا مغبرا؛ فكذلك الدنيا وما فيها زائل كزوال هذه الخضرة؛ فنهاهم الله عز وجل عن الاغترار بها، والركون إليها.

ثم قال سبحانه: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾؛ وذلك كما قال الله عز وجل زينة للدنيا، وبهجة لها، يسر بها فيها أهلها. ثم قال سبحانه: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾، وقد قيل: إن الباقيات الصالحات: التسبيح، وهو عندي -والله أعلم-: التسبيح وغيره من الأعمال الصالحة، التي تبقى للعبد عند فنائه، وتنفعه في يوم بعثه. وقال سبحانه: ﴿خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾، يقول: إن الباقيات الصالحات خير عطاء، وثوابا وأملا؛ والأمل فهو: الرجاء، لما في الآخرة من النعيم والزلفة والعطاء، وذكر أن ذلك خير من

المال والبنين، اللذين هما مخلفان متروكان.

ثم قال سبحانه: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾، ومعنى: ﴿يوم نسير الجبال﴾ فهو: يوم القيامة؛ وتسييرها فهو: إذهابها ونسفها. ﴿وترى الأرض بارزة﴾، أي: ظاهرة مكشوفة، ليس فيها شيء يستر بعضها عن بعض، وهي أرض الآخرة التي لا عوج فيها ولا أمتا. ثم قال سبحانه: ﴿وحشرناهم﴾، يعني: الخلق، والحشر فهم: الجمع. ﴿فلم نغادر منهم أحدا﴾، ومعنى: ﴿لم نغادر﴾: لم يخلف ممن خلق أحدا، حتى رده سبحانه كما كان أولا في دنياه.

ثم قال: ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾، والصف فهو: اصطفافهم في يوم حشرهم، ووقوفهم في آخرتهم، و﴿عرضوا﴾ أي: أحضروا للحساب، والثواب والعقاب. ثم قال سبحانه: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾، يقول: لقد جئتمونا على خلقكم الذي كنتم عليه أولا؛ تبكيتا لهم؛ لما كان يقول الظالمون المكذبون: ﴿أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾[المؤمنون:٨٢، الصافات:١٦، الواقعة:٤٧]؛ فوقفهم الله بقوله: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾، لم نغادر منكم أحدا عند الإدارة لبعثكم؛ فكان ذلك تصديقا لقوله سبحانه، وتكذيبا لهم. وقد يخرج: ﴿جئتمونا كما خلقناكم﴾، يريد – والله أعلم –: أنه ردهم من بعد فنائهم وبوارهم، الذي كانوا يكذبون العودة عند كونه لهم، وإفناء الله لهم؛ فقال: ﴿جئتمونا كما خلقناكم﴾، يقول: رددناكم على ما أنتم عليه أولا من صوركم، لم تنتقصوا مما كنتم عليه في حياتكم ودنياكم بعد البلاء، عند إرادتنا لردكم أحياء. والمعنى الأول فهو: الصواب عندي. ثم قال سبحانه تقريعا لهم أيضا: ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾، والموعد فهو: يوم القيامة.

ثم قال: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾، وليس ثم كتاب مكتوب يقرأ، وإنما هذا مثل ضرب الله لهم؛ لأنهم لا يعلمون أن ما كان في

الكتاب موقع، غير ضائع وفائت؛ فأخبرهم عز وجل بما يعرفون، وإنما الكتاب هاهنا: علم الله سبحانه بأمورهم، وإحصاؤه لجميع أفعالهم، كبيرها وصغيرها، كما قال الله سبحانه: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾، يريد: جزاء ما عملوا حاضرا لهم. ثم قال سبحانه: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾؛ فكذلك الله عز وجل: لا يظلم أحدا من خلقه؛ بل هو المحسن إليهم، الرحيم بهم، أرسل إليهم النبيين معذرين ومنذرين، وأبان لهم الحجة، وأزاح بذلك الظلمة؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾[الأنفال:٤٢].

ثم قال سبحانه: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾، ومعنى: ﴿اسجدوا لآدم﴾ فهو: من أجل آدم عليه السلام؛ فكان السجود لله عز وجل، لا لآدم، فلما أن سجدوا لله العظيم؛ لما رأوا من خلق آدم عليه السلام، وما أبان الله من قدرته في ذلك -جاز أن يقول: ﴿لآدم﴾، كما قال سبحانه: ﴿لتنذر أم القرى﴾[الأنعام:٩٢، الشورى:٧]، فأقامها مقام أهلها. ثم قال سبحانه: ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾، فذكر عز وجل ما كان من جرأة إبليس، ومخالفته لأمر ربه. وقد قال بعض عوام الناس: إن إبليس كان من الملائكة. وقد شرحنا ذلك في " كتاب الإيضاح "، وليس يقول بذلك في الملائكة عليهم السلام إلا جاهل عمي، أو ظالم غوي؛ بل هم المكرمون المطيعون، ﴿الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)﴾[التحريم:٦]. ثم قال سبحانه تحذيرا من كيد إبليس: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾، وذريته هم: أتباعه وأوليائه؛ فنهاهم الله أن يتخذوه وآباؤهم أولياء من دونه، ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء﴾، فنهاهم الله أن يتخذوه وآباؤهم أولياء من دونه. ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾: وهل يكون شيء أعظم كفرا ممن يتخذ الشيطان ومن يتبعه أولياء؟! ويصده عن الله سبحانه وعن أمره؟!

ومعنى: ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ فكذلك: بئس لهم أن يستبدلوا الشر بالخير، والهلكة بالنجاة؛ فنعوذ بالله من العمى، ومن الضلالة بعد الهدى.

ثم قال سبحانه: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾: فهذه آية محكمة، عامتها لا يحتاج إلى تفسير. ومعنى: ﴿عضدا﴾ فهو: معينا وموازرا. ومعنى: ﴿المضلين﴾ فهم: المغوون الصادون عن الحق، التاركون للصدق.

﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾، ومعنى: ﴿يوم يقول﴾ فهو: يوم القيامة. ﴿نادوا شركائي﴾ فهم: الذين آثرتموهم علي، وأشركتموهم في طاعتي، حتى أهلككم ذلك في آخرتكم، واستحققتم به العذاب عند ربكم، ﴿فدعوهم﴾ - كما قال الله عز وجل - ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾؛ وكيف يستجيب، أو ينصرهم، أو يدفع ما نزل بهم من هو في الهون، والعذاب والنيران؟! ومعنى: ﴿شركائي﴾ فإنما جاز ذلك من طريق التبكيت لهم والتقريع. ثم قال سبحانه: ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾، والموبق فهو: الهلكة التي وقعوا فيها؛ تقول العرب:" أوبق فلانا "، أي: أهلكه.

ثم قال سبحانه: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾، وإنما هو: أيقنوا، وهذا في لغة العرب صحيح: أن يقال:" ظن " في موضع:" أيقن "؛ يقول القائل:" أظن أني لآكل "، وهو لا يظن ذلك؛ بل يوقن أنه يأكل، ويقول القائل:" عسى أن أقوم "، و " عسى " هي في موضع شك، وهو يوقن بأنه يقوم؛ وكذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾[الأنبياء:٨٧]، ويونس صلى الله عليه فلا ينسب إليه جهل، وهو فلم يظن أن الله لا يقدر عليه؛ بل هو موقن بذلك[١]؛ ولكن هذا في لغة العرب جائز،

---

(١) - أي: لا ينسب إلى يونس عليه السلام جهلٌ بقدرة الله عليه؛ فهو لم يظن أن الله لا يقدر عليه؛ بل هو موقن بقدرة الله عليه. وذلك كما سيأتي في تفسير الآية لجده الإمام القاسم، وأبيه الإمام الهادي علهم =

يقول:" ظن " وإنما هو في بعض المخاطبة:" أيقن "؛ فكان ظنهم إيقانا. ﴿أنهم مواقعوها﴾، ومواقعوها فهو: داخلوها، صائرون فيها، ومخالطون لها؛ والشاهد على ما قلنا به من الظن: قول الله عز وجل في كتابه: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾، فشهد لهم بالإيمان، وقال: ﴿فظنوا﴾، وإنما هو: أيقنوا. ومعنى: ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾: والمصرف فهو: المنحرف، والذهاب والفرار إلى غيرها؛ فلا يجدون إلى ذلك سبيلا، وكان عندما عاينوا العذاب كما قال الله عز وجل: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾[سبأ:٥١].

ثم قال سبحانه: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾، وكذلك الله سبحانه: قد ضرب لهم أمثالا؛ تنبيها لهم وتعريفا؛ ليذكروا. ثم قال سبحانه: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾، والجدل فهو: المحاورة والكلام، والمخاصمة والمناظرة في ترديد الكلام، والمراجعة بالخطاب.

ثم قال سبحانه: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا﴾؛ لما كانوا عليه من الجحود والتمرد، والإنكار للحق والمكابرة فيه، حتى ينزل بهم ما نزل بأولئك من صنوف النقم. ومعنى: ﴿سنة الأولين﴾ فهو: ما كان الله ينزل بهم عند صدودهم؛ وذلك

السلام، قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:" ﴿فظن﴾ قولٌ من الله في يونسَ قالَه، يُبَيِّنُ للسامعين زلَّةَ يونس وإغفالَه؛ يقول سبحانه: ﴿فظن﴾ يونسُ ﴿أن لن نقدر عليه﴾ في إِبَاقِهِ من الفلك إلى من أبق إليه؛ فهو ليس يَظُنُّ؛ ولكنه مُقِرٌّ موقِنٌ بقدرتنا عليه، ونفاذِ أمرِنَا فيه، فَمَا أبق إلى الفلك فارًّا هاربا، وذهب مع يقينه بقدرتنا عليه مُغَاضِباً، إلا لإغفالِه وزَلَّتِه، التي نَجَّاهُ الله منها بتوبته؛ فهذا وجه: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾." وقال الإمام الهادي عليه السلام:" قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيهِ﴾، أراد بذلك من قوله: ﴿فَظَنَّ﴾ أي: أَفَظَنَّ أن لن نقدر عليه؟! وهذا على معنى الاستفهام؛ ولم يكن ظَنَّ ذلك صلى الله عليه."، فالآية دائرة بين: تشبيه التمثيل؛ ليبين حالته، كما فسر القاسم عليه السلام، أو استفهام التعجب من فعله، كما فسر الهادي عليه السلام، وفي جميع ذلك: لم يظن عدم القدرة؛ بل هو موقن بالقدرة. إذاً قد استُخْدِمَ الظنُّ في غير موضعه؛ تأمل.

قوله سبحانه في غير هذه السورة: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢)﴾[الأحزاب]؛ وسنته فهو: حكمه فيمن خالف أمره. ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾، والعذاب فهو: ما ينزل الله عز وجل بأهل المعصية، في الخسف والقذف والمسخ، والنار التي تقع بهم. ومعنى: ﴿قبلا﴾ يقول: أو معاينا مقابلا لهم، باغتا في غفلتهم. ومن سنة الأولين: الإقتداء بفعلهم، والجحدان كجحدانهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾، وكذلك هو عز وجل: إنما أرسل المرسلين مبشرين بثواب الله ونعيمه، وما أعد سبحانه لأهل طاعته؛ أرسل معهم بالحق المبين، والصدق الزاهر المستبين. و﴿منذرين﴾ فهو: محذرون معذرون لما بين أيديهم من العذاب.

ثم قال سبحانه: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾، ومعنى: ﴿يجادل﴾ أي: يحاورون ويتكلمون ويخاطبون. ومعنى: ﴿ليدحضوا﴾ فهو: ليفسدوا ويذهبوا ويغيروا الحق؛ والعرب تقول:" دحض فلان "، أي: سقط؛ فأراد بإدحاضهم للحق: طرحه وتبديله. ثم قال: ﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾، ومعنى: ﴿آياتي﴾ فهو: ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من المعجزات، والآيات الباهرات؛ هزوا ولعبا، ونسبوها إلى السحر والحيل، فلم يعتبروا بعظيم ما فيها من الرشد والهدى، وما أبان الله فيها من الدلائل لمن أمن وأتقى. ومعنى: ﴿ما أنذروا﴾: من العقاب والعذاب الشديد، وكان كل ذلك عندهم هزوا يهزأون به، ولا ينتفعون بشيء منه.

﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾، فكذلك: لا أظلم لنفسه ممن ذكر بآيات ربه، وعظيم أمره، فأعرض عن ذلك. ومعنى: أعرض عن ذلك –فهو: ترك الحق، وما أبان الله له من الصدق، حتى أهلكها، وفي أليم عذاب الله أوقعها. ومعنى: ﴿نسي ما قدمت يداه﴾ فهو:

نسيانه لمعاصيه، وما اجترحه من الذنوب المهلكة، وارتكبه من الخطايا الموبقة؛ فنسي تلك الذنوب التي قدم، ولم ينتفع بها ذكر؛ ولو رجع وتاب، وأقلع مما هو عليه من قبيح الأسباب -لغفر ذلك له.

ثم قال سبحانه: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾، وإنما معنى: ﴿جعلنا على قلوبهم أكنة﴾: تبكيت لهم وتقريع؛ لأنهم كانوا يزعمون، ويكذبون على الله ويفترون، ويقولون: إن الله قد جعل قلوبهم في أكنة، ومنعهم في اتباع نبيه، والدخول في طاعته. ﴿وفي آذانهم وقرا﴾، والوقر فهو: الصمم؛ ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل في غير هذا الموضع، حين يقول: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون(٥)﴾[فصلت]؛ فأراد الله عز وجل التقريع لهم بقولهم: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾، وتبكيتا على قولهم الذي نسبوه إليه أولا؛ والدليل على ذلك: قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾، يقول: إن كان الأمر كما قالوا: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ -فلن يهتدوا إذا أبدا؛ فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، ووقفهم على قبيح كلامهم.

ثم قال: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾، وكذلك الله عز وجل: غفور رحيم، لو يؤاخذهم على ذنوبهم، وما يكسبونه من قبيح أفعالهم -لأهلكهم؛ ولكن أملى لهم، كما قال في غير هذه السورة: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾[آل عمران:١٧٨].

ثم قال سبحانه: ﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾؛ فأخبر عز وجل: أنه قد أخر عقوبتهم إلى يوم بعثهم. ومعنى: ﴿موئلا﴾ فهو: مذهب ومعدل ومكان يؤلون إليه.

ثم قال سبحانه: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم

موعدا﴾، فكذلك كان فعل الله عز وجل، فيمن سلف من أهل الظلم والعدوان: أهلكهم بما كان منهم من الفسق والعصيان.

ثم قال سبحانه: ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا﴾، أي: يمضي في طلب ذلك دهرا طويلا، وسنين كثيرة. وقد قيل: إن مجمعهما بناحية البصرة، حيث اجتمع المالح والعذب معا بقدرة الله سبحانه. والقول الأول: أشبه عندنا بالحق، وأقرب - بعون الله - إلى الصدق.

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾، والحوت فهو: حوت كان مع رسول الله صلوات الله عليه يأكل منه هو وفتاه، فلما نهضا للرحيل نسيا الحوت، فرجع فتى موسى، فوجده قد ذهب في البحر حيا سويا.

﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾، ومعنى: ﴿جاوزا﴾ أي: خلفا الموضع الذي كانا فيه. ومعنى قوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ يعني: شدة وتعبا.

﴿قال أرءيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيلة في البحر عجبا﴾، ومعنى ﴿أوينا إلى الصخرة﴾ فهو: نزلا عندها، وحطا تحتها. ومعنى: ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾: فإن في حياة الحوت ودخوله البحر عجبا، وأيما عجب.

﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾، والذي قال ذلك فهو موسى صلى الله عليه، أي: ذلك ما كنا نريد من آيات الله أن نراها ومثلها. ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ يقول: رجعا إلى الموضع؛ والقصص يعني: الأثر [1]، والأثر فهو: أثرهما وطريقهما.

(١) - في القاموس المحيط في " قصَّ" :" قصَّ الشيء: تتبعه. وقال أيضا في:" الأثر ": ائْتَثَرَه وتَأَثَّرَهُ: تَبِعَ أَثَرَهُ.

ثم قال سبحانه: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾، وقد قيل: إن العبد الذي وجداه هو الخضر عليه السلام. وقيل: غيره من عباد الله.

ثم قال سبحانه مخبرا عن موسى عليه السلام: ﴿قال له موسى﴾- عليه السلام -﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبرا(٦٧)﴾، فسأله موسى صلى الله عليه الصحابة، وأستأذنه في التبع له، على أن يتعلم من علمه، ويقتبس مما من الله به عليه؛ فأخبره: أنه لن يستطيع معه صبرا، ثم قال له: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾، فأخبره: أنه لا يقدر على الصبر؛ لقلة إحاطته وخبرته بما يفعله.

وقال الله عز وجل يخبر عن موسى عليه السلام: ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٦٩) قال فإن أتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠)﴾، فقال العبد الصالح لموسى: إن أتبعني فلا تسألني عن شيء أفعله، ولا تعارضني من الأمر فيما أعلمه، حتى أخبرك به، وبمعانيه وتأويله، ابتداء مني. وعقدا أمرهما على ذلك.

ثم قال سبحانه: ﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾: العبد الصالح، فاستنكر موسى من فعله، واستوحش لما عاين من عمله، ولم يقف على ما أمر الله به الخضر في أمرها، وخشي موسى الغرق على أهلها، ولم يفهم العلة التي كان خرق السفينة من أجلها، فـــ﴿قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾، ومعنى ﴿إمرا﴾ فهو: المبتدع المنكر.

ثم قال سبحانه يخبر عن رد العبد الصالح على موسى: ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾، وهذا محكم لا يحتاج إلى تفسير.

﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾، فمعنى ﴿ترهقني﴾ أي: تكلفني، وتحمل علي. ﴿من أمري عسرا﴾ أي: شططا وتعبا.

ثم قال سبحانه: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا (٧٤) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٥)﴾، فكان موسى صلى الله عليه يرى من أفعال الخضر أشياء ينكرها، ولا يقف على ما أمر الله به فيها، فيخاطبه بها، ويعاتبه فيها، ولم يكن عنده معرفة أمرها على حقيقتها، فيكون منها على بصيرة، وكان العالم يفعل ما أمر الله، وما قد أطلعه عليه، وأمره به فيه، فعجل موسى صلى الله عليه بالمخاطبة والكلام والإنكار؛ لعظيم ما يرى فيها؛ إذ ليس عنده صحة من أمرها، ولا علم بحكم الله سبحانه فيها. ومعنى: ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾ فهو: لقد جئت شيئا قبيحا مستنكرا، ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾. وقد قيل: إن الغلام كان صبيا صغيرا. وليس ذلك عندنا بصحيح؛ بل كان الغلام كبيرا بالغا، والعرب تسمي ابن العشرين والثلاثين سنة: غلاما.

﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا (٧٦) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجد جدارا يريد أن ينقض فأقامه﴾، ومعنى: ﴿ينقض﴾ فهو: يسقط. ثم قال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾، ومعنى ﴿أجرا﴾ فهو: أجرة وجعلا.

﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا (٧٨) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها﴾، إلى قوله: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا (٨٢)﴾، وهذا الآيات محكمات بينات، لا يحتجن إلى تفسير مفسر؛ لأن الله سبحانه قد بينهن وأوضحهن، وتلاوتهن وتفسيرهن واحد؛ وقد فسرنا منهن ما يحتاج إلى تفسير.

ثم قال سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾، وذو القرنين: فرجل من الروم، كان عبدا صالحا، واسمه: الإسكندر. وقد قيل: إنه سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ مطلع الشمس

ومغربها. وقيل: إنه رأى في النوم أنه أخذ بقرني الشمس. ومعنى: ﴿سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾ أي: سأخبركم منه خبرا وذكرا، مشروحا بينا.

ثم قال سبحانه: ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾: فكان التمكين من الله له في الأرض كما قال عز وجل؛ والسبب الذي آتاه الله فهو: سبب توفيق وتسديد، ونصر وتأييد. ومعنى: ﴿من كل شيء﴾ فهو: في كل شيء من أمره سببا.

﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾، فالعين الحمئة هما: العين ذات الحمأة [(١)]. وقد قيل: إن الحمئة: البعيدة. وقيل: إنها الحارة. والقول الأول أصوب.

﴿ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٨٨)﴾، وكان ذلك أمرا من الله عز وجل، بسطا له في الحكم، وكان قول ذي القرنين رحمة الله عليه في ذلك عدلا، وكلام صدق رضيه الله منه. ومعنى: ﴿يعذبه عذابا نكرا﴾، فالنكر هو: الشديد الذي لا يعرف من عذاب الدنيا؛ لهوله وشدته.

﴿وأما من ءامن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا﴾: فكل هذا قائم بنفسه، مستغن عن التفسير بنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿وحتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾، ومعنى: ﴿لم نجعل لهم من دونها سترا﴾، يقول: لم نجعل لهم من دونها حجابا يحجبها عنهم، ولا يواريها عن أعينهم.

---

(١) – قال في القاموس المحيط: الحَمْأَةُ: الطِّينُ الأَسْوَدُ المُنْتِن. وقال في شرحه تاج العروس:" ويقال :" حَمِئت البئرُ حَمَأً فهي حَمِئَةٌ " إذا صارت فيها الحَمْأَةُ . وفي التنزيل " تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ "، وقرأَ ابنُ مسعود وابنُ الزُّبَيْر: " في عَيْنٍ حامِئَةٍ "، ومن قرأَ:" حاميةٍ " بغير همزٍ، أرادَ: حارَّة؛ وقد تكون حارَّةً ذاتَ حَمْأَةٍ .

ثم قال سبحانه: ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾، ومعنى: ﴿لديه﴾ فهو: ما عنده وما هو فيه؛ والخبر فهو: العلم بجميع أمره.

﴿ثم اتبع سببا﴾، يقول: اتبع سببا من أسباب الله التي أعطاه إياها، ووفقه لها.

﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣)﴾، ومعنى: لا ﴿يفقهون﴾ فهو: لا يفقهون ما يكلمون به؛ وقد يمكن أن يكون ذلك منهم لعجمة شديدة، أو لبلاهة وشدة جفاء، وبطو أذهان، وقد تقول العرب للإنسان إذا كان كذلك:" ما يفقه شيئا ".

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾، ويأجوج ومأجوج: اسمان لقبيلتان، كما قال: همدان وخولان؛ وقد يمكن أن يكونوا سموا يأجوج ومأجوج؛ لكثرة أجيجهم وعجيجهم، وموجان بعضهم في بعض؛ ولذلك سموا بهذين الاسمين، فكانوا يفسدون في الأرض، ويعيثون فيها فسادا وتخريبا؛ وهم خلق عظيم كثير جدا.

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥)﴾، ومعنى: ﴿خرجا﴾ أي: مالا

نسلمه إليك، وعطاء نجزله لك، على أن تدفع عنا شرهم، وتكفينا ما قد أحاط بنا من شرهم؛ والقوة التي سألهم فهي: المعونة، وإحضار ما أمرهم به من زبر الحديد. ثم قال: ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾، والردم فهو: البناء الذي يوضع بعضه على بعض، الكثيف المحكم.

ثم قال: ﴿ءاتوني زبر الحديد﴾، والزبر فهي: القطع الكبار. ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾، والصدفان فهما: لحيا الجبلين؛ فردم - رحمه الله - الحديد

بعضه على بعض، حتى سد ما بين الجبلين، وبلغ بناؤه بالحديد رؤوس الصدفين. ثم قال: ﴿قال انفخوا﴾، والنفخ عليه فهو: إلهاب النار فيه، ونفخهم عليه. ﴿حتى إذا جعله نارا﴾، يقول: حتى إذا صار نارا تتوقد. ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾، والقطر فهو: النحاس، ولما أن سكبوا النحاس فيه -انسبك هو والحديد معا، وصار الردم قطعة واحدة، لا يتزحزح من مكانه، ولا يطيق أحد طلوعه.

ثم قال: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾، ومعنى: ﴿اسطاعوا﴾، أي: لم يقدروا أن يظهروا فيه؛ لعلوه وشموخه، واستواء أرضه، ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾، يقول: لم يستطيعوا أن ينقبوه؛ لعظمه وشدته.

ثم قال: ﴿هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا﴾، يقول: إذا جاء وقت القيامة جعله الله دكا؛ والدك فهو: المهدوم المكسر الساقط؛ وخروجهم من ذلك السد من علامات الساعة والقيامة، وهو قوله سبحانه: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (٩٦) واقترب الوعد الحق﴾[الأنبياء:٩٦، ٩٧]. ومعنى قوله: ﴿هذا رحمة من ربي﴾ أي: فضل منه وإحسان عليكم في استقامة هذا الردم، ولولا فضل الله جل شأنه ما نلنا ذلك، ولا قدرنا عليه. وقد قيل: إن جماعة من يأجوج ومأجوج هربوا منه عندما أراد أن يسد عليهم، فبلغه ذلك، فأمر جماعة أن يتبعوهم ليردوهم عند نفرتهم، ولم يلحقوهم وأعجزوا عن الرد لهم، فقيل له: إنهم قد أعجزوا وذهبوا. فقال رحمة الله عليه: اتركوهم، اتركوهم. وهم هؤلاء الترك الذين يعرفون؛ فسموا بقوله:" اتركوهم ": الترك؛ اشتقوه لهم من الترك. ثم قال: ﴿وكان وعد ربي حقا﴾، يقول: صدقا لا خلف فيه.

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾، ومعنى: ﴿يموج في بعض﴾ فهو: ما يكون عند فتح يأجوج ومأجوج، من الهرج والمروج، والفتن والعظائم. ﴿ونفخ في الصور﴾ فهو: نفخ في صور الآدميين

للبعث. ومعنى: ﴿فجمعناهم جمعا﴾ فهو: جمعهم للحساب جمعا، مستحصى متى لا يغادر سبحانه منهم أحدا.

ثم قال عز وجل: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾، وعرضها لهم فهو: معاينتهم لها، ومحاضرتهم إياها، وإيقانهم بها. ثم قال: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾، يعني بذلك: الكافرين؛ أن أعينهم في غطاء؛ والغطاء فهو: الغفلة التي كانوا عليها؛ فلم يكونوا ينتفعوا بما يرون من الآيات، ويعاينون من الأمور الباهرات، وقد شغلهم الهوى، والميل إلى الدنيا، حتى كانوا عن مشهد يوم القيامة في غطاء؛ والغطاء فهو: ما كانوا عليه من الغفلة والونى[1].

ثم قال: ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾، ومعنى: ﴿كانوا لا يستطيعون سمعا﴾ يعني: أنهم كانوا لا يقدرون من البغض للحق والتكذيب له استماعا، وكانوا يبغضون استماعه؛ للذي كانوا عليه من الصدود عن الحق، وقلة استماعهم له، وكانوا يفعلون من ذلك فعل من لا يستطيع أن يسمع؛ والسمع هاهنا فهو: الطاعة لله ولرسوله، وهذا في لغة العرب موجود، يقول الرجل للرجل:" اذهب معي إلى فلان "، فيقول:" لست أستطيع أنظر إليه "، يقول من بغضه، وهو يستطيع أن ينظر إليه، فلما أن كان مبغضا شانئا لأمره -جاز أن يقول:" لا أستطيع "، ويقول القائل:" لا أستطيع أن أدخل عليك من بغضك "، وهو يقدر أن يدخل عليه، فكان هذا من بغضهم للحق، جعلتهم أنفسهم من أتباع شيطان، حتى لا يقدروا أن يستمعوه، ولذلك ضرب الله لهم الأمثال في قلة الاستماع: قال الله سبحانه: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾، واتخاذهم عباده من دونه فهو: إيثارهم

(١) – الونى هو: الضعف والفتور، والكلال والإعياء.

بالطاعة على الله سبحانه، حتى اتخذوهم من دونه أولياء، ومعنى: ﴿أفحسب﴾ فهو: وعيد وتقريع.

ثم قال: ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾، والنزل فهو: العطاء والجزاء؛ لأن العرب تقول إذا نزل الإنسان على ما يكره: نزل نزلا قبيحا، فلما أن كان عطاؤه سبحانه في الآخرة، ونزله لهم جهنم -قال: ﴿نزلا﴾ أي: جزاءا من الله وتنكيلا، وعذابا شديدا؛ إذ كان خروجهم من أجداثهم، وحضورهم يوم القيامة إلى ربهم -طريقا إلى منزل البلاء، ومحل الشقاء.

ثم قال سبحانه: ﴿هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا (٤٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (٤٤)﴾؛ فكذلك: كل من تعلق بالباطل وترك الحق، ومال بجهده عن القصد، وتوهم أنه على طريق رشده؛ فكانت الجاهلية تعمل أصناما، وتوقد نيرانا، تقول: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفا؛ فكانوا يتوهمون أن عبادة الأصنام تقربهم إلى الله سبحانه، فكان هذا من السعي الضال، الموجب للنيران، والخزي والهوان. ومثل ما ترى في الآن كثيرا من أهل دهرك، ممن هو كلف ببدعة، لهج بشبهة، يصف الغي رشدا، والجور قصدا، فهو ضال عن المحجة، مسترسل في الغفلة، غير راجع إلى الحق، ولا طالب للصدق -وذلك أيضا ممن قد ضل سعيه في الحيوة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

ثم قال سبحانه: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾، فسما هم: كافرين به، غير مصدقين بلقائه؛ واللقاء فهو: الآخرة والبعث والحشر. ثم قال سبحانه: ﴿فحبطت أعمالهم﴾، وحبطت فهو: بطلت. ثم قال: ﴿ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾، يقول: فليس لهم يوم القيامة عمل يعطون عليه، ولا يثابون فيه، كما قال سبحانه: فـ﴿أما من خفت موازينه (٨) فأمه هاوية (٩)﴾[القارعة]، أراد بالموازين: العمل.

ثم قال سبحانه: ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا ءاياتي ورسلي هزوا﴾، والهزؤ فهو: الاستخفاف والاطراح والتكذيب؛ فكانوا يتخذون آيات الله العظيمة الباهرة، ورسله الصادقة الباهرة –هزوا، فحق عليهم من الله الوبال، وصاروا بكفرهم إلى شر حال.

ثم قال سبحانه: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾، ومعنى: ﴿الفردوس﴾ فهو: اسم لفاخر الجنان، وعظيم منازلها، وأكرم محلها؛ والنزل فهو: العطية والكرامة التي ينزلهم الله بها، ويحلهم فيها.

﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾، فالخالد فيها هو: الدائم الباقي الذي لا يزول عنها. ومعنى: ﴿يبغون عنها حولا﴾ فهو: لا يطلبون بها بدلا، قد عظم سرورهم بها، واشتد جذلهم بدخولها، فهم لا يبغون بها غيرها، مخلدون أبدا فيها.

ثم قال سبحانه: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثلة مددا﴾، قال محمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، وقد أثبت تفسيره لها، وشرحته في كتابي هذا، وما كان يقول به في تأويلها، فأثبتها على ما أجاب به، ولم أحب أن أشرح غير شرحه، واجتزيت فيها بقوله، فقال صلوات الله عليه: ﴿قل لو كان البحر مداد لكلمات ربي﴾، والكلمات فقد تكون: المحكمات، وحكمة الله لا ينفدها منفد، ولا يقدر على إحصائها كلها أحد، وكيف يحيط بكلمات الله؟! لو كان البحر مدادا لنفد قبل نفادها، ولو جاء بمثلها مددا لها، إلى أن ينقطع ذلك أبدا.

ثم قال سبحانه: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾، وكذلك الله عز وجل: واحد أحد، صمد فرد. وقال: ﴿فمن كان يرجوا لقاء

ربه﴾، واللقاء فهو: العودة بعد الموت، والرجعة من بعد البلاء، والمحاضرة لما قد قدموه من جميع الأشياء، وحضور القيامة.

ثم قال: ﴿فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾، ومعنى: ﴿فليعمل عملا صالحا﴾، والصالح هو: ما افترض الله على خلقه، ودلهم سبحانه عليه في كتابه، وعلى لسان نبيه، من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والتقرب إلى الله سبحانه بما كان من سوى ذلك من النوافل، وكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه، ويزلف لديه. ومعنى: ﴿لا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾، يقول: لا يشرك في طاعة ربه وعبادته أحدا من خلقه، وقد يكون ذلك بالطاعة والرياء.

انتهى؛ والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله الطاهرين.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿كهيعص (١)﴾[مريم: ١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿كهيعص﴾، و﴿حم﴾، و﴿الر﴾، وما أشبه ذلك من أول السور؟

وأعلم - أعاننا الله وإياك على طاعته-: أن هذه الأحرف أحرف لم يتعبد الله أحدا فيها بأكثر من الإقرار بها؛ كنا الله تفسيرها عن نبيه، فضلا عن غيره، ولو أطلع الله عليها نبيه، ولو أطلع عليها وصيه -إذا لعرفها علماء أهل بيته، فلما أنا لم نجد ذلك مفسرا عن رسول الله عليه السلام، وآله، ولا اللغة المستدل بها - علمنا أن هذه الأحرف أحرف لم يكلف الله تفسيرها؛ إذ ترك إطلاع نبيه عليها، غير أنه قد تكلم متكلمون، وخبط خابطون، بغير معرفة ولا بصيرة ثاقبة؛ تكمها منهم وعمى؛ فأنكرنا ذلك من فعلهم، وكرهنا من عملهم، فخشينا إن فسرنا أن نقع في ما كرهنا، ونصير إلى ما أنكرنا، فتركنا المنكر عندنا؛ لما بان من الصواب لدينا؛ فنسأل الله العون على طاعته، والقيام بواجب حقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾[مريم:٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : يعني: أي: لم أكن –لما أعلم من رحمتك ورأفتك، واستجابتك لمن دعا، بما تعطيه عند الدعاء من مواهب نعمتك – بأشقى خلقك في سعة رحمتك، بأن تجيبني من الإجابة عند دعوتك؛ تواضعا من زكريا صلى الله عليه، وأنه لا يزكي نفسه، ولا يوجب لها الإجابة من الله إلا بإحسانه وفضله وامتنانه، وأنه لم يوجب على الله إجابته في دعائه، إلا بفضل الله ورحمته، وجوده في عطائه، هذا وزكريا نبي من أفاضل الأنبياء، في طاعة الله وعمل البر والتقى .

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾[مريم: ٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه، فيما يذكر عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا﴾؟

فقال: الموالي فهم: العصبة الوارثون، وقوله: ﴿خفت﴾ فهو: خفتهم على دينك أن يعطلوه من بعدي، ويرفضوه بعد وفاتي، ولا يقومون بما أوصيتني به وأمرتني؛ فسأل ربه أن يهب له عقبا ولدا ذكرا، يرثه حكمته وعلمه، ويرث حكمة آبائه وأجداده آل يعقوب؛ فأجابه الله، فوهب له يحيى صلى الله عليهما، ومعنى قوله: ﴿كانت امرأتي عاقرا﴾، والعاقر: التي لا تلد.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨)﴾[مريم:٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه

السلام:

قوله عز وجل: ﴿وقد بلغت من الكبر عتيا﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: العتي: القديم الذي قد بلغ صاحبه غاية ما يكون، من قسوته ويبسه وشدته عند الهرم .

قوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)﴾[مريم:١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: القوة هاهنا: ما وهب الله ليحيى، من فضل اللب والفهم والحكمة ؛ فكانت القوة التي جعلها الله فيه من ذلك قوة قوته، ونعمة ذكرها الله أنه أنعم بها عليه، شريفة سنية، فمن فضل قوته: ما آتاه الله في الصبا من حكمته، فكان في ذلك على أفضل ما يكون عليه الكبير الكامل من الأنبياء في كمال سنه وإطاقته؛ والحنان: الرحيم.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

رأيت لبعض آبائنا -صلوات الله عليهم- في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيا(١٢)﴾[مريم]: أنه قال له الصبيان:" اذهب بنا نلعب"، وهو ابن ثلاث سنين، فقال صلوات الله عليه:" ما للعب خلقنا "، وكان ذلك بإلهام من الله -سبحانه- له؛ لأن ابن ثلاث سنين في مجرى العادة، لا يبلغ حسه هذا الحد.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)﴾[مريم:١٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿حنانا من لدنا﴾ هو: رحمة وتحننا عليك، ومعنى تحنن فهو: تعطف ورحمة، وإجابة وكرامة؛ ﴿وزكاة﴾ فهو: زاكيا طاهرا؛ والتقي فهو: المؤمن الخائف لله المتقي، ومعنى قوله: ﴿من لدنا﴾: من قبلنا وعندنا ومنا.

قوله تعالى:﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[مريم:١٧]

قال في كتاب المنتخب للإمام الهادي عليه السلام:

ما أحسب - والله أعلم -: أن معنى قول الله تبارك وتعالى في مريم عليها السلام حين يقول سبحانه: ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾، فما أراد في ذلك عندي - والله أعلم -: إلا بعدا وتنحيا من قربهم، حتى احتجبت بالمسافة بينهم وبينها أبصارهم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)﴾[مريم: ٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وكان أمرا مقضيا﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يعني أمرا نافذا فيه المشيئة، لا بد أن تكون فيه الآية التي أراد الله مقضية.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾[مريم:٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿فأجاءها المخاض﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يعني: أصارها وألجأها .

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾[مريم:٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿تحتك سريا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: السري هاهنا: الولد الذي وهبه الله لها، البر التقي، ومن أسرى أو أنبل أو أتقى من عيسى صلى الله عليه؟! وأين عطية أو ولد وهبه أفضل مما وهبه الله، وجعل تحتها منه؟!

قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[مريم: ٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الصوم هو: المعروف من صيام الأيام، وهو: الإمساك عن الشراب والطعام، غير أنه كان من معروف صوم العباد من بني إسرائيل، مع الإمساك من الشراب والطعام: الوقوف

بالصمت عن الكلام، لاتقاء اللغو، واللفظ بالآثام .

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)﴾[مريم:٢٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿لقد جئت شيئا فريا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الفري: الفاحش، والفرية والشتيمة: الفاحشة.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم:٤٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذه الكلمة تقال عند جهل الجاهل، يقولها عند طيش الجاهلين الحلماء من المتقين، وتوقير إبراهيم عليه السلام لأبيه في أبوته، وبره بالوالد، قبل أن يبين عنده ما بان له من مشاقته لله وعدواته؛ هذه الكلمة منه صلى الله عليه مخرجها مخرج توقير ورفق بأبيه، عند دعائه له من أمر الله إلى ما دعاه إليه، فلما عصاه، واستكبر عن الهدى والحق فأباه -بان له أنه عدو لله، وكان من إبراهيم ما ذكر الله عز وجل في كتابه، من ترك الاستغفار له والتبرؤ منه، وقطع الولاية بينه وبينه والإعراض؛ قال الله سبحانه: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾[التوبة: ١١٤].

قوله عز وجل: ﴿واهجرني مليا﴾: قال محمد بن القاسم بن إبراهيم: أي: مجتهدا.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾[مريم:٥٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ورفعنه مكانا عليا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: قيل: إن الله رفع إدريس صلى الله عليه إلى السماء، فكان سماويا. وهذا ما لا ينكره أحد يعقل من المؤمنين؛ أن يفعل بمن شاء من أنبيائه الصالحين.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)﴾[مريم:٥٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿خروا سجدا وبكيا﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: البكي: الباكون.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾[مريم:٥٩]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

يقول: فسوف يلقون عذابا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾ [مريم:٦٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤)﴾: ما معنى: ﴿وما بين ذلك﴾؟

الجواب: اعلم أن هذا الكلام كلام ملائكة الله عليهم السلام، فأخبروا أنهم لا يتنزلون إلا بأمر ربهم، وأقروا له: أن ما بين أيديهم، وهو: ما يكون أمامهم وقدامهم، وما خلفهم، وهو: ما يكون ورائهم وأعقابهم، ﴿وما بين ذلك﴾ فهو: مكانهم، وما كانوا فيه حيث هم زمانهم؛ فكل ذلك لله تبارك وتعالى، ونافذ فيه حكمه وأمره.

قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]

قال في كتاب التبصرة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام:

قال: ﴿هل تعلم له سميا﴾، أي: مثلا ونظيرا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)﴾ [مريم:٧١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما

مقضيا﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل بورودهم إياها: حضورهم لها، ولم يرد دخولهم فيها، فلما أن كانوا يشاهدونها ويبصرونها -قال سبحانه: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾، والقرآن فعربي، وإنما خاطب الله سبحانه العرب بلغتها، والعرب تقول:" وردنا البير "، ولم يريدوا بورودها: دخولا فيها؛ ولكنهم دنوا منها، وأشرفوا عليها، ولو كانوا يدخلونها كما تقول العامة -لكان ذلك خلافا لقوله سبحانه، حيث يقول: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[الأنبياء:١٠٣]، وقال عز وجل: ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، وأي خزي هو أشد من دخول النار، ويقول سبحانه: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾[الأنبياء:١٠٢]، وإذا دخلوها فقد ذاقوا حرها، وسمعوا حسيسها، وأرف[١] بهم بأسها، وانطبق عليهم لهبها؛ وهذا من القول فمحال، لا يقال به في الله ذي العزة والجلال.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الثامنة والثلاثون: عن قوله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾: هل يعني بذلك العرض، أم النار؟

الجواب عن ذلك: أن المراد: العرضة؛ ولا بد من ورود جميع الخلق لها للحساب، المؤمن يحاسب حسابا يسيرا، والكافر عسيرا، فإذا كان ذلك نجى الله الذين اتقوا، وترك الظالمين فيها جثيا؛ لعظم الخطب، فيبعث عليهم عنقا من النار، مثل السيل، فتجترفهم كما يجترف السيل الغثاء، فيرمى بهم في النار؛ روينا ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

---

(١)- هكذا في النسخة المنقول منها؛ فينظر في هذه الكلمة.

وقال كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

ورودها: حضورها فقط؛ لأن الورود في اللغة بمعنى: الحضور، كقوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾، أي: حضر من غير خوف ولا حزن على المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾، وقوله تعالى: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣)﴾[مريم:٧٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله لا شريك له: ﴿وأحسن نديا﴾؟

فقال: الندي: المجلس، وكذلك الندي والنادي، ولذلك قال الله في لوط صلى الله عليه، حين قال لقومه: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾[العنكبوت:٢٩]، يعني بالنادي: المجلس.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (٧٤)﴾ [مريم: ٧٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾؟

يقول: نعمة ورياشا؛ والأثاث: ما ينتفع به من الفرش والآلة، وما يحتاجون إليه الخلق في منازلهم وديارهم. ومعنى: ﴿رئيا﴾ فهو: نعمة ومنظر، يقول: أحسن منظرا، وأهيأ خلقا منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)﴾ [مريم:٧٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : هذه دلالة من الله سبحانه على أن من ضل وعصى، كلما مد له من التأخير والأجل -كان ذلك أروى وأشر، وكان عذابه - إذ لا يتوب من خطيئته في طول المدة والمهل - أكبر وأعظم، وأوفر وأجل؛ لأنه كلما مد له في مهلة كان أكبر؛ لما يرتكب من سيئات ذنوبه، وكان أكبر؛ لما يحله الله من العذاب في معاده.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)﴾ [مريم:٧٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾؟

فقال: معنى: ﴿كلا﴾ فهو: بلى، وهي: كلمة تستعملها العرب فيما توجبه على أنفسها. ومعنى: ﴿سنكتب﴾ فهو: سنحفظ ما يقول ونحصيه، حتى نوقفه يوم القيامة عليه. ومعنى قوله: ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ فهو: نمد له من الإملاء

مدا طويلا، فسمى الإملاء هاهنا: عذابا؛ إذ كان إملاؤه له بما يزداد به إثما، ويكتسب له عذابا في الآخرة وخزيا، فلما أن كان الإملاء سببا للعذاب -جاز أن يقول: ﴿نمد له من العذاب مدا﴾.

قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)﴾ [مريم:٨٣]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة:

معنى قوله سبحانه: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم﴾ - هو: خلينا، ولم نحل بين أحد من بعد أن أمرنا ونهينا. وليس إرساله للشياطين؛ إلا كإرساله للآدميين، فكل قد أمره بطاعته، ونهاه عن معصيته، وجعل فيه ما يعبده به من استطاعته، ثم بصرهم وهداهم، ولم يحل بين أحد وبين العمل، فمن عمل بالطاعة أثابه، ومن عمل بالمعصية عاقبه، ولم يخرج أحدا من معصيته جبرا، ولم يدخله في طاعته قسرا، فكان ما أعطى من أعطى من الجن والإنس من الاستطاعات، وترك قسرهم على الطاعات -إرسالا وتخلية منه لهم في الحالات، لا ما يقول به أهل الجهالات؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [الأنفال: ٤٢]، فلما خذل الكافرين بكفرهم، ولعنهم بجرأتهم، وتبرأ منهم بعصيانهم -غريت بهم الشياطين، وسولت لهم وأملت، فاتبعوها ولم يعصوها ويبعدوها، ولم يتذكروا عندما يطيف بهم طائف الشيطان؛ بل تكمهوا، وغووا وعموا، ولم يكونوا في ذلك عنده كالذين اتقوا؛ فيفعلوا عند إلمام الشيطان بهم كما فعلوا؛ قال الله سبحانه: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١]، يقول سبحانه: ذكروا ما نهاهم الله عنه من طاعته، وأمرهم به من مخالفته واتخاذه عدوا، حين يقول: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من

أصحاب السعير﴾ [فاطر: ٦]، فلما أن طاف بالمؤمنين، ودعاهم إلى ما أجابه إليه – من الكفر بالله – الفاسقون –ذكروا الله؛ تذكروا أمره ونهيه، وما أمرهم به من طاعته، وحذرهم من معصيته، فأبصروا الحق واجتنبوا اللعين وعصوه، وفيما دعاهم إليه من العصيان خالفوه؛ ألا تسمع كيف أثنى عليهم بذلك ربهم، وذكر عنهم سيدهم وخالقهم، حين يقول: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢]، يقول سبحانه: إن عبادي المؤمنين، وأوليائي المتقين –لا يجعلون لك عليهم سلطانا، ولا يطيعونك فيما تأمرهم به من العصيان؛ بل يحترسون منك بطاعة الرحمن، وتلاوة القرآن، ويخالفونك صاغرا في كل شأن، فلا يجري ولا يجوز لك عليهم سلطان؛ وليس تخليته للشياطين، إلا كإذنه للساحرين، حين يقول: ﴿وما هم بضآرين به من أحد إلا بإذن الله﴾، فإذنه في ذلك: تخليته، وترك الصرف لهم جبرا عن معصيته، والإدخال لهم جبرا في طاعته.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم إنما تعد لهم عدا﴾، فقلت: ما الحجة في ذلك عليهم، ولم يعذبهم؛ إذ كان هو المرسل لهم، فمعنى الإرسال من أرحم الراحمين، لمن ذكر أنه أرسله من الشياطين هو: التخلية من الشياطين، والكفرة الفاسقين، وترك الحول بينهم وبينهم؛ لأن الله لا يوقع الخذلان، بأحد ممن عصاه من الإنسان، إلا من بعد تركه للطاعة والتقوى والإيمان، ومن رفع عنه التوفيق والإحسان –وقع عليه ولزمه الخذلان، فأزته الشياطين، ومن كان الشيطان له قرينا فساء قرينا، والأز من الشيطان فهو: الإغواء والوسوسة للكافرين، والتدلية [من:" دلاه ": أوقعه بغروره فيما يريد، وهو من إدلاء الدلو] لهم فيما يكون به عذابهم يوم الدين؛ فهذا معنى إرسال الله للشياطين، لا ما يتوهم عليه

من ضعف من الجاهلين [١].

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾، والمراد به: أنه أرسلهم وخلاهم وتركهم. ومما يدل على أن ذلك ومثله جزاء من الله تعالى لهم على معصيتهم: قول الله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾[آل عمران:١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)﴾ [مريم:٨٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يخبر الله تبارك وتعالى: أن آجال العصاة الكفرة من العبيد -آجال عدد تفنى عن قليل وتبيد، وأنها ليست بآجال بقاء وتخليد.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾[مريم:٨٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الإد من الأمور والأقاويل: فما امتنع إمكانه في العقول، فلم يطق له أحد

---

(١) – هذا منقول من النسخة المطبوعة، وفي النسخة الخطية: ذكر الآية، ثم قال:
الإرسال من الله للشياطين على الكافرين هو: التخلية بينهم وبينهم، وترك الدفع لهم عنهم. ومعنى: ﴿تؤزُّهم﴾ فهو: يخزيهم إخزاء، بما يكون منهم إليهم، من الإطغاء الذي به يصلون، إلى عذاب الهون؛ والأزُّ فهو: كلُّ ما كان من طريق الخزي والصغار، والهلكة والإذعار. إهـ.

احتمالا، وكان في نفسه فاسدا محالا، وهو كما قال الله سبحانه: ﴿وما ينبغي﴾، وذلك: فما ليس بممكن ولا متأتي.

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)﴾[مريم:٩٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ .

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : الود: المحبة والرضى، عنده وعند الصالحين من أهل الأرض، وجميع الملائكة من أهل السماء؛ ولكفى بهذه فضيلة، ونعمة جليلة: أن يكون من ثوابهم في حياة دنياهم ومرجعهم -رضي الله عنهم، ووده ومحبته لهم، وود أهل سماواته والصالحين ممن في أرضه -إياهم .

قوله تعالى: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)﴾[مريم:٩٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل:﴿وتنذر به قوما لدا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : اللد : من كان يبدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قريش والعرب من أهل الجاهلية ، فيدبرون عما يلزمهم من حجج الحق، ويجحدون ما يبين لهم من ذلك ويتناهون، وهم الذين ذكر الله فقال: ﴿بل هم قوم خصمون﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾ [مريم: ٩٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾؟

فقال: الركز هو: الحس.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الركز في اللسان هو: الذكر والحس.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قال تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾، وقال المؤيد بالله: وروي عن القاسم عليهما السلام: أنه قال: الركز: الصوت، ذكره في جواب مسائل سئل عنها.

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله لا شريك له: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟

فقال: هو: ملك وعلا، وكذلك تقول العرب فيمن ملك بلدا، وغلب ملكه فيه: إنه قد استوى عليه؛ إذ ملك وغلب فيه، وليس يتوهم ما ذكر الله من ذلك استواء مقعد، ولا مشابهة في القعود بين الله وبين أحد. وكذلك: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [فصلت:١١] فهو: علوه عليها، ونفاذ أمره، وخلقه وصنعه فيها.

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

ما معنى قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟ وقوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[هود: ٧]؟

قلنا له: إن العرش هو: الله؛ إذ كان العرش اسما يدل على الله؛ لأن العرش من صفات الملك، وليس هو: عرش مخلوق، إنما هو اسم من أسماء الملك يدل على ملك الله، ومعنى:" يدل على ملك الله ": أنه يدل على الله؛ إذ هو الملك بنفسه؛ فكان في المعنى عندنا سواء: أن يقول القائل:" لا ملك إلا ملك الله "، أو يقول:" لا عرش إلا عرش الله "؛ فلذلك قلنا: إن العرش متصل بالله كاتصال الكف بساعدها؛ لأنه في غاية المعنى: أن العرش: علو الله على جميع الأشياء بنفسه؛ وإنما مثل الله علوه على جميع الأشياء وإحاطته بها كعلو الملك على سريره إذا استوى

عليه، واستعلى فوقه -في المثل لا غيره، وليس في الشبه والصفة: إلا في المثل.

والعرش الذي ذكره الله عز وجل هو: مثل ضربه الله في استوائه على ملكه، وإنما تفسير هذا المثل الذي ضربه الله لعباده في العرش والكرسي: أن الملك من ملوك الدنيا إذا قعد على كرسيه وعلى سريره استعلى فوقه، والعرش فهو: السرير؛ فمثل الله عرشه وكرسيه بهذا العرش، وهذا الكرسي، فكان كرسي الملك من ملوك الدنيا كرسيا ضعيفا صغيرا، والذي استوى فوقه أضعف منه وأحقر منه، وكذلك العرش ايضا فهو في الضعف والصغر كمثل الكرسي، وسواء الكرسي والعرش: كلاهما مقعد للملك يقعد عليه ويستوي فوقه؛ وكرسي الله عز وجل فقد وسع السموات والأرض، حتى صار من عظم سعته: السماء والأرض في كرسيه كالحلقة الملقاة في الأرض، وصار الكرسي محيطا بهما كإحاطة الأرض بتلك الحلقة، فكانت السموات والأرض لصغرهما وضيقهما في سعة الكرسي عليهما -كضيق الحلقة وصغرها في سعة الأرض عليها، وكان الكرسي مشتملا على السموات والأرض، كما اشتملت هذه الأرض على هذه الحلقة، والواسع لهما بعظمهما كما وسعت الأرض هذه الحلقة، والله الذي لا إله إلا هو وسع الأشياء كلها، حتى أحاط بها وملأها وغمرها، وليس ثم كرسي غير الله، إنما هو مثل مثله الله لعباده؛ لتستدل به على عظمته، واتساعه على جميع الأشياء وإحاطته بها.

ومن الدليل على أن الله عز وجل أراد بذكر الكرسي والعرش: أن يعرف عباده عظم سعته وإحاطته بالأشياء: قوله عز وجل: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾[الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾[البروج:٢٠]، وكثير في كتاب الله عز وجل مما يدل على أن الله محيط بالأشياء.

وهذا الكرسي مما يدل على إحاطة الله بجميع الأشياء، واتساعه عليها.

وتفسير العرش أيضا كتفسير الكرسي سواء سواء.

هذا معنى قولنا: إن العرش هو: الله، وإن الوجه هو: الله، وإن الكرسي هو الله.

فإن قال قائل: ألستم تقولون: هو الله؟

قلنا له: نعم.

فإن قال: فما معنى قوله: ﴿رب العرش العظيم﴾[التوبة: ١٢٩]، وقوله: ﴿رب العرش الكريم﴾[المؤمنون: ١١٦]؟

قلنا له: معنى ذلك عندنا كمعنى قوله سبحانه: ﴿رب العزة عما يصفون﴾[الصافات: ١٨٠]، وهو العزيز بنفسه؛ وكذلك قلنا: إن العرش هو الملك، وهو الملك بنفسه. ومعنى:" رب الملك " و "رب العزة " أي: مالك الملك، ومالك العزة، يريد: صاحب الملك، وصاحب العزة.

ومالك الشيء ورب الشيء سواء في المعنى، فلذلك جعلنا العرش متصلا بالله؛ لأنه ملك الله، وملك الله متصل به، ولذلك لم يكن بين الملك وبين الله فرق؛ لأنه لو جاز لنا أن نفرق بين الله وبين ملكه –لقلنا: إن الله خلق الملك – في زمن الملك – في ذاته، وملك الله عز وجل فلا يقاس بملك العباد؛ لأن العباد إنما صاروا ملوكا بما ملكوا، والله فهو الملك بنفسه، ولا يزيد شيء مما خلق في ملكه.

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[هود: ٧]؟

قلنا له: إن إحاطته بجميع الأشياء هي: العرش العالي فوق جميع الأشياء، وذلك العرش العالي فوق جميع الأشياء –هو: الله العالي على جميع الأشياء؛ فالله عز وجل هو: المحيط بجميع الأشياء بعرشه، يريد: أنه المحيط بجميع الأشياء بملكه، أي: أنه علا فوق جميع الأشياء بنفسه، ليس ثم عرش ولا ملك غيره.

ومعنى قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[هود: ٧]، يريد: أنه كان المحيط بالماء،

من قبل خلقه للأرض والسماء؛ فذلك العرش المحيط بالماء، لم يتغير عن حاله، ولم يزل هو المحيط بالماء، والمحيط من بعد الماء بالأرض والسماء؛ فذلك العرش إنما هو: مقام الله، ولا يجوز لنا أن نقول: هو مجلس الله، ولكنا نقول: هو مقام الله؛ وليس كمقام الانتصاب، إنما ذلك: كمال الله بنفسه؛ فهو الجليل الكامل بنفسه العظيم، الجبار ذو الشرف والبهاء والسناء العظيم؛ فهذا معنى قول الله عز وجل: ﴿وكان عرشه على الماء﴾: يخبر أنها لم تكن أرض ولا سماء سوى الماء.

ونحن نقول: إنه قد كان عرش الله ولا ماء، ونقول: إن عرش الله لم يزل، وإن أسماء الله لم تزل، وإن صفات الله كلها ومدائحه لم تزل؛ لأن الله يقول في كتابه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، ولا يجوز لنا أن نقول: لم يكن مستويا على عرش ثم استوى؛ إذن لقلنا بخلاف قوله عز وجل؛ بل نقول: إن الله لم يزل ذا عرش عظيم، يريد بذلك العرش العظيم: الله العظيم. وقلنا له: ليس ثم عرش لله عز وجل، وإنما ذكر العرش فعرفنا به الملك، ولم يصفه بصفة معلومة معروفة.

وأما قوله في يوم القيامة: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾[النازعات: ٤٠] فذلك المقام هو: ذلك العرش، وذلك العرش هو: الله العلي، لا شيء استعلى، إنما هو العلي بنفسه.

تم، والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله، سيدنا محمد النبي، وعلى آله وسلم تسليما.

وقال في كتاب التبصرة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام:

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟

قيل له: معنى الاستواء: هو الاستيلاء والغلبة، وذلك مشهور في اللغة، والعرش قد يراد به: الملك، وذلك مما لا يختلف فيه أهل اللغة.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ المراد به: على الملك اقتدر.

وقال في الجواب الرائق للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام:

أي: استولى على العرش، واقتدر عليه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)﴾ [طه: ٧]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال سبحانه: ﴿يعلم السر وأخفى﴾، وهذا الذي ذكر الله أنه يعلمه مما هو أخفى من السر –فهو: ما لم يسره بعد المسرون، ولم تخفه في قلوبهم المخفون، ولم يجل في فكرهم، ولم يخطر على قلوبهم، ولم يستجن في صدورهم، ولم يعلموا أنهم سيسرونه، وأنهم سوف يريدونه، وقد علم الله سبحانه ذلك منهم، وعلم أنه سيخطر على قلوبهم، من جميع أقوالهم وأفعالهم؛ لأنه محيط بالأشياء كلها، عالم بكل ما يكون منها من قبل تكوينها وإيجادها، وفطرتها وابتداعها؛ فسبحان من ليس له حد ينال، ولا شبيه تضرب له فيه الامثال، وهو الواحد ذو السلطان والجلال، المتعالي عن اتخاذ الصواحب والأولاد، المتقدس عن القضاء بالظلم والفساد، البعيد من المشاركة في أفعال العباد، ففعله خلاف فعل خلقه، وفعل خلقه خلاف فعله، لأن فعله سبحانه موجود أبدا، وفعل عباده فعرض كائن عدما، ولن يشبه أبدا عدم موجودا، كما لا يشاكل حي أبدا مفقودا؛ فسبحان ذي الوعد والوعيد الصادق، ذي العز والمجد السابق، وتعالى عما يقول المبطلون، وينسب إليه في ذلك الضالون.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ [طه: ١٤]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

يريد: أقم الصلاة بذكرى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾، فقلت: ما مخرج: ﴿أكاد﴾؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: ﴿أكاد﴾ تخرج على معنى: أريد؛ قال الشاعر:

كادت وكدت وتلك خير إرادة ... لولا الوشاة بأن نكون جميعا

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

قال عز من قائل: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾، يريد: أنه لم يجعلها مشاهدة في الدنيا ولم يبدها، وأخرها وأخبر عنها. ومعنى إخفاء الله لها: أنه أخفى عينها ووقتها، ولم يخف خبرها.

قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال: اختبرناك اختبارا.

قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)﴾[طه: ٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

فأما قوله سبحانه: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾، فإنما أراد بذلك: اصطنعتك لي، وقربتك نجيا مني.

قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾[طه: ٤٣، ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: لا يتوهم أحد " لعل " من الله و" عسى " شكا منه سبحانه ولا امتراء؛ وذلك مخرجه عدل في الحكم، وما يجوز عند الامتحان من هذا الاسم؛ فلما أن كان الله تبارك وتعالى إنما يعذب ويعاقب بعد الإعذار والحجة، وكان الرسول موسى صلى الله عليه لا يحيط بما يحيط الله به في كل غيب وشهادة، وكان الله عالما بأن الحجة إنما تجب على فرعون بتبليغ موسى له الرسالة -كان مخرج موسى تسهيلا على موسى لمحنة الكلفة، في تبليغ فرعون - مع عتوه وخوفه له - ما أمره به في تبليغ الرسالة؛ وصحت " لعل " في المقالة؛ لأنه وإن علم أن فرعون لا يكون مؤمنا -فقد علم أنه لو اختار الإيمان لكان ممكنا، فطوى سبحانه العلم فيها عن موسى: بأنه لا يؤمن -بقوله:" لعل " في المستطاع الممكن.

وكذلك قول الله سبحانه: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٢]: فقد

علم تبارك وتعالى أنهم إذا أحسنوا تيب عليهم وأثيبوا؛ ولكن:" عسى " هاهنا مخرجها: مخرج تأديب من الله وترهيب، وتنبيه على ترك الثبات ممن أحسن على إحسانه؛ اتكالا على ما مضى في وقت من الأوقات من صالح عمله، وليكون العبد وجلا مع رجائه وأمله.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله تبارك وتعالى لهارون وموسى عليهما السلام: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾، فقال: ما معنى قوله: ﴿لعله﴾، و﴿لعله﴾ لا يقع إلا شاك لا يحيط بما يريد علمه؟

قلنا له: جهلك باللغة دلاك في بحور الجهالة؛ ألا ترى أن العرب يقول قائلها لغلامه:" خذ هذه الدنانير؛ عساك أن تشتري بها طعاما لنا "، ويقول:" خذ هذا الطعام؛ عساك أن تأكله "، وهو يعلم إذا ذهب بالدنانير أن يشتري بها طعاما: أنه سيشتريه، وأنه إذا أخذ الطعام: أنه سيأكله، فقال:" لعل "، وهو يعلم أنه سيفعل؛ فعلى ذلك يخرج معنى قول الله: ﴿لعله﴾ في لغة العرب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(٥٠)﴾[طه:٥٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يعني بـ﴿كل شيء﴾: جميع ما أنعم الله به عليهم، وأعطاهم من عطاء النعم، بما هو عليه من رحمتهم والرأفة

بهم، والفضل والجود والكرم، وأعطاهم جميع النعم التي آتاهم، لم يقتصر على ذلك حتى فهمهم الحق في دينه وهداهم، فآتاهم من الهدى أعظم النعم كلها عظما؛ لما يثيبهم على الهدى من نعيم جنته فضلا وكرما.

قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى(٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾[طه: ٥٨، ٥٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿مكانا سوى﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: السوى: المكان المستوي، البارز في الأرض الذي لا يخفى، و﴿يوم الزينة﴾: يوم عيدهم الذي فيه يتزينون فيحلفون. ووعدهم من يوم عيدهم في أوله وضحوته، قبل افتراق الناس من مجمعهم، ورجوع من يرجع منهم إلى بيته؛ وكأنه أراد بذلك: فضيحتهم على رؤوس الملأ ، وكان الأعياد لم تزل في أول النهار قديما ؛ لأن صدر النهار أفضل من آخره.

قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾[طه: ٦١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

معناه: يستأصلكم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

وبالإسناد حدثنا محمد، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلا، قال: سمعت زيدا عليه السلام يقول: ﴿إن هذان لساحران﴾، قال: هذه لغة بني الحارث بن كعب، أراد الله جل اسمه أن ينزل القرآن بلغات العرب؛ لتعلم الخليقة عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

وبنو الحارث يقولون:" مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه ".

ثم أنشد لبعض الحارثيين:

ترود منا بين أذناه ضربة ... دعته إلى هالي التراب عقيم (١)

وأنشد لبعضهم:

أي قلوص راكب تراها ... طاروا علاهن فطر علاها

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧)﴾ [طه: ٦٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾؟

فلم يوجس صلى الله عليه أن يغلب أو يقهر؛ ولكنه أوجس ألا يبصر من حضره من السحرة ومن الناس حقيقة الحق كما أبصر، فيظنون أن ما جاء به من

(١) - هكذا في المنقول منه المطبوع، والصحيح الذي في كتب اللغة، ومنها سر صناعة الإعراب لابن جني، ومقاييس اللغة لابن فارس:
تزوَّدَ منّا بين أُذْناه ضَربةً ... دَعَتْه إلى هابي التُّراب عقِيمِ

الحق كسحر السحرة، وأن موسى صلى الله عليه من الكفرة، وقد كان خاف قولا منهم واعتسافا، فقالوا: ﴿إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾[طه:٦٣]، وقالوا فيه: ﴿فماذا تأمرون﴾ [الأعراف:١١٠، الشعراء:٣٥]، وقال موسى صلى الله عليه فيما قالوا به من ذلك: ﴿أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ [يونس:٧٧].

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وأوجس في نفسه خيفة موسى﴾، فقلت: كيف خاف صلوات الله عليه في ذلك المقام العظيم، وقد علم أن الله عز وجل لا يخذله فيه، وهو ولي الله ورسوله صلى الله عليه؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: إنما تخوف موسى صلى الله عليه على قومه أن يفتنوا؛ لما عاينوا من فعل السحرة، أو أن يسبق إلى قلوبهم: أن حركة الحبال والعصي على حقيقته؛ إذ ليس لهم مثل بصيرة موسى صلى الله عليه؛ فأما هو صلوات الله عليه فقد كان واثقا عالما: أن الله جل ثناؤه لا يخذله ولا يشمت به عدوه، وأن أعداءه لا يظهرون عليه في ذلك المقام الشريف.

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩)﴾[طه: ٧٩]

قال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾، أي: إغواءهم عن طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥)﴾ [طه:٨٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت - يرحمك الله - عن: قول الله سبحانه: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾؟

فقال: فتنهم في: بلوى الله لهم من بعد موسى، بما كان من العمل فيهم؛ وإضلال السامري لهم فهو: بدعائه إياهم إلى ما قالوا به من العجل، أن يقولوا: ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ [طه:٨٨]، وبما ألقى من القبضة التي أخذها من أثر الرسول، فنبذها في جوف العجل فخار، فكان لهم في ذلك من الفتنة ما كان، وكان قولهم في ذلك، ولما رأوا منه في العجل -بما قالوا، فلما سمعوا صوت خواره ضلوا به، كما ضلوا إذ قالوا فيه بما قالوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله: ﴿أفعصيت أمري﴾ يدل على أن قد كان أمره: أن لا يقيم - صلى الله عليهما - مع من شاق الله وكفره، وقوله: ﴿ما منعك ألا تتبعن﴾: إذ عصوا ما منعك أن لا تتركهم وتلحقني، ﴿قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾[طه: ٩٤].

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، في سياق كلام

ما لفظه:

ومن ذلك قول موسى صلى الله عليه: ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعن أفعصيت أمري﴾، فقال: ألا تتبعني، وإنما أراد: أن تتبعني، وهذا عند العرب فأعرب إعرابها، وأفصح ما تأتي به من خطابها: أن تطرح " لا " وهي تريدها، فيخرج لفظ كلامها لفظ إيجاب، ومعناه معنى نفي، وتثبت " لا " وهي لا تريدها، فيخرج لفظ كلامها لفظ نفى، ومعناه معنى إيجاب،... (إلى آخره كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)﴾ [طه: ٩٥ – ٩٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه، فيما يذكر عن نبيه موسى صلى الله عليه، ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾، إلى قوله: ﴿في اليم نسفا﴾؟

فقال: هذه مخاطبة من موسى صلى الله عليه للسامري الذي أهلك بني إسرائيل من بعد موسي. ومعنى قول السامري: ﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾ يريد: رأيت مالم يروا، ومعنى: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ فهي: قبضة تراب من أثر جبريل، رمى بها السامري في الذهب الذي جمعه ثم عمله عجلا، فدخل الشيطان في العجل، فخار لهم، فقال السامري ما قال من الكفر، بنسب

العجل إلى أنه إله بني إسرائيل؛ فهذا الذي سولت له نفسه، ووسوس له به الشيطان، فقال له موسى صلى الله عليه: ﴿اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾، يريد موسى صلى الله عليه: أنك تستطيع - لما جعل الله فيك من الاستطاعة - أن تقول ذلك، لا أنه أمره به؛ والمساس فهي: المصافحة والمعاشرة؛ فأخبره صلى الله عليه: أنه يستطيع أن يقول إن أراد: أن لا يحل بكم أن يسلم بعضكم على بعض، ولا يعاشر بعضكم بعضا، بما جعل الله فيه من الاستطاعة على ذلك؛ فقال صلى الله عليه: أنت تقدر أن تقول ذا، وتفعله لو أردت، وتمنع منه لو شئت، وهو شيء بين الناس من أحسن ما يكون من الفعل الذي يعرفونه ويفهمونه بينهم؛ فكيف لا تقدر أن تأمرهم بما لا يفعلونه من عبادة هذا العجل الذي جعلته إلها؟! ﴿فظلت عليه عاكفا﴾، ومعنى: ﴿ظلت عليه﴾ فهو: ظلت له عابدا، ﴿لنحرقنه﴾، يقول: لنطرحنه في النار حتى يذوب ويحترق، ﴿ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾، وإنما أراد بإحراقه صلى الله عليه: أن يخبر السامري ومن أطاعه أن هذا شيء ذليل، يحرق وينسف في البحر؛ فكيف يجوز أن يكون من يفعل به هذا، ولا ينتصر للخلق إلها؟! هذا لا يكون أبدا، ولا يتوهمه إلا غير ذي هدى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)﴾ [طه: ٩٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله: ﴿سولت لي نفسي﴾ هو: منتني نفسي، والتسولة: المنية، سواء قيل : سولت لنفسك، أو منيت نفسك.

قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكف﴾، فقلت: كيف جاز أن يسميه إلها، وليس هو بإله؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: المعنى في ذلك على: التوقيف والتقريع والتوبيخ، يقول: إنه إلهك، زعمت عند نفسك، مثل قوله في موضع آخر: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾، يريد به: التوقيف والتوبيخ؛ قال قيس بن زهير العبسي:

قال البقيل يا قيس، فقلت له ... اصبر حذيف فأنت السيد الصمد.

فقال له هذا القول وهو يقتله، ويسميه صمدا، أي: إنك السيد الصمد بزعمك؛ والصمد في اللغة فهو: المقصود المتعمد.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)﴾ [طه: ١٠٢]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

معنى قوله تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ أي: يدخل سواد عيونهم في بياضها.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾ [طه: ١٠٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾، فقال: العوج في الأرض: الالتواء والارتفاع، والانخفاض الشديد الفاحش، والأمت: القليل اليسير، بين التعادي والاختلاف الذي ليس بكثير.

قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨)﴾ [طه: ١٠٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾؟

فقال: خشوعها: سكونها، وأما الهمس فهو: حس الأقدام، الذي ليس معه صوت ولا كلام، لما يدخل قلوبهم من الرعب والخوف والفزع، ولما عاينوا عند ظهور آيات الله في القيامة من الأمر الهائل المستفظع.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿فلا تسمع إلا همسا﴾، الهمس: الوطء الخفي، كوطء خفاف الإبل التي همس مشيتها ليس بذي صوت علي؛ قال الشاعر:

....

يعني بالهميس: الوطء الخفي الحسيس، فالناس في حشرهم، ولما هم فيه من فزعه وذعرهم، وانحلال قواهم، لما عاينوا ما دهاهم -مشيهم همس خفي، وأصواتهم منقطعة، فلا يتكلمون، ولا يسمع لجرس ألسنتهم إلا حس بأقدامهم إذ يمشون.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، في سياق كلام عن رواية الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل عليه السلام عن: قول الله: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾؟

قال: الهمس هو: حس الأقدام، الذي ليس معه صوت ولا كلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)﴾ [طه: من آية (١١٠)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿ولا يحيطون به علما﴾، أي: لا يدركه علمهم إلا بما علمهم وفهمهم، من تثبيت اسمه وربوبيته، وأنه لا يشبهه شيء من خليقته.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: من آية (١١١)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يقول: ذلت الوجوه، وخشعت.

قوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)﴾ [طه: ١١٣]

وفي المجموع المذكور أيضا، وقد ذكر الآية:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: المعنى في ذلك – والله أعلم –: لعلهم بما خوفهم الله به من وعيده في كتابه؛ فلعلهم يتقون ولا يعصون، ﴿أو

يحدث لهم ذكرا﴾، فيتفكرون ويتذكرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [طه: من آية (١١٤)]

وفي المجموع المذكور أيضا، وقد ذكر الآية:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: معنى ذلك – والله أعلم – أي : لا تعجل بالإنذار بالسورة، أو الآية المذكورة فيها القصة، والقصص أو الموعظة من قبل تمامها وكمالها وقضائها، وأمرك بتبليغ إيجابها.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾ [طه: من آية (١١٥)]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

معنى قوله: ﴿فنسي﴾، أي: النظ، وهو فعله، لا فعل الله تعالى. وقيل: النسيان هاهنا بمعنى: الترك، أي: ترك النظر. ومعنى قوله: ﴿ولم نجد له عزما (١١٥)﴾، قيل: عزما على المعصية في المستقبل.

قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

معنى قوله: ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ فهو: سوء فعلهما، لا كما يقول من جهل العلم، وقال بالمحال: إن الله كشف عورة نبيه وهتكه. وكيف يجوز ذلك على الله في أنبيائه؛ والله لا يحب أن يكشف عورة كافر به؟! فكيف يكشف عورة نبيه؟!

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)﴾ [طه:١٢٤، ١٢٥]

قال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

لأنه لما أعرض عن ذكر ربه، وضل في الحياة الدنيا، وعمي عن أمر ربه، وعن التقوى -حشر يوم القيامة على ضلاله، الذي هو أعمى عن الهدى. ثم بين ذلك جل ذكره، فقال:﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦)﴾، معنى ذلك: قد كنت أعطيتك بصرا تبصر به، وعقلا تعقل به أمري، وتعرف به آياتي وأمري، فنسيت آياتي وأمري؛ معنى نسيت: تركت ذلك، فعاقبتك بأن تركتك من لطفي ورحمتي، وحشرتك على ضلالك وكفرك لنعمتي. ثم قال جل ذكره، زيادة في البيان، وإثبات الحجة على ذوي الطغيان: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾؛ فالحمد لله على هدايته وتوفيقه، وأعوذ بالله من تركه وخذلانه.

قوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: من آية (١٣١)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أي: نمتحنهم.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: من آية (٧)]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾[النحل:٤٣، الأنبياء:٧]، ومن هم ؟

فقال: أهل العلم والفقه، وقال: وأهل الذكر: من نزل عليه كتبه من بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)﴾ [الأنبياء: ١٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون (١٣)﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله بما كان من الكافرين المجترئين عليه، عند نزول العذاب عليهم، وأنهم لما أيقنوا به هربوا من القرية، وولوا مدبرين في الأرض هاربين؛ فأخبرهم الله: أنهم لن يغني عنهم ركضهم ولا هربهم، وأن العذاب

يلحقهم ويأخذهم، فقال: ﴿ارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾، يريد: ارجعوا إلى الأموال والنعم التي أترفتكم، وأطغتكم وأشرتكم، وإلى المساكن التي ضننتم بمفارقتها، وعصيتم رسلنا، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ محبة لها، وميلا إليها. ﴿لعلكم تسألون﴾، يقول: لعلكم توقفون على ما كنتم تنكرون وتدفعون، وبه تكذبون، من نزول العذاب عليكم؛ إذ قد نظرتموه عيانا، وأبصرتموه صراحا.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

فمن تأويل: ﴿لعلكم تسألون﴾: لعلكم تعرفون، وتقرون أيها المترفون المساكنون: بما كنتم في مساكنكم من الظلم تعملون؛ فلما عرف كبراء القرية وضعفاؤها بظلمهم فيها أجمعين -قالوا عند الاعتراف والاقرار، آسفين متحسرين: ﴿يا ولينا إنا كنا ظالمين﴾[الأنبياء: ١٤]، قال الله لا شريك له: ﴿فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾[الأنبياء: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)﴾ [الأنبياء: من آية (١٩)]

في مجموع الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الاستحسار: الإعياء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل عن: قول الله تبارك وتعالى:﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾، فقال: كيف كانتا مرتوقتين؟ وما الرتق؟ وكيف

فتقا؟ وما الفتق؟

قيل له: إن الله تبارك وتعالى الخالق لكل شيء، والمصور له والمدبر -خلق الماء والهواء والنار والرياح، فابتدع هذه الأشياء الأربعة ابتداعا، وانتزع تكوين تصويرها انتزاعا، من غير ما أصل كان موجودا مع الواحد الرحمن؛ بل هو الواحد الأحد، الموجد لكل جميع ما يوجد، فخلق تبارك وتعالى هذه الأشياء طبائعا مختلفة، متضادة غير مؤتلفة، فجعلها أصولا لكل ما خلق وبرأ؛ وهذا المعنى الذي به تكلمنا ذكر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لنا؛ قال: ((فلما أن خلق الله تبارك وتعالى الماء والرياح -أوحى إلى الرياح بأن تصفق وتهيج غوارب الماء وأمواجه، فهيجت أمواجه، وزعزعت ساكنه، فارتعدت غواربه، فتراكم زبده، وعظم أمره، ثم أوحى إلى النار فأحرقت ذلك الزبد، فثار منه دخان، فصعد الهواء، وبقي حراقة الزبد، فخلق الله السموات من ذلك الدخان، كما قال سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١)﴾[فصلت]))؛ فقد يمكن أن يكون معنى قوله: ﴿ففتقناهما﴾ هو: ميزناهما من أصل واحد، فخلقناهما، فجعلنا السماء من دخان ذلك الشيء، والأرض من حثالته؛ فهذا عندي أحسن ما أرى فيه من القول؛ والله سبحانه أعلم، وبذلك جل جلاله أحكم.

ولا أتوهم أنه يصح في قوله خلاف هذا، يثبت علي المطالبة، ويمكن في المناظرة، ويمتنع على من رام إفساده من الفساد، ويبين رشده إن شاء الله لمن أراد الرشاد.

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء: ٣٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥)﴾؟

فقال: في هذا ونحوه: الاختبار بالخير والشر، والخير ما يكون من الله: ليس من أفعال العباد، الخير من ذلك: الخصب، وكثرة الأمطار، وصحة الزمان، ورخص الأسعار، وقلة الأمراض، وطول الأعمار، وكثرة الأولاد، وسعة الرزق، وزيادة الثمار. والشر أفعال أخر: كالخوف والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات؛ فطوبى للصابرين كما قال الله سبحانه: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٥) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١٥٦)﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦].

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿نبلوكم﴾ هو: نمتحنكم، فننظر كيف صبركم على المحنة.

قلت: فما الشر الذي امتحن الله به المؤمنين؟

قال: أشياء كثيرة، منها: موت الآباء والأولاد، وفراق الأحبة والأولاد، ومثل: ما يأتي من عند الله، من النوازل على جميع العباد؛ فمن صبر على ذلك جازاه الله عليه، ومن جزع وأعرض لم يغن ذلك عنه، وكان عند الله مأثوما معاقبا.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾، فقلت: ما معنى هذا في العدل؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما: ﴿نبلوكم بالشر﴾: نهيا عنه، وبالخير: أمرا به؛ والبلوى: امتحان، والفتنة تخرج في كتاب الله جل ثناؤه على عشرة وجوه في القرآن:

الوجه الأول من الفتنة: يعني به: الشرك، وذلك قوله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾ [البقرة:١٩٣]، نظيرها في الأنفال، حيث يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [الأنفال:٣٩]، يقول: حتى لا يكون شرك، ﴿ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال:٣٩]، وقال سبحانه في البقرة: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾[البقرة: ٢١٧]، يعني: الشرك بالله أعظم جرما عند الله من القتل في الشهر الحرام، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: فتنة يعني بها: الكفر، وذلك قوله عز وجل في آل عمران: ﴿ابتغاء الفتنة﴾ [آل عمران: ٧]، يعني: الكفر، وكقوله سبحانه: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ [التوبة: ٤٩]، يعني: الكفر، وكقوله تبارك اسمه في سورة النور: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة﴾ [النور: ٦٣]، يعني: كفرا، وكقوله عز وجل في سورة الحديد: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ [الحديد: ١٤]، يقول: كفرتم وشبهتم على أنفسكم؛ وكذلك كل فتنة في المنافقين واليهود.

الوجه الثالث: يعني به: بلاء، وهو المحنة، فذلك قوله تبارك وتعالى في العنكبوت: ﴿الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ [العنكبوت]، يعني: ولقد ابتلينا الذين من قبلهم، وقال لموسى صلى الله عليه: ﴿وفتناك فتونا﴾ [طه: ٤٠]، يعني: ابتليناك؛ لأن الله عز وجل لا يفتن نبيه، وإنما يريد بالفتنة للنبي صلى الله عليه وآله المحنة. وفي حم الدخان: ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ [الدخان: ١٧]، يعني: ولقد امتحنا الذين من قبلهم، يعني: قوم فرعون.

والوجه الرابع: يعني به: العذاب، وذلك قوله عز وجل: ﴿فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠]، يعني: جعل فتنة الناس كعذاب الله في الآخرة؛ نزلت في عباس بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل لعنه الله – الآية؛ نظيرها في النحل حيث يقول: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ [النحل: ١١٠]، يعني: من بعد ما عذبوا في الدنيا.

والوجه الخامس: يعني به: الإحراق بالنار في الدنيا؛ فذلك قوله في السماء ذات البروج: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ [البروج: ١٠]، يعني: الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات في الدنيا. وقال في سورة الذاريات: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [الذاريات: ١٣]، يعني: يعذبون ويحرقون بالنار في الآخرة، ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ [الذاريات: ١٤]، يعني: حريقكم بالنار؛ والآخرة ليس فيها فتن مثل فتن الدنيا، وهذا دليل لمن عقل.

والوجه السادس من الفتنة: يعني به: القتل، وذلك قوله سبحانه في سورة النساء: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١]، يقول: إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا، وكقوله في سورة يونس صلى الله عليه: ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ [يونس: ٨٣]، يعني: يقتلهم.

والوجه السابع من الفتنة: الصد، وذلك قوله في سورة المائدة: ﴿واحذرهم أن يفتنوك﴾ [المائدة: ٤٩]، يقول: أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك. وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٧٣]، يعني: ليصدونك.

والوجه الثامن من الفتنة: يعني به: الضلالة، فذلك قوله عز وجل في سورة الصافات: ﴿إنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢)﴾ [الصافات]، يعني: ما أنتم عليه بمضلين من أحد، ﴿إلا من هو صال الجحيم (١٦٣)﴾

[الصافات]، يعني: إلا من عمل عملا يصلى به الجحيم. وقال في سورة المائدة: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾ [المائدة: ٤١]، يقول: من يرد الله ضلالته فلن تملك له من الله شيئا، والله عز وجل لا يضل به إلا من استحق الضلالة، وذلك قوله عز وجل: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ [البقرة: ٢٦]، وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ويخرج الضلال على الحكم والتسمية، لا على الجبر والقسر.

والوجه التاسع من الفتنة: يعني به: المعذرة، وذلك قوله عز وجل في سورة الإنعام: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾، يعني: ثم لم تكن معذرتهم، ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣].

والوجه العاشر من الفتنة: قوله عز وجل في الأعراف: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ [الأعراف: ١٥٥]، يقول: إن هي إلا محنتك.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾، فقلت: كيف خلق من عجل، والعجل هو منه؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إن أهل اللغة يقولون: إن مجاز ذلك مثل قولهم:" عرض الدابة على الماء "، يعني: الماء على الدابة، ومثل قولهم:" عرض المعلم على الصبي "، أي: استعرضه المعلم، وقولهم:" إذا لقيك الجبل فخذ يمينك "، يعني: عن يمينك، وفي القرآن: ﴿ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة﴾ [القصص: ٧٦]، والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء: ٦٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾: هل كان ذلك من الله للنار كلاما؟

فقال: هو مثل قول الله سبحانه: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل:٤٠]، يخبر سبحانه: أنه لا يمتنع عليه إذا أمر أمر ولا كون. وكذلك قوله: ﴿يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾: إنما هو ما صيره الله فيها من النجاة والتسليم، كما قال سبحانه: ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار﴾ [العنكبوت:٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾، وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾، فقلت: ما معنى هذا في العدل؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: اعلم أرشدك الله: أن الجعل في كتاب الله عز وجل يخرج على وجهين:

فمنه: جعل حتم، وهو قوله عز وجل: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾، وقوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾، وما أشبه ذلك من جعل الحتم.

والجعل الآخر فهو: قوله عز وجل: ﴿جعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾،

فذلك: جعل حكم وتسمية، أي: جعلناهم وسميناهم بفعلهم، وكذلك أئمة الهدى: استحقوا الإمامة بالهدى والتقوى، فحكم لهم بالهدى والتقوى، وجعلهم أئمة لعباده، وكهفا ونجاة.

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨)﴾ [الأنبياء: ٧٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يذكر- والله أعلم - من قصة هذه الغنم: أنها كانت غنما تفلتت ونفشت(١) ليلا، والنفش في لسان العرب إنما يكون: بالليل من البهائم، لانهارا؛ فذكروا: أنها أكلت بعض ما في الحرث من حبه وثمره، ثم إنهم تحاكموا - فيما يقال - إلى داود صلى الله عليه، فقضى - فيما ذكروا - بها لأهل الحرث، وقال بعضهم: بل قضى بالقيمة، وكانت القيمة أكثر من ثمن الغنم؛ فذكر: أن سليمان صلى الله عليه أفتى فيها بخلاف ما حكم به أبوه داود صلى الله عليه من القضاء على أهلها: أن يجعل لأهل الأرض ما في بطون الغنم من أولادها، ولم يعرض لأهلها، وتركها في يد صاحبها، وقضى بالنسل الذي في بطون الغنم لصاحب الحرث؛ إذ كانت إنما أفسدت عليه ثمرة

---

(١) - قال في تاج العروس:" عن ابنِ السِّكِّيتِ : النَّفْشُ : أَنْ تَرْعَى الغَنَمُ أَو الإِبِلُ لَيْلاً بلا عِلْم راع. قال الجَوْهَرِيُّ: ولا يَكُونُ النَّفْشُ إلاَّ باللَّيْلِ والهملُ يَكُونُ لَيْلاً ونَهَاراً و" قَدْ أَنْفَشَهَا الرّاعِي ": أَرْسَلَها لَيْلاً تَرْعَى ونامَ عَنْهَا. و" أَنْفَشْتُها أَنا ": تَرَكْتُهَا تَرْعَى بِلا رَاعٍ. " إهـ. وأصل النفش: تفريق الشيء ونشره وانتشاره.

أرضه، ونسل حرثه، فقضى في ذلك سليمان صلى الله عليه بالحكم المصيب، الذي رضيه الله، وذكر في كتابه فهمه له.

وكذا جاء الحكم والخبر فيه عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أنه تحاكم إليه أهل ماشية، وأهل ضيعة أفسدت الماشية عليهم بعض ما فيها من الزرع والثمرة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل المواشي بضمان ما أفسدت مواشيهم، وقيمته ليلا، وأسقط عنهم الضمان، وقيمة الفساد نهارا.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : إن قال قائل: قضية داود بخلاف قضية سليمان كان صوابا أم خطأ؟ فإن كان صوابا: فكيف يكون الواقع يختلف حكمهما وهما صوابان؟ وإن يكن خطأ: فالنبي يخطئ في مثل هذه الجليلة من المسائل؟

قيل له: قد حكم داود بوجه من الحكومة مصيب يزيل الخطأ، وحكم ابنه سليمان بما هو أحسن عند الله، وأكثر صوابا، وأشد في العدل تمكنا وتوسطا.

قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: يونس صلى الله عليه، وقول الله سبحانه فيه: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾؟

اعلم - رحمك الله -: أن قوله:" فظن أنه " -ليس يخبر عن يونس بظن ظنه؛ لأنه لو كان كذلك منه -لزال اسم الإيمان عنه، ولا يزول اسم الإيمان في حال،

عن من خصه الله بالإرسال، وفي ذلك - لو كان - تجهيل للمرسل، فيمن يصطفي ويختص من الرسل؛ ولكن: ﴿فظن﴾ قول من الله في يونس قاله، يبين للسامعين زلة يونس وإغفاله، يقول سبحانه: فظن يونس أن لن نقدر عليه، في إباقته من الفلك إلى من أبق إليه؛ فهو ليس يظن؛ ولكنه مقر موقن بقدرتنا عليه، ونفاذ أمرنا فيه؛ فما أبق إلى الفلك فارا هاربا، وذهب مع يقينه بقدرتنا عليه مغاضبا، إلا لإغفاله وزلته، التي نجاه الله منها بتوبته؛ فهذا وجه: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾، الذي لا يجوز غيره من الوجوه، وهو كلام صحيح لا تنكره فيه العقول.

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾؟

فقال: أما ذو النون فهو: يونس، والنون فهو: الحوت. وأما قوله: ﴿إذ ذهب مغاضبا﴾ -فإنما كان ذهابه غضبا على قومه، واستعجالا منه دون أمر ربه، لا كما يقول الجهلة الكاذبون، على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم، من قولهم: إن يونس خرج مغاضبا لربه. وليس يجوز ذلك على أنبياء الله صلوات الله عليهم، وإنما كان ذلك كما ذكرت لك، من غضبه على قومه، ومفارقته لهم، واستعجاله دون أمر ربه، وهو قوله لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ [ن: ٤٨]، وهو: يونس، يقول: لا تعجل كعجلته، واصبر لأمري وطاعتي، ولا تستعجل كاستعجاله؛ فهذا معنى قوله: ﴿إذ ذهب مغاضبا﴾.

وقوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أراد بذلك من قوله: ﴿فظن﴾: أي: أفظن أن لن نقدر عليه؟ وهذا على معنى الاستفهام، ولم يكن ظن ذلك صلى الله عليه.

وهذا مما احتججنا به في الألف التي تطرحها العرب، وهي تحتاج إلى إثباتها،

وتثبتها في موضع وإن لم تحتج إليها، مثل قوله: ﴿لا أقسم﴾، وإنما معناها: ألا أقسم، وقوله: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ [البقرة: ١٨٤]، فطرح الألف وهو يريدها، ومن ذلك قول الشاعر:

نزلتم منزل الأضياف منا...فعجلنا القرى أن تشتمونا

وإنما أراد: أن لا تشتمونا، فطرح الألف واللام؛ ومثل هذا كثير في الكتاب، وهو حروف الصفات.

فلما صار يونس في السفينة، وركب أهلها، واستقلت بهم، وطابت الريح لهم -أرسل الله حوتا، فحبس السفينة، فعلم القوم عند احتباسها: أنها لم تحبس بهم إلا بأمر من الله قد نزل بهم، فتشاور القوم بينهم، وتراجعوا القول في أمرهم، وما قد نزل بهم، وأشفقوا، فقال لهم يونس: ((يا قوم، أنا صاحب المعصية، وبسببي حبست بكم السفينة، فإن أمكنكم أن تخرجوني إلى الساحل فافعلوا، وإن لم يمكنكم ذلك فألقوني في البحر وامضوا))؛ فقال بعضهم: هذا صاحبنا، وقد لزمنا من صحبته ما يلزم الصاحب لصاحبه، وليس يشبهنا أن نلقيه في البحر، فيتلف فيه على أيدينا، ونسلم نحن؛ ولكن هلموا نستهم، فمن وقع عليه السهم ألقيناه في البحر. فتساهم القوم، فوقع السهم على يونس، ثم أعادوا ثانية فوقع عليه، ثم أعادوا ثالثة فوقع السهم على يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت، ومضى في البحر، وكان يونس صلى الله عليه ينظر إلى عجائب البحر من بطن الحوت، وجرت سفينة القوم بهم.

قال: ولبث يونس صلى الله عليه في بطن الحوت ما شاء الله من ذلك، فاستمط شعره وجلده، حتى بقي لحمة، ومنع الله منه الموت؛ فلما علم الله توبته، وقد نادى بالتوبة: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فاستجاب له، وتقبل توبته، ورحم فاقته، فأرسل ملكا من الملائكة، فساق ذلك الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فألقى يونس من بطنه، وقد

ذهب شعره وجلده، وذهبت قوته، فرد الله جسمه على ما كان عليه أولا، من تمام صورته، وحسن تقويمه، وأنبت الله له شجرة اليقطين - وهي الدبا - فكان يأكلها، فلما اشتدت قوته، واطمأن من خوفه وإشفاقه -أرسله الله إلى قومه، وكانوا في ثلاث قرى، فمضى إلى أول قرية فدعاهم إلى الله وإلى دينه، فأجابه نصفهم أو أكثر من النصف، وعصاه الباقون، فسار بمن أطاعه إلى العصاة لأمره، فحملهم عليهم وقاتلهم، فقتلهم وأبادهم، وسار إلى القرية الثانية فدعا أهلها، وأعذر إليهم وأنذرهم، فأجابه منهم طائفة، فحمل المطيع على العاصي، فقتلهم وأبادهم. ثم سار إلى القرية الثالثة، وكانت أعظمها وأشدها بأسا ومنعة، فدعاهم إلى الله، وأعذر إليهم، وأنذر وحذر ما حل بإخوانهم، فلم يجبه منهم أحد، واستعصموا على كفرهم، فسار إليهم، وخرجوا إليه، فحاربهم، فلم يقدر عليهم، فلما كان بعد وقت، وعلم الله منه الصبر على ما أمره به من طاعته، والإعذار إلى خلقه -أمر الله جبريل صلى الله عليه فطرح بينهم نارا، ثم أرسل الرياح، فأذرت النار عليهم، وعلى منازلهم ورجالهم، فأحرقتهم جميعا ودمرتهم؛ فهذا ما سألت عنه من خبر يونس عليه السلام.

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾، أي: لن نضيق عليه، أي: لا نؤاخذه.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾ [الأنبياء: ٩٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: عنى الله تبارك وتعالى: القرى التي دمرها وأهلكها بالمعاصي فيما مضى: أنه محرم عليها أن ترجع إلى عمارتها، ... وأهلها والسكنى فيها؛ لأنه ليس من قرية أهلكها الله إلا بالانتقام والغضب -فلن تعمر أبدا إلى يوم القيامة بعد غضب. و" الحرام " اسم في نفسه حيث انحرف وانصرف؛ فهو: تغليظ المنع، وهو: المنع بعينه، فعنى الله عز وجل: ﴿حرام﴾: أنه منع ممنوع لكل قرية أهلكها، من الرجوع بالعمران إلى حالها، أو أن يرى أحد من نسل أهلها؛ وكذلك اللسان العربي فيما حرم الله من جميع الآثام والمعاصي: فإنما معناه: المنع بعينه.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦)﴾ [الأنبياء: ٩٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الحدب هو: كل ما ارتفع من الأرض واحدودب، كالتلاع والربا والآكام[١]، وما أشرف من الأرض فهو حدب؛ ونسولهم: إسراعهم في المشي وعجلهم، عند أمر الله النازل في القيامة بهم.

(١) - أي أنها من الأشياء المرتفعة، ومعنى هذه الثلاثة هو: المرتفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)﴾[الأنبياء: ٩٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾؟

فهذا إخبار من الله سبحانه: أن كل من عبد من دون الله أحدا، وكان المعبود من دون الله راضيا بذلك من فعل العابدين -فإنه ومن يعبده حصب جهنم؛ وحصب جهنم هو: حطبها ووقودها. ﴿أنتم لها واردون﴾، يريد: أنتم إليها صائرون، وفيها داخلون؛ والعبادة فقد تكون على معنيين، فمنها: عبادة ربوبية، ومنها: عبادة سمع وطاعة واستقامة، من المأمور لأمر الآمر.

فأما عبادة الربوبية فهو: مثل من قد عبد النجوم، وعبد المسيح، وعبد العزير، وعبد اللات والعزى، وودا وسواعا، ويغوث ويعوق ونسرا؛ فهؤلاء يعبدهم من يعبدهم عبادة ربوبية، يتخذونهم آلهة من دون الله، يتقربون بعبادتهم - في قولهم - إلى الله، ولا يعبدون الله إجلالا - زعموا - وإعظاما من أن يعبدوه؛ فاتخذوا هؤلاء أربابا من دون الله يعبدونهم؛ لكفرهم وضلالهم، وغيهم وإفكهم.

وعبادة الطاعة والاستقامة: مثل عبادة من أطاع إبليس، فنهاهم الله عز وجل عن عبادته، ونهى عن طاعته، وذلك قوله سبحانه: ﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١)﴾ [يس]؛ والشيطان لعنه الله لم يعبده أحد من الناس عبادة ربوبية، وإنما

عبادتهم له فيما نهاهم الله عنه، في الطاعة له فيما يأمر به ويوسوس لهم. وكذلك معنى قول الله سبحانه هاهنا: ﴿وأن اعبدوني﴾، يريد: أطيعون، ولا تطيعوا إبليس اللعين.

فهذا معنى قوله، وما سألت عنه من قول الله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾[الأنبياء: ١٠٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل صلوات الله عليه عن: قول الله سبحانه: ﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾؟

فقال: أولئك: المتجبرون على الله، الفراعنة والطواغيت، والكفرة العفاريت، الذين أضلوا عباد الله، واتخذوهم خولا، واستمالوهم إلى عبادتهم بزخرف الدنيا؛ والعبادة هاهنا هي: الطاعة؛ فأخبر الله: أنه من مات من أولئك -أنهم خالدون في جهنم، لهم فيه زفير. والزفير فهو: التأوه والوجع، والكرب في التألم للعذاب. وقوله: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ فإنما هو: لا يسمعون صوت بشارة كما يبشر المؤمنون، ولا صوت لهم فيه سرور، ولا فرج ولا خير؛ فأما سمعهم في جهنم فحديد، وبلاؤهم في كل يوم فجديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)﴾[الأنبياء: ١٠١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها

الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾؟

معنى قوله سبحانه: ﴿سبقت لهم منا الحسنى﴾ هو: وجب لهم منا الحكم بالحسنى في دار الدنيا، وتقدم لهم منا في حياتهم الدنيا: وجوب الوعد بالحسنى. والحسنى فهي: الثواب والرحمة، ووجوب المغفرة، ورفع الدرجة. ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ يخبر أن هؤلاء الذين قد وجب لهم من الله في الدنيا ما وجب من الحسنى -عنها مبعدون، وهي: النار؛ نعوذ بالله من النار. والذين سبق لهم هذا من الله في حياتهم، ووجب لهم منه الوعد الصادق في دنياهم وآخرتهم -فهم: المؤمنون بالله، والعارفون به، المثبتون لعدله وتوحيده، القائلون بصدق وعده ووعيده، والعارفون بفضل الجهاد في سبيله، الموالون لأوليائه، والمعادون لأعدائه، المؤدون لجميع فرائضه، القائمون بطاعته، التاركون لمعصيته، المستقيمون على واضح سبيله؛ رحمة الله ورضوانه عليهم، ونسأله أن يجعلنا في حكمه كذلك، وأن يرزقنا برحمته ذلك، وأن يفعل بنا ما يفعل بأولئك؛ إنه ولي حميد.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[الأنبياء: ١٠٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿قل آذنتكم على سواء﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: ﴿آذنتكم﴾ في اللسان والبيان إنما هو: أعلمتكم، والسواء فهو: المكان العالي الذي ليس بذي ستر ولا خفاء.

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)﴾ [الحج: ١٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾؟

فقال: يريد سبحانه بذلك: التوقيف لمن كان شاكا في نصر الله لنبيه، وإعلامهم أنه لا يغني كيدهم في نبي الله شيئا، فضرب لهم هذا المثل، يقول: من كان شاكا في أمره، حاسدا له، مغتاظا عليه -﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾: إن قدر على ذلك، ﴿ثم ليقطع﴾، ومعنى: ﴿ليقطع﴾ فهو: ينفذ ما قدر عليه من كيده لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ثم لينظر: هل يذهب ذلك الفعل إن قدر عليه، وهذا الكيد الذي يكيد به رسول الله صلى الله عليه وآله -ما يغيظه من أمر النبي صلى الله عليه وآله ويغمه؛ ولن يقدر لو فعل ذلك وناله، على إذهاب شيء مما يغيظه من أمر رسوله صلى الله عليه وآله؛ إذ السبب الذي غاضه منه هو: من الله سبحانه؛ عطاء لنبيه وكرامة، وإحسانا منه إليه ورحمة؛ فلن يزيله كيد كائد، ولا عناد معاند.

قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)﴾ [الحج: ١٩]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

روى الإمام الحاكم العالم: أبو سعيد المحسن بن كرامة الجشمي رحمه الله، بإسناده إلى قيس بن عباد القيسي، قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية – وهي قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾... إلى آخرها – نزلت في الذين برزوا يوم بدر، الثلاثةُ والثلاثةُ: عَلِيٌّ وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: العاكف فيه من أهل مكة، ومن صار إليها من النواحي البادية -فهم فيه كلهم سواء، ليس بعضهم أولى بالصلاة فيه من بعض، وهم سواء في الطواف والصلاة والمقاعد، وهو لكلهم مسجد لا يتعدى فيه أحد، ولا يستحقه قوي دون ضعيف، سواء المحقور فيه والمعظم الشريف.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]

قال في المجموع المذكور:

يقول : أعلم الناس، وصوت بهم وأسمع، وأظهر فريضة الله في الحج عليهم.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

فأمره صلى الله عليه وآله ربه - جل ذكره - بالحج له إلى بيته الحرام؛ فحج كما أمره الله، كما حج أبوه آدم صلى الله عليه، فحج إبراهيم صلى الله عليه وآله بأهله والمؤمنين، حتى انتهى إلى بيت رب العالمين، وأمره الله سبحانه بالأذان بالحج، فأذن ودعا إلى الله فأسمع، وأجابه إلى ذلك من آمن بالله واتبع أمره، واجتمعوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج بمن معه متوجها إلى منى، فيقال: إن إبليس اعترض له عند جمرة العقبة، فرماه بسبعة أحجار، يكبر مع كل حجرة تكبيرة، ثم اعترض له عند الجمرة الثانية، ففعل به ما فعل عند الجمرة الأولى، ثم اعترض له عند الجمرة الثالثة، فرماه كما رماه عند الجمرة الثانية، فأيس من إجابته له، وقبوله لقوله، فيقال: إنه صده وضلله عن طريق عرفة، فأتى صلى الله عليه وآله وسلم ذا المجاز، فوقف به فلم يعرفه؛ إذ لم ير فيه من النعت ما نعت له، فسار عنه وتركه، فسمي ذلك المكان لمجاز إبراهيم به: ذا المجاز؛ فلما أتى إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الموضع الذي أمر بإتيانه -عرفه بما فيه من العلامات التي نعتت له، فقال صلى الله عليه وآله: ((قد عرفت هذا المكان))، فسمي: عرفات؛ فنزل بها حتى صلى الظهر والعصر معا، ثم وقف بالناس، وجعل إسماعيل إماما، فوقف مستقبلا للبيت حتى غربت الشمس، ثم دفع بالناس فصلى المغرب والعشاء الآخرة بالمزدلفة؛ ويقال - والله أعلم -: إنها سميت مزدلفة؛ لازدلاف الناس منها إلى منى، وإنما سمي موضعها جمعا؛ لأنه جمع بين الصلاتين بها، ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم حين طلع الفجر،

فوقف على الظرب [١] الذي يقال له: قزح [٢]، ووقف الناس حوله، وهو: المشعر الحرام الذي أمر الله بذكره عنده، ثم أفاض قبل طلوع الشمس، فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات، ثم نزل منى، فذبح وحلق، وصنع ما يصنع الحاج، وأرى الناس مناسكهم، فاستمر عليه المؤمنون معه وبعده، وكان الحج فرضا على من وجد إليه سبيلا؛ والسبيل فهو: الزاد، والراحلة، والأمان على النفس. ثم قال سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه، في الدلالة على وقت الحج: ﴿الحج أشهر معلومات﴾؛ فكانت أشهر الحج شوالا، وذا القعدة، والعشر من أول ذي الحجة. ثم قال الله سبحانه: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾، ومعنى قوله: ﴿فرض﴾ هو: أوجب بالإحرام ودخل.

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُم﴾ [الحج: ٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : منافعهم: ما يجب من ثواب الله لهم، بطاعتهم له في أداء مناسك حجهم؛ ومنافعهم: بركة محضرهم ومواسمهم، بما يكون من تجارتهم، وما يصيبون من مرفق أرباح بيعاتهم، التي جعلها الله لهم؛ وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى في كتابه، من توسعة في طلب الرزق في أيام الحج لعباده: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾

(١) - قال في القاموس المحيط: الظَّرِبُ، ككتِفٍ: ما نَتَأَ من الحِجَارَةِ وحُدَّ طَرَفُهُ، أو الجَبَلُ المُنْبَسِطُ، أو الصَّغير. إهـ.

(٢) - قال في تاج العروس شرح القاموس: وفي المصباح، واللسان، والعُباب: قُزَحُ: اسمُ جَبَلٍ بِالمُزْدَلِفَة، وهو: القَرْنُ الذي يَقف عنده الإِمامُ بها؛ لا يَنصرِف للعَدْل والعلميّة. اهـ.

[البقرة : ١٩٨].

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم﴾ [الحج: ٣٠]

قال في المجموع المذكور:

التفث: ما يصيب المحرم لتقشفه من الغبار، والشعث [١] في الشعر والبشر؛ فأمره الله بقطعه وقضائه؛ وقضاؤه فهو: قطعه بعينه، وذلك عند رمي الجمار؛ فإذا قضوا مشاعرهم قطعوا تفثهم، وقضوا نذورهم التي نذروا في حجهم، من صدقة أو دم أو قربة نذروها؛ من البر، يتقربون بها إلىٰ ربهم؛ فالطواف بالبيت: طوافان؛ أحدهما: الطواف بالكعبة عند دخول مكة، والطواف الآخر: طواف الزيارة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)﴾ [الحج: ٣٦]

قال في المجموع المذكور:

الصواف: القيام: كانت في قيامها مشدودة الأيدي بالعقل، أو إطلاقا غير معقولة؛ وذلك: إذا أقيمت صفا عند نحرها، موجهة إلىٰ القبلة، ثم قام من ينحرها إليها -فالواجب عليه ذكر اسم الله عليها وهي صواف، إذا هوىٰ للباتها[٢]، ناحرا عند نحرها، وقبل وقوع النحر عليها، فإذا خرت سقوطا إلىٰ

---

(١) - هو: الغبار.

(٢) - جمع مؤنث سالم لِلَبَّةٍ؛ قال في القاموس وشرحه: (واللَّبَبُ:) مَوْضِعُ (المَنْحَرِ) من كُلّ شَيْءٍ. =

الأرض، ومالت واجبة جنوبها، فكلوا حينئذ منها، وأطعموا البائس الفقير، فذلك الأجر فيه وعليه، من أعظم ما فيها من الخير.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

حدثني أبي عن أبيه في قول الله عز وجل: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾، فقال: القانع هو: الممسك عن المسألة المضطر؛ والمعتر فهو: السائل.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا خبر من الله سبحانه على أن الأغذية والمطاعم لا تناله، وأنه لا يأكل سبحانه ولا يطعم، ولا يناله لحم يغتذى به ولا دم؛ بل هو الذي ﴿يطعم﴾- سبحانه كما قال - ﴿ولا يطعم﴾.

ثم أخبر أن التقوى تناله؛ ونيل التقوى له: رضاه بفعلها، وقبوله لها من أهلها؛ فذلك هو: نيلها له، ووصولها إليه.

وأخبر تبارك وتعالى: أنه إنما أحب البدن والذبائح في الحج، وجعلها من شعائره -لما يريد برحمته من نفعها للضعيف في ارتفاقه بلحمها، واستغاثته بما يصير إليه منها، على فقره وعسره؛ رحمة منه للمساكين والفقراء، وثوابا أعطاه

قيل : وبه سُمِّيَ لَبَبُ الفَرَس . واللَّبَبُ : (كاللَّبَّة) وهو (مَوْضِعُ القِلادَةِ من الصَّدْرِ) من كُل شّيْءٍ أَو النُّقْرَة فوقَه والجمع الأَلْبابُ . وفي لسان العرب: اللَّبَّةُ: وَسَطُ الصَّدْرِ، والمَنْحَرِ؛ والجمع: لَبّاتٌ، ولِبابٌ. عن ثعلب . وحكى اللِّحْيَانيُّ :" إِنَّها لَحَسَنَةُ اللَّبَّاتِ "، كأَنّهم جعلوا كلَّ جزءٍ منهما لَبَّةً، ثُمَّ جمعوا على هذا . وقال ابْنُ قُتَيْبَةَ : هي العِظَامُ الّتي فَوْقَ الصَّدْرِ وأَسفَلَ الحَلْقِ بين التَّرْقُوَتَيْنِ وفيها تُنْحَرُ الإِبِلُ . ومن قال : إِنها النُّقْرَةُ في الحَلْقِ فقد غَلِطَ . انتهى. اهـ.

على ما أحب من البدن الأتقياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾ [الحج: ٤٠]

قال في المجموع المذكور، بعد ذكره للآية:

يخبر الله سبحانه عما وقع بتخليته للناس، وتمكينه لهم من الاختيار فيما يفعلون من فعل الشر، وما يختارون من فعل البر: أن ذلك مما وقع به التبار والتعادي بينهم، وأن في تضارهم وتمانعهم دفعا من الله بعضهم من بعض، عن الفساد والإيعاث في الأرض، الذي فيه هدم البيع والصلوات، وتخريب المساجد التي يذكر اسم الله فيها بالغدوة والعشيات؛ فدفاع الله بعضهم ببعض هو: المانع لهم من تخريب المساجد، والصوامع، والبيع والصلوات، الذي هو: تعطيلها؛ والتدافع الذي بينهم والتمانع هو: الذي به شغلوا عن هدم البيع والصلوات. والصوامع فهي: التي يكون فيها الرهبان؛ وهي معروفة لمترهبي النصارى في البلدان.

و قال عليه السلام في المجموع المذكور، وقد ذكر آخر الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: النصر من الله قد يكون منه سبحانه: بالعلو في الدنيا والغلبة، وقد يكون: يوم المعاد والآخرة، وقد يكون النصر منه تعالى: بإظهار العلم والبرهان والحجة، ويكون تأخير النصر في الدنيا عن أوليائه زيادة لهم في الدرجات والمثوبة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ [الحج: ٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، بعد ذكر الآية ما لفظه:

قال الله سبحانه: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٤١)﴾؛ فقال: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾، فذكر تمكينه لهم في الأرض جميعا، وقد رأينا أنبياء الله وأولياءه لا يملكون من الأرض إلا يسيرا، وإنما أراد عز وجل: الذين حكمنا لهم بها، ومكناهم من ولايتها، وأمرناهم بالقيام فيها، وإذا حكم تبارك وتعالى لعبد من عبيده بذلك -فقد مكنه منها، وأمره فيها؛ وليس اغتصاب الظالم وظلمه لهذا المحق -بمزيل ما جعل الله له من التمكين، لأنه حجة على جميعهم لله سبحانه، يأخذهم لمخالفته، ويعاقبهم على مناوأته، وترك نصرته، والقيام معه، فلما أن عاقبهم في مخالفتهم له -كان الممكن في أمرهم، والمحكوم له بطاعتهم، والمفوض إليه أمرهم -صار المحكوم له بالأرض، الواجبة طاعته، المفروض اتباعه.

قوله تعالى: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)﴾ [الحج:٤٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وقصر مشيد﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: المشيد: العالي المشرف، الرفيع

المزخرف؛ فأخبر الله سبحانه عن: القصر المشيد الذي كان بسماكيه [(١)] عامرا، والماء من البئر المعطلة الذي كان موردا مرة آهلا، وعن تعطيلها وخرابها، وزوال عامرها؛ تذكيرا بزوال الدنيا وفنائها، وتحذيرا للاغترار بشرابها.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾؟

فقال: البئر والقصر: في اليمن، في أرض السهل، في موضع عمار بن ياسر؛ قال أحمد بن بريه: في موضع يقال له: هكر [(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)﴾ [الحج: ٤٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾؟

المعنى في ذلك فهو: إخبار من الله سبحانه عن نفاذ قدرته، وإمضاء مشيئته، وسرعة فعله؛ يخبر سبحانه: أنه ينفذ في يوم واحد ما ينفذه جميع الخلق إذا اعتونوا

---

(١) – جمع مذكر سالم لِسِماكٍ، والأكثر جمع التكسير: سُمُك؛ قال في القاموس وشرحه: والسِّماكُ ككِتابٍ : ما سُمِكَ به الشّيءُ أي رُفِعَ حائِطاً كان أَو سَقْفاً. جَمْعُه: سُمُكٌ ككُتُب إهـ.

(٢) – قال في معجم البلدان لياقوت الحموي: هَكْر: بالفتح ثم السكون والراء. ذكره الحازمي، فقال بكسر الكاف: موضعان. وقيل: بفتح الكاف، وقال ابن الأعرابي: بالكسر مدينة لمالك بن سُقار من مذحج، وهو حِصْنٌ باليمن من أعمال ذمار. وعن الثقة: بفتح الهاء وكسر الكاف. اهـ. وقال أيضا: سَهل: ضد الصعب. بنو سهل: قرية من نواحي مَشْرَق جهران باليمن من نواحي صنعاء. اهـ.

عليه في ألف سنة، من محاسبة المحاسبين، وتوقيف الموقفين على ما تقدم من أعمالهم في دنياهم وحياتهم؛ فهذا معنى ما عنه سألت، من قول الله سبحانه: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)﴾ [الحج: ٥٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويل:" ألقى في أمنيته" إنما هو: إلقاء في قراءته وتلاوته [(١)]؛ وليس ذلك كما يقول من جهله من العامة: إنه يلقيه - على اللسان، فينطق به من رسول أو نبي - شيطان، ولم يجعل الله سبحانه على رسول ولا نبي للشيطان، مثل ذلك التمكن والقدرة والسلطان؛ كيف: والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٨٨) إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٨٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (٩٠)﴾ [النحل]، وفي مثل ما قلنا: ما يقول رب العالمين: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر: ٤٢].

وجهلة العامة يزعمون: أن الشيطان ألقى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يتمنى ويقرأ: أذكر آلهة قريش من اللات والعزى. فقرأ في ذكرها:" وإن تلك لهي الغرانيق العلى، وإن شفاعتها عند الله لترتجى "؛ هذا لا يجوز على

---

(١) - المصدر هنا بمعنى المفعول، أي في المقروء والمتلوِّ الذي جاء به صلى الله عليه وآله وسلم. وليس في القراءة والتلاوة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما قالت العامة، وقد نفاه الإمام فيما سيأتي.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظنة ولا توهمة، فضلا أن يثبت عليه صلى الله عليه وآله وسلم قوله أو ظنه بهذا ومثله، وما كان نظيرا له.

فإذا ألقى في تنزيل الله ووحيه، أو أمر الله ونهيه -نسخه الله فنفاه، وأبطله ونحاه، والله سبحانه لا يبطل ولا ينفي وحيه بنسخه وتبديله، وإن صرفه فزاد أو نقص من الفرض في تنزيله، كقوله سبحانه: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون (١٠١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين (١٠٢)﴾ [النحل]؛ فكل أمر الله ونهيه هدى ورحمة، ومن من الله على خلقه ونعمة، فكذلك أمر النسخ والتبديل، وما ذكر منهما جميعا في التنزيل.

وقال عليه السلام في موضع آخر من الكتاب:

وسألته عن: قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾؟

تأويل: ﴿تمنى﴾ هو: قرأ، و﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ تأويله: ألقى الشيطان في قراءته؛ وقراءته عليه السلام فهو: ما ألقى من القرآن إلى أمته. و﴿ألقى الشيطان﴾ فيما كانوا يقرؤون من القرآن وآياته هو: إلقاء من الشيطان في أمنيته وقراءته. والإلقاء في القراءة من الشيطان -ليس إلقاء في قلب الرسول، ولا فيما جعل الله له من اللسان؛ ولكنه إلقاء من الشيطان في القراءة، بزيادة منه في القراءة أو نقصان، وقد رأينا في دهرنا هذا بين من يقرأ آيات القرآن -اختلافا كثيرا في الزيادة والنقصان؛ فما كان من ذلك صدقا وحقا فمن القرآن، وما كان منه كذبا وباطلا فهو من الشيطان؛ في أيدي الروافض من ذلك والغلاة: ما قد سمعت وسمعنا – والله المستعان – من القراءة.

فأما:" تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتها ترتجى " -فقد فهمنا منه ما ذكرت، وسمعنا منه بعض ما سمعت، وهو كلام مغور فاسد، لا يتكلم بمثله حكيم، ولا ماجد كريم، لا يشتبه بفساده في تأليفه، وقبحه في نفسه وضعفه: أن يكون من بليغ من بلغاء العرب؛ فكيف من الرسول أو الرب، الذي لا تدركه بتحديد العقول، ولا يشبه قوله في الحكمة قول؟!

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

معنى قوله: ﴿إذا تمنى﴾ فهو: إذا قرأ، ومعنى: ﴿أمنيته﴾ فهي: قراءته، ومعنى إلقاء الشيطان: وسوسته التي يشغل بها القارئ حتى تتخلط عليه قراءته، ومعنى نسخ الله لما يلقي الشيطان فهو: إذهابه له من قلب القارئ، بعد وقوعه فيه، وشغله به، حتى يفرغ القلب لقراءته، ويرجع إلى ما كان في بادئ أمره. ومعنى: ﴿يحكم الله آياته﴾ فهو: يثبتها في قلوب أوليائه.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

معنى ﴿تمنى﴾: قرأ. وتأويل: ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ المراد به: في قراءته، وليس المراد به: أنه يلقي في قلب الرسول، ولا على لسان الرسول؛ ولكن المراد به: أنه يلقي في قراءة بعض من يقرأ ما يأتي به الرسول، وذلك الإلقاء: مثل الغلط والنسيان، والزيادة والنقصان... (ثم ذكر عليه السلام كلام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، المتقدم ذكره بعد الموضع الأول).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)﴾ [الحج: ٦١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

معنى ذلك: أنه لا تخفى عليه الأصوات ولا اللهوات، ولا غيرها من

الأعيان، أين ما كانت وحيث كانت، في ظلمات الأرض والبر والبحر؛ ليس يعني: أنه سميع بصير بجوارح، أو بشيء سواه؛ فيكون محدودا، أو يكون معه غيره موجودا؛ تعالى الله عن ذلك.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سميع بصير (٦١)﴾ يريد بذلك: أنه لا يخفى عليه المسموعات كلها، وأنه عالم بالأشخاص والأشباح، وصفاتها وهيئاتها، وباطنها وظاهرها، لا يخفى عليه شيء من درك الأبصار مما يدرك الأبصار منها كلها؛ بل دركه لها وعلمه بها أجود وأبلغ من درك الأبصار كلها.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوه﴾ [الحج: ٦٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي لله عنه: المنسك هو: ما تقرب بفعله إلى الله، من أداء معلوم فرائضه في الدين؛ فليس من أمة من أمم الأنبياء إلا وقد فرض الله عليهم شرعة ومنسكا يكونون فيه بطاعة الله ناسكين.

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾ [الحج: ٧٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

يقول: في سبيل الله حق جهاده. ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾: إنما قال الله تبارك وتعالى: ﴿من قبل﴾: في دعوة إبراهيم وإسماعيل؛ ذلك قوله عز وجل: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨)﴾[البقرة]؛ فهذا من دعاء إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سماه في الكتاب الذي بعث به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقال: ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[البقرة: ١٤٣]، ثم قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾[البقرة: ١٢٩]، فهم ذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم دعوتهما قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

يريد: ما جعل عليكم في الدين والتحقيق، من عسر ولا تشديد ولا تضييق؛

ولعمر العماة المتجبرين، والغواة المبطلين، ما من ضيق ولا عسر، ولا تكليف لما لا يطاق من الأمر -أشد من هذا، لو كان كما يقول الجاهلون، وينسب إلى الله عز وجل الظلمة الضالون؛ بل كلف سبحانه يسيرا، وأعطى على كل قليل كثيرا، ولم يجز لعباده من ذلك أمرا؛ بل أحدث لهم عنه نهيا وزجرا؛ فتعالى عن ذلك الكريم ذو الجبروت، المتفضل ذو الرأفة والملكوت؛ والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وسلام على المرسلين.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: تفسير الجهاد؛ كيف معانيه في القرآن؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: تفسير الجهاد في القرآن على ثلاثة وجوه:

فالوجه الأول من الجهاد: يعني به: القول؛ فذلك قوله عز وجل: ﴿وجاهدهم به﴾، يعني: بالقول. ﴿جهادا كبيرا (٥٢)﴾[الفرقان]، وهذا بمكة قبل أن يؤمر بالسيف، وقال في سورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣]، يعني: بالقول الغليظ.

والوجه الثاني من الجهاد: يعني به: القتال بالسلاح؛ فذلك قوله: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين﴾ [النساء: ٩٥]، يعني: الذين يقاتلون في سبيل الله. ﴿على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥)﴾ [النساء]، وقال في براءة: ﴿جاهد الكفار والمنافقين﴾ [التوبة: ٧٣]، يعني: بالسيف، ومثلها في: ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ [التحريم: ١].

والوجه الثالث من الجهاد: يعني به: العمل؛ فذلك قوله في سورة العنكبوت: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ [العنكبوت: ٦]، يعني به: من يعمل الخير فإنما

يعمل لنفسه. وقال فيها أيضا: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، يقول: عملوا لنا، وقال في سورة الحج: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨]، يقول: اعملوا لله حق عمله.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام، بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، فقال ما لفظه:

وسماه: أبا لهم، وليس هو أباهم على الولادة؛ لأن ولد إبراهيم عليه السلام خاصة يعرفون بولادته، وإنما هو: أبو المسلمين في الدين، لا في الولادة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، في سياق استدلاله على حجية إجماع أهل البيت عليهم السلام بالآية:

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله اختارهم له شهداء، والثاني: أنه لو لم يكن قولهم حجة لما اختارهم، فالذي دل على الأصل الأول، وهو: أنه اختارهم شهداء -فظاهر الآية ينطق بذلك في قوله: ﴿هو اجتباكم﴾، والاجتباء هو: الاختيار، وظهوره في اللغة يغني عن الاستشهاد عليه؛ فثبت الأصل الأول.

وأما الأصل الثاني، وهو: أنه لا يختار له شهداء إلا من يكون قولهم حجة واجبة الاتباع -فما دل عليه عدله وحكمته يوجب ذلك؛ ألا ترى: أن قاضيا من قضاة المسلمين لو قال:" قد اخترت فلانا شاهدا، ووجب عندي قطع الحق بقوله " -لدلنا ذلك أنه قد رضي بقوله، وثبتت عدالته عنده، وأنه لا يقول إلا ما يجب العمل به؛ فعلام الغيوب أولى بذلك، إذا اختار هذا النصاب للشهادة على الناس -دل ذلك على أنهم عدول عنده، وأنهم لا يقولون إلا الحق، و﴿ماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون (٣٢)﴾[يونس].

وقول من يقول: إن عموم الآية يتناول جميع ولد إبراهيم من اليهود والنصارى، وغيرهم من ولد إبراهيم من سائر القبائل -قول لا وجه له؛ لأنه

وإن كان كذلك فإن الأخبار الواردة من جهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما أوجب متابعة [١] من عدا عترته من القبائل؛ فالآية وإن كانت عموما قد خصتها الأخبار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والكتاب والسنة محدثان إلى جهة واحدة، فلا يجوز الفرق بينهما، ولم ينص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أن قول غير عترته من القبائل حجة، فيجب حمل الآية على أن المراد بها عترته عليهم السلام، دون سائر ولد إبراهيم؛ لهذه الدلالة.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، في سياق استدلاله على إمامة أهل البيت عليهم السلام بالآية:

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله تعالى أمر أولاد إبراهيم -عليه السلام- أمرا ظاهرا بالجهاد في الله تعالى حق الجهاد، ولا يكون ذلك كذلك إلا بتجييش الجيوش، وعقد المراكب ، وشن الغارات، وحمل من عصى الله تعالى على طاعته، حتى يتمحض الجهاد فيه عز وجل، ويتعرى عن غرض آخر بجميع وجوه الإمكان، من شدة ولين، وإقامة الحدود، وحفظ البيضة، وسد الثغور، وسياسة الجمهور، وقتل المحاربين، وسوق الهاربين، وأخذ أموال الله تعالى ممن وجبت عليه طوعا وكرها، وصرفها في مستحقها، إلى غير ذلك من سائر أنواع أعمال الإمامة. وإنما قلنا ذلك: لأنه لا يعقل من إطلاق الجهاد في الله تعالى حق الجهاد إلا: ما قدمنا؛ بدليل: أنه لا يجوز أن يقول القائل:" إن فلانا حارب أعداء الله تعالى، فشن عليهم الغارات، وقاد إليهم المقانب، ونصب لهم المكائد، وأدار في حربهم أنواع الحيل ، وهجر له النوم، وجمع العدة ، ورتب الأمر فيه على مقتضى حكم السياسة، ولم يجاهدهم مع ذلك حق الجهاد "؛ بل ينفي ما قدمنا، ويقول القائل:" إنه جاهدهم حق الجهاد "، فثبت أن المجاهدة في الله تعالى حق جهاده

---

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، ولعل العبارة:" ما أوجبت متابعة... " .

الواجب فيه -لا يكون إلا بما قدمنا ذكره، وبمثل ذلك تعرف الحقائق في كل أمر.

وكما أن هذا يدل على ما ذكرنا -هو أيضا يدل على بطلان دعوى من يدعي الإمامة لمغلق الباب مرخي الستر؛ لأن أقل أحوال من يستحق الإمامة أن يشهر نفسه، ويظهر للخاص والعام أمره، حتى تسقط الحجة عنه، ويتعلق الفرض بغيره، فإذا كان ما ذكرنا، وكان سبحانه وتعالى قد أمر بذلك، والأمر يقتضي الوجوب؛ لأن ترك مقتضى الأمر معصية، ومعصية الحكيم تعالى لا تجوز؛ فلا يخلو: إما أن يريد سبحانه ذلك من كل ولد إبراهيم -عليه السلام-، أو من بعضهم؛ وباطل أن يريد سبحانه ذلك من كلهم؛ لأن اليهود والنصارى والكفار والفساق منهم -يجب أن يجاهدوا؛ بدليل آيات الكتاب الكريم، وإجماع الأمة، والعترة - عليهم السلام- على ذلك؛ فكيف يجاهد في الله من يجب جهاده لله؟! ولا يخفى هذا على عاقل؛ فبقي أن المراد بمقتضى الآية: بعضهم، دون كلهم، ولأن الآية مخصوصة.

قلنا:" وباطل أن يراد بذلك سائر القبائل من مسلمي ولد إبراهيم -عليه السلام- "؛ لأن جميع ما ذكرنا من الجهاد في الله سبحانه حق الجهاد -لا يكون إلا للأئمة؛ بالإجماع من العترة الطاهرة -عليهم السلام- والأمة؛ لأن الأمة وإن خالف بعضها العترة الطاهرة في نصب الإمامة؛ فالكل مجمع على أن إقامة الحدود، وتجييش الجيوش، إلى سائر ما ذكرنا -لا يجوز إلا للأئمة دون غيرهم؛ فثبت أن مقتضى الآية يفيد معنى الإمامة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

ومعنى قوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾: أنه تعالى لم يكلف الناس ما لا يطيقون؛ يدل على ذلك سياق الآية أيضا، حيث أمرهم سبحانه بالجهاد، فقال: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل

عليكم في الدين من حرج﴾، والجهاد أشق من ترجيح الحظر على الإباحة؛ لأنه تبذل فيه النفس، وتخاف به فراق الروح الجسد، وتأيم الحلائل، ويتم البنين، وذلك مما تكرهه النفوس وتستشقه؛ قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [البقرة:٢١٦].

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون: ٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره هذه الآية، وما بعدها، إلى قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾:

وهذا وصف الله تبارك وتعالى للمؤمنين، وما شهد لهم به، من وراثة الجنة والفردوس؛ شهد الله للمؤمنين الموصوفين بهذه الصفات بالفلاح، وشهد على من خالف هذه الصفات أنهم عادون، وسلخهم من اسم الإيمان، وقال: ﴿والمنافقون والمنافقات...﴾، إلى قوله: ﴿فنسيهم﴾ [التوبة:٦٧][1]؛ بقولهم:" نسوا الله أن يطيعوه، وأن يذكروه كما أمرهم "، فنسيهم من ثوابه؛ والنسيان هاهنا: الترك؛ نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، المطيعين لله ولرسوله برحمته.

وقال في موضع آخر:

ومن يشك في أن من الخشوع في الصلاة: تسكين العيون وغضها، وكذلك تسكين الأيدي وخفظها، فذلك من الخشوع فيها، ومن الإقبال عليها؛ وما قلنا في ذلك، ومن دلائله: ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، من أنه قال: ﴿ما بال رجال يرفعون أيديهم إلى السماء في الصلاة كأنها أذناب خيل شمس،

---

(١) – لفظ الآية كاملة: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾.

لئن لم ينتهوا ليفعلن الله بهم وليفعلن﴾، لا يجهل ذلك من رواتهم إلا متجاهل؛ فأمر الصلاة كلها - والحمد لله - سكون وخشوع لله.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

والخشوع فلا يكون إلا بتسكين الأطراف والهدوء، والإقبال على الصلاة، حتى لا يمزجها بغيرها؛ فأما من شابها بضده، وأدخل فيها ما ليس من أعمالها، فقد نأى عن خشوعها، وبعد عما ذكر الله سبحانه من حدودها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾ [المؤمنون: ٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿والذين هم عن اللغو معرضون (٣)﴾، أي: الباطل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون: ١٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

والخلق الآخر فقد يحتمل أن يكون: ما جعل فيه من بعد أن كساه لحما، من: العروق والعصب، والمفاصل والقصب [1]، وما فطر من عجيب خلق الرأس، الذي جعله سواء في جميع الناس، فجعله سبحانه قواما للبدن كله، وأظهر فيه أعاجيب صنعه وفعله، فخلقه قطعا، وجعل فيه طرقا لما فيه من الأدوات،

(١) - قال في القاموس المحيط:" والقَصَبُ، محرَّكةً أيضاً: عِظامُ الأَصابعِ ".

فكلهن فيه سالكات، جاريات متشعبات، ولخالقهن بالقدرة شاهدات، وبلطيف تدبيره فيهن ناطقات. ثم ركب فيه العينين، وحجر فيه المحجرين (١)، وجعل في المحجرين الغارين (٢)، وصور في الغارين المقلتين (٣)، وخلق في المقلتين الناظرين (٤)، وجعل المحيط بإنسانهما (٥)- لتكامل التحقيق من عيانهما - أغشية من مدلهمات الجلابيب، ومتكاثفات اسوداد الغرابيب (٦)، ضافيتي الأنطاق (٧)، ناصعتي الأطباق، جعلهما - جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله - شحمتين اختص أوساطهما بالسواد، وجعله آلة للنظر في القرب والإبعاد، ولغير ذلك من الانحدار والإصعاد، ثم جعلهما حصينتي الأطباق، حديدتي الآماق، للإدارة والإطراق، وتقلب المقلة في الحملاق (٨)، وغشاهما بأرواق الأجفان (٩)، بالرأفة منه سبحانه والإحسان، والعائدة بالفضل على الإنسان؛

(١) - قال في تاج العروس:" مَحْجِرُ العَيْنِ هو: ما دارَ بها. ".

(٢) - قال في القاموس وشرحه تاج العروس:" (و) قال ابن سيده: الغَارَانِ : (العَظْمَان) اللَّذَانِ (فِيهِما العَيْنَانِ)".

(٣) - قال في القاموس المحيط:" والمُقْلَةُ: شَحْمَةُ العَينِ التي تَجْمَعُ السَّوادَ والبياضَ، أو هي السَّوادُ والبياضُ، أو الحَدَقَةُ. ج كصُرَد".

(٤) - قال في القاموس المحيط:" والناظِرُ: العَيْنُ، أو النُّقْطَةُ السَّوْداءُ في العَيْنِ، أوِ البَصَرُ نَفْسُهُ، أو عِرْقٌ في الأَنْفِ، وفيه ماءُ البَصَرِ، وعَظْمٌ يَجْرِي من الجَبْهَةِ إلى الخَياشِيمِ. والنَّاظِرانِ: عِرْقانِ على حَرْفَيِ الأَنْفِ، يَسيلانِ من المُؤْقَيْنِ. ".

(٥) - قال في القاموس وشرحه تاج العروس، في بيان إنسان العين:" المِثَالُ يُرَى في سَوادِ العينِ. ويقال له: إنسان العين، ج: أناسِيّ".

(٦) - قال في القاموس المحيط:" أَسْوَدُ غِرْبيبٌ: حالِكٌ".

(٧) - قال في القاموس المحيط:" الضَّفْوُ: السُّبوغُ، والكَثْرَةُ، وفَيَضَانُ الحَوْضِ. وثَوْبٌ ضافٍ. ".

(٨) - قال في القاموس المحيط:" حُـمْلاقُ العيْنِ، بالكسرِ والضم، وكعُصْفُورٍ: باطِنُ أجْفانِها الذي يَسْوَدُّ بالكَحْلَةِ، أو ما غَطَّتْهُ الأَجْفانُ من بَياضِ المُقْلَةِ، أو باطِنُ الجَفْنِ الأَحْمَرُ الذي إذا قُلِبَ لِلْكَحْلِ رأيتَ حُمْرَتَه، أو ما لَزِقَ بالعينِ من مَوْضِعِ الكُحْلِ من باطِنٍ، ج: حَمالِيقُ. و" حَمْلَقَ " فَتَحَ عَيْنَيْهِ، ونَظَرَ شديداً.".

(٩) - قال في القاموس المحيط:" والأَرْواقُ من العَيْنِ : جَوانِبُها "، وقال أيضا:" والرِّواقُ : حاجِبُ العَيْنِ ".

لتلتئم عند الهجوع مطابقهما، وتطمئن لذلك علائقهما، وتريح من الحركة مدامعهما؛ ليقوى نظرهما، ويثقب بصرهما؛ ولو كان مكان سواد إطباقهما ناصعا ببياض نطاقهما -لقصرتا عن بلوغ مناظرهما، ولعجزتا عن تحديد إبصارهما، ولكثر إغماضهما، ولقل إيماضهما. ثم حجب عنهما سبحانه بأجفانهما الأذى، وأماط عنهما بأشفارهما القذى، فلما أحكمهما بالتقدير، وأتقنهما بالتدبير - غشاهما بالحاجبين، وأظل بالحاجبين ما استجن من العينين؛ لعلمه سبحانه بضرورة الناظرين، إلى ما ركب من الحاجبين، ثم جعل فيهما - من بعد إتقان تدبيرهما - شعرا مسودا ظاهرا عليهما؛ ليزيد سواده في قوة نظرهما عند استقبالهما؛ لبعد اعتمادهما، ولو لم يكونا بزينة الشعر مخصوصين، وكانا مما زينتا به محطوطين -لنقص من العينين نظرهما، ولتضوع في أرجائهما نورهما، ولعشي عن مقر التحقيق بصرهما. ثم مثل بينهما خالقهما أنفا مستروحا لأنفاسه، موقوفا لرجعه واحتباسه، فأقام رسم حده، وأحسن التصوير في قده، وجعله هواء، معتدلا سواء، ولولا ما دبر فيه، وركبه من الإحكام عليه -لم يؤد - بلطيف اعتباره، ودقيق اختباره - المحسوس إلى قراره، ولعجز عن بلوغ مدى الاسترواح، ومستقر غاية الأرواح، فجعله سبحانه من أصليته ناشزا، وجعل في سراته [1] حاجزا؛ ليوقف رجع الأنفاس، بين العجلة والاحتباس. قسمه بحكمته؛ لتكامل لطيف نعمته، ثم شق تحت وتر أرنبته، مسلك ما قدر من أغذيته، وخلق فيه لسانا مؤديا عن منطقه ولفظه، بين طبقتين خلقهما لحفظه، فجعله لحما، وأجرى فيه عروقا ودما، ولو جعله عصبا قاسيا، أو فطره عظما جاسيا [2]، لكان ذلك له من الترجمة مانعا، وعن الجولان بالحركات قاطعا؛

---

(١) - قال في القاموس المحيط:" والسَّراةُ: أَعْلَى كلِّ شيءٍ.".

(٢) - قال في القاموس المحيط:" جَسا، كدَعا، جُسُوًّا صَلُبَ ".

فسبحان من جعله معبرا عن ضمائر الصدور، ومترجما لكل ما تميزه العقول من الأمور، وركب فيه استطاعة لفظه، وخصه بالوافر من حظه، وأجرى فيه عذوبة ريقه؛ لتمييزه بين مختلف ذوقه. ثم علق على أقاصيه عقد لهاته، ليعرف بها لذيذ شهواته؛ نعمة من الخالق على خلقه، ليلتذوا بالطيبات من رزقه، ولو كان موضعها منها عاطلا، لم يكن الالتذاذ إلى ملتذه واصلا، ولرجعت مختلفات أنفاسه، إلى المكنون من أم رأسه. ثم فتق – سبحانه، وعظم عن كل شأن شأنه – بعد ذلك في مرتقها سمعا، جمع به محكم الآلات جمعا، فأدى ذلك إلى العقول عظمة خالقها، وشملت الجوارح به نعمة جاعلها، وألبس أرجاء السمع أذنا، لاستقرار جولان الوحي في محاله، وإزاحة الشك النازل به وإبطاله. ثم عطف أطراف غرضوفهما، على البواطن من حروفهما؛ للحوق جولان الأصوات، ولولا ذلك لعجزت عن درك القالات، مع ما ركب من غير ذلك في ظاهره وباطنه من المركبات، وجعل فيه سبحانه كل ما يحتاج إليه الجسم من الآلات والأدوات.

ثم علق في صدره قلبا، وركب فيه لبا، ثم جعله وعاء للعقل الكامل، وحصنا للروح الجائل، حفظه عن مزدحمات الأغذية بانحطاطه، ورفعه عن مقرها من الجوف بمتعلق نياطه، فقر بتدبير الخالق في أحصن حصن، وأبعده مما ركب وجعل في البطن. وفوقه من الصدر هوآء، وتحته أدوات ومعاء، فهو مقر لثابت الأنفاس، متملك لخدمة جميع الحواس، إن شاء شيئا شئنه، وإن أباه بلا شك أبينه، به تنزل مدلهمات الغموم، وإليه مأوى نوازل الهموم، وعند انشراحه للشيء يوجد به الفرح والسرور، وبقبوله له تكمل الغبطة في كل الأمور؛ جعله الله آلة للفطن والفكرة، وفطره على ذلك من الفطرة، وذلك قول الرحمن، فيما أنزل من الفرقان: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في

الصدور﴾[الحج: ٤٦]، وقال سبحانه، وعظم عن كل شأن شأنه: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق:٣٧]، يقول: إن فيما تقدم من فعلنا بمن مضى، ممن نزل عليه ما نزل من عذابنا -لذكرى لمن كان له قلب يعقل به ويفهم، ويتدبر ما يرى من فعلنا فيعلم.

وقد يحتمل ويكون معنى قول الرحمن، فيما نزل من واضح النور والفرقان: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ -هو: ما ميز من خلق الأنثى والذكر، فيكون لما أن كسا العظام لحما -جعله من بعد ذلك ذكرا أو أنثى، فحينئذ بقدرة الله تمت السلالة، وفيما قلنا به من الخلق: ما يقول الله عز وجل في سورة القيامة من خلق الزوجين، فهذا عندي - والله أعلم - فأشبه القولين.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألتم عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الخلق الآخر فهو: ما صور سبحانه، وجعل من الماء، فخرج من حد الماء والعلقة التي كانت عليه، إلى حد الحياة واللحم والدم والحركة؛ فكان بما جعل فيه من البسط والقبض والحركة وشق الحواس - خلقا [كما[1]] كملت به الصورة، وقامت به الحجة، وتمت به النعمة؛ فهذا معنى الآية.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وإن سأل عن: قول الله سبحانه: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ -قيل له: لا خالق إلا الله تبارك وتعالى، ولا موجود غيره؛ والعرب قد تسمي العامل: خالقا؛

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، ولعل الكلام:" خلقا كملت به الصورة"؛ تأمل.

من ذلك ما يقول الشاعر:

حروب دهت منا الجميع وفرقت... كما فرقت صدر الأديم خوالقه

وقال أيضا:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ... ض الناس يخلق ثم لا يفري

والشاهد لذلك من كتاب الله سبحانه قوله: ﴿وتخلقون إفكا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)﴾[المؤمنون: ١٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿سبع طرائق﴾، أي: سبع سماوات أطباقا، بعضهم فوق بعض.

قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)﴾[المؤمنون:٥٠]

قال في المجموع المذكور:

الربوة: المكان المرتفع. و﴿قرار﴾: السهل. و﴿ومعين﴾ هو: ما سال من الموضع المرتفع، كما تسيل العيون. والمعين فهو في اللسان العربي: العين الثابتة التي تقل عن أن تدعا باسم العيون، فتلك: معين، كانت في جبل أو في ربوة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[المؤمنون: ٥٢]

قال في المجموع المذكور:

قوله عز وجل: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الأمة في لسان العرب: القصد يؤتم؛ يقول الله سبحانه: إن قصدكم الذي تقصدون، وأمتكم التي تأتمون - واحدة، يعني سبحانه: طريقا واحدا غير اثنين؛ إذ كلهم مأمورون بعبادة الله وحده، وبالسلوك في سبيله وقصده، وخلع الأنداد من دونه، والشهادة له بواحدانيته، وأنه لا إله ولا رب غيره، فربهم الله ومعمدهم، وأمتهم الذي هو قصدهم؛ سبحانه وتعالى، وله المثل الأعلى.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾[المؤمنون: ٥٣]

قال في المجموع المذكور:

و﴿تقطعوا أمرهم بينهم﴾، المعنى فيه: فتقطعوا عن مذاهبهم، واختلفوا في مقالاتهم. ﴿زبرا﴾، أي: قطعا، عن الجماعات مفترقين في الدين ، سالكين في صلاتهم في طرق مختلفا. ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾، لا ينصفون حجج الله، وما دعاهم إليه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فيتوبون.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾[المؤمنون: ٥٥، ٥٦]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فأخبر: أن المال والبنين الواصلين إليهم -من الله سبحانه وتعالى، وأن ذلك لا لمنزلة لهم عند الله، ولا مسارعة في الخيرات الخالصة، وإنما ذلك لإكمال حججه، وإظهار نعمه، إن شكروها أعطوا أجر الشاكرين، وإن كفروها لحقهم

عقوبة الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال الحسن: يعملون ما عملوا من أعمال وجوه البر، وهم يخافون أن لن ينجيهم ذلك من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون: ٦١]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

المعنى فيه: يسارعون في الخيرات وهم بها سابقون، فقامت اللام مقام الباء؛ قال الشاعر:

لقد نلت أمرا لم تكن لتناله ... ولكن لفضل الله ما نلت ذلكا

يريد: بفضل الله؛ فأقام اللام مقام الباء؛ فهذه حجة في حروف الصفات التي يعقب بعضها بعضا، وقد جرى في ما سألت عنه نظائر لهذا في جواباتنا هذه، وفيه لك الكفاية بحول الله وقوته. وبهذا الجواب في هذه الآية: ﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ -أجاب أبي الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)﴾ [المؤمنون: ٦٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الغمر: مثل الغريق يغمره الماء؛ فمثل قلوبهم بالغمرة التي وقع فيها غرق؛ وذلك لغفلتهم وإعراضهم، وبأنهم لما سمعوا من الحق، فقلوبهم عن ذلك في غمرة. وأعمالهم التي هم لها عاملون: فأشغال دنياهم، وإيثارهم شهواتهم وأهوائهم، التي هم لها على دين الحق مؤثرون، فهم من ذلك كله في لجة، فيها قلوبهم في غمرة، كغمرة الماء غرقة، فهم فيها غرقون.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله الله سبحانه، وتعالى عن كل شأن شأنه: ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾؟

وذلك إخبار من الله عز وجل لنبيه: بأن لهم أعمالا من الفسق والغي، والباطل والعنود عن الحق، وغير ذلك مما كانوا يعملون، وفيه دهرهم يتكمهون، وبها عما يدعوهم إليه من الحق مشتغلون، وبدون ما أدبهم به مؤتمرون.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به سامرا تهجرون (٦٧)﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿تنكصون﴾: ترجعون وتدبرون عن قبول الحق. ومعنى: ﴿سامرا تهجرون﴾ فهو: ليلا؛ لأن السمر هو: حديث الليل؛ يقول: كنتم تسمرون بالكذب، ودفع الحق. و﴿تهجرون﴾ فهو: تهذون، وتكلمون بما لا تعقلون.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩)﴾ [المؤمنون: ٩٩]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿رب ارجعون﴾، فقلت: كيف جاز أن يجعل " الله " هاهنا: جماعة؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنما يجوز هذا القول في التعظيم للمخاطب.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)﴾ [المؤمنون: ١٠١]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

المراد به: أنه لا ينفع النسب يوم القيامة. وقوله: ﴿ولا يتساءلون﴾ المراد به: أن

كل إنسان مشغول بنفسه في الموقف ويوم الحساب؛ قال الله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧)﴾[عبس:٣٤-٣٧]، فأما في الجنة فإنهم يتساءلون؛ قال الله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٥) قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم (٢٧) إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم (٢٨)﴾[الطور:٢٥-٢٨]. وكذلك أيضا أهل النار يتساءلون في النار: ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين (٣٠)﴾[الصافات:٢٨-٣٠]؛ فصح أن المراد به: ولا يتساءلون في الموقف، ولا أنساب بينهم نافعة لهم.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾[المؤمنون: ١١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: معناه : هزؤا؛ لأنهم كانوا يسخرون ويهزؤون بالأنبياء عليهم السلام والمؤمنين، فيما يدعونهم إليه من أمر الله والحق والدين، فلما كثر أذاهم لهم، وهزؤهم وسخريتهم بهم -أمسك بعض الإمساك عن تذكيرهم؛ لما بلغ منه من الأذى ببهزئهم، وما نالهم من شرهم؛ قال سبحانه: ﴿حتى أنسوكم ذكرى﴾، ومعنى: ﴿أنسوكم ذكرى﴾: تركوكم من التذكرة؛ لشدة سخريتكم واستهزائكم.

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ [النور: ٢]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: قال الله تبارك وتعالى في الزانيين: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذا بهما طائفة من المؤمنين﴾؛ فأوجب على الزانيين مائة جلدة إذا كانا حرين بالغين، وشهد عليهما بذلك: أربعة عدول من المسلمين، وأثبتوا الشهادة عند الإمام بالإخراج والإيلاج، وثبت عند الحاكم معرفة صحة عقولهما -فحينئذ يجلد كل واحد منهما مائة جلدة، كما أمر الله سبحانه.

وأما قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾، والرأفة هي: الرحمة والرقة، والتوهين في أمرهما، والرفق بجلدهما إذا كانا مطيقين للإيجاع.

وأما الطائفة التي أمر الله عز وجل بشهودها فهي: الجماعة من المؤمنين، تكثر حينا، وتقل حينا، وقد قيل: إن أقل الطائفة ستة: الإمام، والشهود الأربعة، والجلاد.

فأما البكران فلا يزادان على مائة جلدة كل واحد.

وأما الثيبان فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أنه أمر برجمهما؛ فلم يختلف الرواة في الرجم: أنه رجم ماعز بن مالك الأسلمي، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رجم شراحة الهمذانية. ولم يزل الرجم ثابتا بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا يختلف فيه اثنان، ولا يتناظر فيه متناظران. ورجم عمر بن الخطاب في وفارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكثرتهم، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ ذاك فيهم، فما أنكر أحد عليه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب، ثم يرجم، ويقول: ((الضرب في كتاب الله، والرجم جاء به رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته عن الله)). ومن أعظم الحجج في إيجاب الرجم: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: رجم، وأمر بالرجم؛ وهو القدوة عليه السلام والأسوة؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾، وقال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وقال سبحانه: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾...(إلى آخر كلامه عليه السلام)

قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾ [النور: ٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل عن: أشياء تحرم بها الزوجة على زوجها من غير تكلم بطلاق؟

فقال: من ذلك أن يزني هو، أو تزني، أو تختلع منه، أو تفتدي، أو ترتد إلى الشرك بعد الإسلام؛ وفيما ذكرنا في ذلك من البيان: ما يقول سبحانه: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك...﴾ الآية، وإذا

كان ذلك فاسدا منفسخا محرما -كان عقده منفسخا محرما؛ وقد ذكر أن عليا صلوات الله عليه: حد رجلا زنا من أهل القبلة، وفرق - لما حد - بينه وبين زوجة له مؤمنة، وفرق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بين المتلاعنين، ولم يصح زنا الزوجة ببينة ولا يقين، وجرى ذلك في اللعان سنة؛ فكيف إذا كانت زوجية أحدهما منتفية.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

[وسألت عن: ﴿الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾؟]

وأما قوله: ﴿الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ -النكاح هاهنا قد يكون: المسيس والمجامعة، ويكون: العقد والملك، والتزويج الذي جعله الله طاعة.

وأما قوله: ﴿لا ينكحها﴾ هو: لا يأتيها، ولا يرتكب سخط الله فيها، إلا مشرك من المشركين بالله، أو زان مثلها عند الله؛ وهذا كله كما قال الله سبحانه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ...﴾الآية.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا تحريم من الله سبحانه على المؤمنين: لنكاح الزواني من النساء العواهر، المعلنات بالفجور، وتحريم منه على المؤمنات: لنكاح الزناة من الرجال، المعروفين بالفسق والزنا والعهور. أخبر الله سبحانه: أن الزانية لا ينكحها إلا زان، وأنه لا ينكحها أحد من أهل الطهارة والإيمان، وأخبر: أن الزاني لا ينكح مؤمنة، ولا ينكح إلا زانية أو مشركة؛ لأن المؤمنة لو جعل لها ملء الأرض ذهبا ما نكحت زانيا، ولا رضيت أن تكون له زوجة.

ثم قال سبحانه: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾: تحريما على المؤمنين لنكاح الزانية، وتحريما على المؤمنة لنكاح الزاني، وتفريقا من الله بين الإيمان والطاعة، وبين من عصى بكبائر العصيان.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

وأما معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ -فهو: إخبار من الله عز وجل: أنه لا يركب الفاحشة من الزنا، ولا يطاوع الزاني بالفجور من النساء، إلا زانية من المليين، أو مشركة مستحلة للزنى من المشركين. وكذلك قوله في الزانية: لا ينكحها، ولا يركب الفاحشة منها، ولا يستحل ما حرم الله من إتيانها، إلا زان من المليين، أو مشرك مبيح في ذلك لنفسه من المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ [النور:١٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين (٨) والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين (٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)﴾، ثم قال: ﴿إن الذين...﴾، فقلت: ليس هذا جواب " لولا "، إنما جوابها:" لكان "، و" لقد "؛ فكيف العمل في هذا المعنى؟

فهذا - رحمك الله - المعنى فيه: كالمعنى في قوله: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾[الرعد: ٣١]، سواء سواء؛ أراد سبحانه: لولا فضله ورحمته لكان له

ولرسوله في ذلك حكم سوى ما حكم به اللسان من الأحكام، التي تكون نكالا لمن كان كذلك منكم؛ ولكن بفضله ورحمته عفى عنكم، وتفضل بالستر عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)﴾ [النور: ١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق كلام:

جملة من تولى كبره منهم: ثلاثة نفر: حسان، ومسطح، وحمنة بنت جحش؛ لأنهم صرحوا بقذفها، وجلدهم النبي صلى الله عليه وآله الحد، كل واحد ثمانين، وقال في ذلك شاعر من المسلمين شعرا:

لقد ذاق حسان الذي هو أهله .... وحمنة إذا قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم .... وسخطة ذي العرش الكريم وأبرحوا

فصب عليهم محصبات كأنها .... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾ [النور: ٢٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

نزلت في أبي بكر، لما آل أن لا يصل مسطحا، بعد أن قذف عائشة بالزنا، وكان بذلك ممن تولى كبره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾ [النور: ٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: المحصنات: العفائف، والغافلات: المؤمنات اللاتي قد أغفلهن ما يعلمن، من طهارة أنفسهن وإيمانهن وعفتهن، عما يقول به المفترون القاذفون، الباهتون الكاذبون، من الافتراء والقذف بباطل الكذب لهن.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

يقول سبحانه: عذاب في الدنيا. والعذاب في الدنيا فهو: الضرب الذي حكم الله به عليهم في الدنيا؛ فأما عذاب الآخرة فهي: النار؛ وبئس المصير.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[النور: ٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿والطيبات للطيبين﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الطيبات هاهنا: المنسوب إلى الطيبات - لطيب العفة، والطهارة مما قال الكاذبون، ورموهن به مبطلين - من الفاحشات، اللواتي هن طيبات طاهرات عنها بعيدات.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ [النور: ٣٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

يريد: يغضوا أبصارهم كلها عن محارم الله جل ثناؤه.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿أو نسائهن﴾، وهل يجوز أن تظهر للكوافر؟

فقال: النساء: من كن من معارفهن وقرابتهن، ذوات العفة المأمونات عليهن. ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ فهو: من أهل العفة، لا من أهل الفسق والشطارة [1] والمجونة.

---

(١) - قال في القاموس وشرحه تاج العروس:" (والشاطرُ: منْ أعيا أهلهُ) ومؤدبه (خُبثاً) ومكراً؛ =

وقال في موضع آخر منه في بحث عن حجبة النساء:

وينبغي للمؤمن أن يحجب امرأته ونساءه عن الإقبال والإدبار، والخروج والتردد في الأسواق، ومن دخول بيوت السفهاء الفساق؛ فإن كان بهن فاقة وحاجة إلى الخروج -لم يخرجن إلا بإذن الولي، والخروج مستترات بثيابهن، مستخفيات بما عليهن من جلابيبهن، ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾؛ فإنهن إن ضربن بأرجلهن، وعليهن الأجراس في أرجلهن -صوتت الأجراس، فكان ذلك منهن زينة وتعرضا، يطمع فيهن الفجار السفاء من الناس. وينبغي للمؤمنات: أن يكن لبيوتهن وحجابهن لازمات، ولا يدخلن عليهن أهل الريب، ولا يطرحن ما يسترن به رؤوسهن وشعورهن، ولا يبدين وجوههن ولا زينتهن، إلا لمن قال الله تبارك وتعالى، وهو يأمر المؤمنات بالاستتار والاحتجاب، إلا عمن سمى من قرابتهن ومحارمهن، ممن ذكر الله في منزل الكتاب، قال الله سبحانه: ﴿لا جناح عليهن﴾، يريد بالجناح: لا إثم عليهن. ﴿في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن﴾[الأحزاب: ٥٥]؛ فهؤلاء الذي ذكر الله سبحانه: المحرمون عليهن، وأذن لهن بإدخال هؤلاء المسمين إليهن. ثم قال سبحانه: ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾؛ فهؤلاء الذين أذن الله لهم فيهم أن يدخلوا عليهن.

وقال: ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾، هم: الذين لا يشتهون ولا يريدون النساء؛ قال الله تبارك وتعالى، وهو يدل المؤمنات على ما هو أفضل لهن

جمعه: الشُطارُ كرُمَّان، وهو مأخوذٌ من:" شطرَ عنهم ": إذا نزحَ مُراغماً. وقد قيل : إنه مُوَلَّد . (وقد شطرَ كنصرَ وكرُمَ شطارةً فيهما) أي: في البابين. ونقل صاحبُ اللسان : شُطُوراً أيضاً . (وشَطرَ عنهم شُطوراً وشُطُورةً) بالضمّ فيهما (وشطارةً) بالفتحِ: إذا (نَزحَ عنهمْ) وتركهم (مُراغماً) أو مخالفاً وأعياهم خُبثاً "

في دينهن، في أدنى استتارهن على رؤوسهن وأشعارهن، ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ [النور: ٦٠]، يعني بالاستعفاف: الاستتار. ﴿خير لهن﴾، يعني: أفضل في دينهن، وأقرب من رضاء ربهن... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿غير أولي الإربة من الرجال﴾ هو: غير أولي الحاجة؛ من ذلك ما تقول العرب:" ما لي في كذا وكذا من إرب "، والإربة مشتقة من الإرب، فيكون غير أولي الإربة من الرجال هم: الذين لا حاجة لهم إلى جماع النساء، ولا ينالون السبيل إلى قضاء الحاجة منهن، وقد يكون غير أولي الإربة: غير أولي الفطنة، ذوي البلاهة والغفلة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألتم عن: معنى قول الله سبحانه: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، فقلتم: قد قال قوم: إن هذا ترخيص للمرة [1] أن تبدي وجهها للرجال؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا خطأ من المقال، فاسد في المذهب والكلام، وإنما معنى قوله سبحانه: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ هو: لمن أطلق لهن إبداء الزينة قدامهم، وتفسيره في آخر الآية، حين يقول: ﴿إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن﴾؛ فهذه الزينة التي ذكرها عز وجل، وأطلق إبدائها -قد فسر في آخر الآية لمن أطلقها، فأما لسوى من ذكر عز وجل فلا يجوز كشفها، ولا يسع إبداءها؛ فهذا معنى الآية وتفسيرها.

(١) - أراد: المرأة.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾، إلى قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾؟

فقال: الغض للبصر هو: ألا ترفع بصرها إلى من لا يجوز لها النظر إليه، وحفظ الفرج هو: حفظها عما حرم الله عليها، وإظهارهن الزينة فهو" ما لا بد منه، من الكحل والخاتم؛ فهذا ما لا يقدرن بأن يسترنه. والضرب بالخمر على الجيوب فهو: إرخاء الخمر على الوجوه، حتى يبلغ الصدور، وتستتر الوجوه كلها. والخمر فهي: المقانع. وأما قوله: ﴿أو نسائهن﴾ فيقول: أهل ملتهن من النساء المسلمات، دون الذميات والمشركات؛ وهذه الآية تحرم على المسلمة إظهار زينتها، والتبذل للذمية. وأما ما ملكت أيمانهن فهن: الذميات المملوكات، فيقول: لا جناح عليها أن تبديها للذمية إذا كانت مملوكتها، دون الحرة منهن. ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾ فقد قيل: إنهم العنانة، الذين لا يأتون النساء، ولا يقدرون عليهن، ولا يرغبون فيهن، ولا لهم إرب في مجامعتهن. ﴿أو الطفل﴾ فهو: الصغير من الغلمان، ابن الخمس والست والسبع. ﴿الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ فهم: الذين لم يعلموا ما يكون بين الرجال والنساء، ولم يفهموا ذلك، ولم يقفوا عليه بعد. والضرب بالأرجل الذي نهين عنه، فقال: كان النساء المتبرجات في الجاهلية يفعلنه، حتى يتحسحس (١) الحلي، وتصلصل (٢) الخلاخيل في أرجلهن، فيسمعوا الرجال، فيعلمون أن في أرجلهن حلي؛ فأمر الله المؤمنات: ألا يفعلن من ذلك ما كان تفعله المتزهلقات (٣)

---

(١) – قال في القاموس المحيط: " تَحَسْحَسَ: تَحَرَّكَ ".

(٢) – قال في القاموس المحيط: " صَلَّ، يَصِلُّ صَليلاً: صَوَّتَ، كصَلْصَلَ صَلْصَلَةً ومُصَلْصَلاً "، " والخَلْخَلُ، ويُضَمُّ، وكبَلْبالٍ: حَلْيٌ م. والمُخَلْخَلُ: مَوْضِعُهُ من الساقِ. وتَخَلْخَلَتْ : لَبِسَتْه."

(٣) – قال في القاموس المحيط: " والزَّهْلَقَةُ: تَبْييضُ الثَّوْبِ، وضَرْبٌ من المَشْيِ."

للرجال، المتبرجات لذلك من الحال.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، يريد: لمن استثناه بقوله: ﴿إلا لبعولتهن...﴾إلى آخر الآية. وقوله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾: فأوجب التقنع والتستر. والجيب هو: الفقرة من القميص والمدرعة. وقوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾: فاستثنى بعولتهن؛ لأنه لولا الاستثناء هذا -لكان من جملة من يحرم عليه نظر زينتهن، ومن حال الاستثناء: أنه لولا هو لدخل المستثنى في جملة من لم يستثن. وقوله: ﴿أو نسائهن﴾: دليل على ما قلنا: أنه لولا استثنى ﴿نسائهن﴾ -لحرم عليهن أن يبدين زينتهن عليهن. وقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾، يريد: من الإماء، دون العبيد الذكران؛ فإنه يحرم عليهن أن يبدين زينتهن عليهم. وإنما استثنى الله النساء والإماء: لأنه لولا هذا الاستثناء لحرم عليهن أن يبدين لهن زينتهن. ونساؤهن هن: المسلمات، دون المشركات؛ وعلى هذا لا يجوز أن يبدين زينتهن للمشركات والذميات. وقوله: ﴿أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾، والتابعون: هم ذوو الرضاعة: الابن من الرضاعة، والأخ من الرضاعة، وابن الابن، وابن الأخ، وابن الأخت من الرضاعة، وأشباه ذلك؛ ولأن الرضاع يتبع النسب في التحريم؛ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنه قال لعلي أمير المؤمنين عليه السلام: ((أما علمت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)). وقوله: ﴿غير أولي الإربة من الرجال﴾، والإربة هي: الحاجة؛ قال الله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك ياموسى (١٧) قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨)﴾[طه]، يريد: حاجات أخرى؛ والإربة هاهنا هي: النظر للشهوة؛ فاستثنى الله من ينظر للشهوة من ذوي الرضاع، ولم يستثن ذلك من ذوي النسب؛ لأن الرحم يلزم ما لا يلزم الرضاع، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليست له بمحرم، فإن ثالثهما الشيطان إلا مع امرأة يحرم عليه نكاحها من نسب أو صهر)). وقوله: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾، وهم: الذين لم يدروا ما يطلب الرجال من النساء؛ لصغرهم، وهو يكون من ست سنين أو سبع، أو قريبا من ذلك، والله أعلم.

واعلم أن هذا النهي شامل للناظر والمنظور من الرجال والنساء.

ولا يحرم النظر إلى الصبية الصغيرة على هذا القياس، إلا أن يكون يؤدي إلى الشهوة. وكذلك النظر إلى ما ظهر من الأمة المملوكة للغير؛ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم شهوة كشهوة النساء))؛ فمن هاهنا: يحرم النظر إلى أمة الغير، إذا كان النظر إليها يؤدي إلى الشهوة. فإذا لم يكن يؤدي إلى الشهوة كالزنجية وشبهها فلا يحرم النظر إلى ما ظهر منها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾ [النور: ٣٢]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فأمر سبحانه: بإنكاح الأيامى إذا أردن ذلك، وأجزنه وسوغنه وأطلقنه؛ والأيامى فهن: اللواتي لا أزواج لهن. وقوله: ﴿منكم﴾ فهو: من أحراركم، من بناتكم وأخواتكم، وجماعة نسائكم؛ وقد يدخل في قوله: ﴿وأنكحوا﴾ -من لا زوجة له من رجالكم، فأمر بإنكاحهم وإعفافهم بالزوجات من نسائهم. وأما قوله عز وجل: ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ فهو: إطلاق منه لتزويج المماليك من الأحرار، والأحرار من المماليك، وأمر منه بإعفاف جميع خلقه،

وتزويج إمائه من عبيده.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)﴾ [النور: ٣٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألني عن: قول الله سبحانه: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الذي آتاكم﴾، فقال: من المأمورون بأن يؤتوهم من مال الله الذي آتاهم؟

فقلت: قد قال غيرنا: إنهم المكاتبون لهم من ساداتهم، وأنه واجب عليهم أن يطرحوا عنهم ربع ما كاتبوهم عليه. وليس قولنا – ولله الحمد – فيه كقولهم فيه؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يلزم البائع من بعد رضى المتبايع: أن يضع من الثمن درهما، إذا لم يكن للبائع على المتبايع شرطا جائزا [1]؛ بل ألزم المكاتب أداء ما كوتب عليه، وجعله في يسير ذلك إن عجز عنه -مملوكا مسترقا؛ وكيف يكون بعجزه عن قليل ما تراضيا عليه عبدا مملوكا؟! وتكون الوضيعة من ذلك للمكاتب على المكاتب فرضا؟! فهذا يا بني ما لا يقبله عقل عاقل، ولا يقول به من الناس إلا جاهل.

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، والقياس:" إذا لم يكن للبائع على المتبايع شرطٌ جائزٌ " بالرفع.

وإنما أمر الله بإتيانهم من ماله، ولاة الأمر من خلقه، الأئمة الهادين، والصفوة من الخلق المطهرين، أمرهم أن يؤتوهم مما جعل لهم في أيديهم من ثمن الصدقات؛ فلقد دل على ذلك من قولنا -سبحانه بأبين الدلالات، حين يقول سبحانه: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب﴾؛ والرقاب فهم: الذين أمر الله بإعطائهم، وإتيانهم من مال الله الذي آتى: أمر لهم. وقوله: ﴿أتاكم﴾ فمعناها: أجراه على أيديكم لهم، وجعلكم المستخرجين له من غيركم؛ لأنه أعطاهم إياه كما أعطاهم غيره من الأشياء، مثل: جزء الرسول من خمس الغنائم، الذي جعل أمره إلى الإمام يحكم فيه بأمره، وبما يراه من الأحكام، ويأكل ويشرب، وينكح فيه ويركب، ويلبس ويتكل في كل أموره عليه، ومثل: نصيبه في الفيء، ومثل: ما جعل له مما أجلى عنه المحاربون من غير أن يجلب عليهم المؤمنون؛ فكل ما ذكر من ذلك وشرحنا -فللإمام أكله، والانتفاع به.

وأما ما ذكر الله من الصدقات اللواتي أمر الله الأئمة بأخذها من ذوي المقدرات، وجعلها في الرقاب وغيرها من الثمانية الأصناف المعروفات -فلا يحل لإمام المسلمين ولا لأهل بيته أجمعين فيها أكل ولا شرب ولا مناكح، ولا صرف درهم منها في شيء من المصالح؛ فلذلك وبه قلنا: إن بينما جعله لهم رزقا، وبين ما جعله الله على أيديهم، وأمرهم بالتسليم له إلى غيرهم -فرقا.

وقال عليه السلام في موضع آخر:

وسألت عن: قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾، فقلت: ما الخير؟

وهم: العبيد والإماء الذين يطلبون الكتابة؛ فيكاتبون إذا علم فيهم خير. والخير فهو: الدين والتقوى، والوفاء والإعفاء، والورع والاهتداء؛ لا ما يقول غيرنا من: أنه المال، ويقيسون ذلك بقول الله: ﴿إن ترك خيرا الوصية﴾. وليس

ذلك كذلك، وإن اشتبه في اللفظ فهو مخالف في المعنى؛ وكيف يكون ذلك هو المال، ومال العبد لسيده؟! وهو لو علم بمال عند عبده فأخذه لكان ذلك له؛ فكيف يبتعه نفسه بمال هو له دونه؛ ألا تسمع كيف يقول: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾، يريد: من ماله الذي جعله في أيديكم لهم، من الصدقات؛ قال الله سبحانه: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل لله وابن السبيل﴾، والرقاب فهم: المكاتبون المذكورون في الصدقات، المفروض لهم ثمن ما جبي من ذلك من الجبايات، إلا أن لا يكون منهم من يستعين في مكاتبته، ولا يجد الإمام ذلك في ولايته، فيصرف جزؤهم في أحق الأصناف السبعة الباقية.

فأما ما يقول العامة من: أن المأمور بأن يؤتوهم من مال الله -من كاتب عبده، فإنه يجب أن يطرح عنه جزءا مما عليه -فليس ذلك بشيء، وليس على من باع شيئا، ورضي المشتري بما ابتاع واشترى -وضع درهم مما عليه بعد أن افترقا، ومضى عليه وبه الشراء.

فأما من لم تؤمن بوائقه وشره، ولم يرج رشده وخيره -فلا يجوز مكاتبته ولا عتقه؛ لأن في ذلك له راحة من الملك القاسر له عن كثير من فعال العاصين، ومتى تخلصت رقبته من الرق تزايد في فعال الفاجرين، وتفرغ لمعاونة الظالمين، ومعاندة رب العالمين وكان من أعتقه ومن كاتبه معينا له على معاصيه؛ لما أطلق من حباله، وأسلس من عنانه، وقد علم بفجوره وعصيانه.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام في سياق كلام:

وقال سبحانه فيما كان يفعله أهل الجاهلية، من إكراههم إمائهم على الزنا؛ ليستنجبوا أولادهن: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾: فنهاهم عن حملهن على الزنا؛ لما يطلبون من أجعالهن، واستنجاب أولادهن، ثم

أخبر أنه من بعد إكراههن لمن أكره منهن، وأخيفت على نفسها إن لم تفعل ما أمرها به سيدها -غفور رحيم؛ فأخبر الله عز وجل أنه غير معاقب لها على ما لم تفعله بطوعها، وأتته بالكره منها، والخوف على نفسها، ثم وعدها أنه يغفر ذلك لها، ومن العقوبة فيه يرحمها، إذا كانت مكرهة في فعلها، فقال: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾؛ فوجبت المغفرة للمكرهات، من الفتيات المؤمنات. وهذه الآية يقال: إنها نزلت في أمة مسلمة، كانت لعبد الله بن أبي بن سلول، فأمرها أن تأتي رجلا ليفسق بها، فيتسنجب به ولدها، فأبت وأتت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأخبرته؛ فاعتقها عليه وزوجها.

وقال عليه السلام في موضع آخر منه:

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: قال الله عز وجل: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾. قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: فأمر الله بمكاتبة من علم فيه خير، ممن يطلب المكاتبة من المماليك؛ والخير فهو: البر والتقوى والاحسان، والدين والاسلام، والمعرفة بالله واليقين، والايفاء لمن يكاتبه والإعفاء. والمكاتبة فهو: أن يتراضى السيد والعبد على شيء معروف، يدفعه إليه في أوقات معروفة، أو أشهر، أو سنين، أو أيام، نجوما منجمة، في كل نجم: كذا وكذا دينارا، على قدر ما يتفقان عليه، ويكتبان في ذلك بينهما كتابا، يشترط المولى فيه على مكاتبه: أنه إن عجز فلا حق له قبله، وهو مردود في الرق. ويشترط عليه: أن ولاءه وولاء عقبه له: بشروط معروفة، سوف نبينها في كتاب الشروط إن شاء الله تعالى. فإذا اصطلحا على ذلك، وكتبا كتابهما كذلك -فقد صار العبد مكاتبا، يعمل في أي الأعمال شاء، ويصنع ما أحب، ويؤدي ما قبله على ما اشترط عليه من النجوم؛ فإذا أدى ذلك -فقد صار حرا، وولاؤه لمولاه، إن كان شرط ذلك. وإن عجز عن شيء من كتابته -كان مردودا في الرق، وكان ما أخذ منه سيده -لسيده، لا يرد إليه منه شيئا، إلا أن يشاء

ذلك... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ [النور: ٣٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يعني: الله ينير لعباده دلائله التي يهتدون إليه بها؛ لأن يعرفوه بها أبان، ويعلمون أنه الحق بآياته المنيرة، وأن يميزوا بها بين الخالق وخلقه، والله نور الأنوار، وهو منير لما نور من دلائله، فهو نورها؛ لأنه أضاء لنا الأشياء وأبانها، وجلا عنها ظلمة الشبهة، فأزال عنها الشكوك والريب، بتجليتها للعقول؛ إنه الحق المبين، وإنه نور كل شيء، وليس كمثله شيء. وكذلك أمرنا أن نصفه، وبذلك دلنا على نفسه، من غير أن نجاهر الله فتدركه الأبصار؛ فاستنار لنا بتدبيره، من غير مشاهدة منا له، ولا إحاطة به، ولا إدراك من حواسنا له؛ فهو نور السماوات والأرض، ونور من فيهما، بمعنى الذي ذكرنا: أن الحق من عنده، وأن العباد به استناروا، وبه استضاءوا، وبه أبصروا؛ إذ استضاء لهم سبحانه بنوره الذي عاينوا من خلق أنفسهم، وتدبيره في ملكوت السماوات والأرض، ومن لطائف الآيات التي لا يكون معها ريب، ولا تدانيها الشكوك، ولا تعتريها الفترات، ولا تكون معها الغفلات؛ فرأوا ربهم بتدبيره ونوره وعلاماته، لا بمجاهرة منهم له، ولا بالمشاهدة والملاقاة؛ تقدس الله عن ذلك، وجل جلالا عظيما.

وكذلك: الله نور السماوات والأرض ومن فيها؛ لأن عباده الذين هم سكان

أرضه -استناروا وعلموه بما عاينوه من نوره؛ إذ دبر الأرض، وخلق فيها ما به أنار لهم: أنه الله سبحانه؛ فاستنار نوره بغير تحديد، وعرفوه من غير تخيل، ووحدوه معروفا بغير تشبيه؛ بل عرفوا الله بعجيب آياته، وبأثر دلالاته.

ومعنى آخر في تأويل قوله: ﴿نور﴾: قد علم العالمين: أن الأشياء تدرك بحقائقها، وتعلم بالاستيقان، وإن كانت غائبة؛ فالله يعلم ويعرف ويميز بين ما يدرك بالمجاهرة، وبين ما لا يدرك بها، كالخشونة واللين، والحمرة والبياض؛ وما لا يدرك بالمجاهرة، بالسمع والبصر والعقل [كـ]الري والظمأ، والشبع والسغب، وما أشبه ذلك مما غيب عن حواسنا، وإن كنا قد أدركناه؛ لعلمنا بما صرفنا منه ربنا، فيما أخبرنا عما غاب عنا من ملكوته.

واعلموا أن الله سبحانه وصف الآية التي هي نور، مخبرا لعباده أن الله سبحانه لم يرد نفسه بقوله: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾، ولم يمثل بالقنديل نفسه، ولا بالمصباح، تعالى عن ذلك، وأي فضل في القنديل -ليس في النجم الذي هو الزهرة؟! فكيف يمثل نفسه بالقنديل، ويترك ما هو أنور من القنديل وأحسن؟! بل أي فضل في القنديل ليس في در الجنان؟! كيف يمثل نفسه بالقنديل، وهو يتعالى عن الزهرة ودر الجنان؟! بل: كيف يضرب الله لنفسه أمثالا مفضولة دون الفاضلة؟! تعالى عن التمثيل والأشباه، وتقدس عن ذلك؛ لكن الله سبحانه نور السماوات والأرض: بما أبان لهم عن نفسه، بخلقه لهم، وبما له فيهم من التدبير، الدال عليه، فاستضاء عباده به؛ إذ أضاء لهم نفسه بخلقه لهم، فلم يضل في مضلات الشبهة -من استضاء بربه، واستنار به؛ فبانت الأعلام الهادية، لمن استبان بها عن ربها؛ فبان الله بها لمن استنار بها، وكان الله نوره؛ إذ اهتدى به، وأحيا لنا القلوب بعد موتها بنوره؛ إذ أنار لها، فاهتدينا بها إليه.

ومعنى آخر من معاني النور، وهو مما لا يجوز على الله، وهو: ما ذكرنا من معنى الشمس الساترة، وشعاعها المنبسط الذي ليس بساتر.

ومعنى من معاني النور، وهي: النيران الكثيفة، وهي في معاني: قرص الشمس والقمر.

ومعنى من معاني النور، وهو: الإيمان؛ لأن الإيمان نور، وكذلك القرآن نور، وقد سمى الله القمر نورا، والشمس سراجا، والإيمان نورا، وقال: ﴿يخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فهذه المعاني من الأنوار التي ذكرنا مميزة للعقول، إذا ما نظروا إليها بها، فأجروا على الله منها ما يجوز عليه، وما جرى على العباد منها -فعنه عز وجل نزهوا الله، ولم ينسبوه إليه.

وأما تأويل: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾: فقد يجوز أن يكون عنى بذلك: القرآن في غياهب الوساوس نيرا مضيئا، وبه يبطل كيد إبليس اللعين، وتوهيمه وخدعه، فالقرآن في هذه الأماكن الموحشة، كالمشكاة التي هي: الكوة، والمصباح في القنديل ينير لما حوله، ويضيء لمن دنا منه.

وقد يجوز أن يكون الله عنى بقوله -مثل نور النبي صلى الله عليه وآله كهذا المعنى الذي وصفنا به القرآن، والمعنى: أن النبي صلى الله عليه وآله أضاء لنفسه بنبوته ورسالة ربه، وأضاء لمن دنا منه، أو سمع به في الأخبار.

وقد يتجه أن يكون الله أراد به: قلب المؤمن أيضا، والإيمان الذي فيه، فمثل قلب المؤمن وكون الإيمان فيه مثل القنديل في المشكاة؛ فالإيمان يضيء للمؤمن عن كل ظلمة، كما أن القنديل يضيء في الكوة، وتضمحل به الغياهب المدلهمات من الريب؛ والإيمان يتوقد ويضيء بالحكمة توقدا، يظهر شعاع الحكمة، ونورها في كلامه وفعاله، وعلى جوارحه، وهو بعلمه بربه علمه له نور على نور.

واعلم أنه قد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿نور على نور﴾ أي: نور مع نور؛ لأن كلامه نور مع عمله، وعمله مع علمه، فهذا نور على نور، أي: مع نور.

﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾: لا من يشاء غيره يهدي، ولو كانت البرية كلها لمن لا يريد هدايته ظهيرا -لما اهتدى المرء أدنى الهداية، إلا أن يشاء الله.

وقد يتجه أن يكون الله سبحانه شبه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما شبه القرآن والإيمان بالمعنى الذي وصفناه.

ومعنى قوله: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء﴾، فهذه شجرة منبتها في مكان تطلع الشمس عليه، ولا تزول عنها حتى تغيب، وهي الشمس الضاحية، وهو أنضج لثمرها، تكاد أن ترى في الزيتونة التي هي ثمرها: وجهك من ودكها [١]؛ من نقائه وصفائه؛ فإذا وقد القنديل من زيت هذه الزيتونة، كان أنور للمصباح؛ وهذه أمثال ضربها الله للناس لعلهم يتفكرون.

وقال بعضهم: إن معنى: ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ أنه: محمد صلى الله عليه وآله يصلي لا للمشرق ولا للمغرب؛ ولكن لكعبة الله البيت الحرام.

وقال عليه السلام في كتاب (مديح القران الكبير) منه، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

فمثل سبحانه ما في كتابه من نوره وهداه، وما وهب - من تبيينه فيه برحمته - أولياءه: بمشكاة قد ملئت نورا بمصباح، في زجاجة نقية ككوكب دري، ومثل كتابه بما فيه من هداه بنور مصباح زاهر مضي، قد نقيا من كل ظلمة وغلس، وصفيا من كل كدر ونجس؛ فأعلمنا سبحانه بأنه هو: نور السماوات والأرض ومن فيهما؛ إذ هو الهادي لكل من اهتدى من أهليهما.

وقد قيل في التفسير: إن المشكاة هي: الكوة، التي يجمع ما فيها كما يجمع ما فيه السقا والشكوة [٢]؛ فنور هدى كتاب الله محفوظ بالله مجتمع، وكل من وفقه الله

---

(١) - قال في القاموس المحيط: الوَدَكُ، محرَّكَةً: الدَّسَمُ. إهـ ومراد الإمام به: الزيت هنا، إذ هو دسم الشجرة.
(٢) - قال في القاموس المحيط: والشَّكْوَةُ: وِعاءٌ من أدَمٍ للماءِ واللَّبَنِ. ج: شَكَوَاتٌ وشِكاءٌ.

لرشده فهو لأمر الله كله فيه متبع، لا يسوغ لأحد عند الله من خلافه سائغ، ولا يزيغ عن حكم من أحكام الله فيه إلا زائغ، يزيغ الله قلبه بزيغه عنه، ويفارق من الهدى بقدر ما فارق منه، كما قال علام الغيوب، وخلاق ما ضل واهتدى من القلوب: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [الصف: ٥].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكر الآية ما لفظه:

هذا مثل ضرب به قلوب أهل المعرفة، وهو مثل نور أهل العلم الذي قد عرفه الله قلوبهم وأينت [١] به، فيضيء بذلك سائر بدنه؛ فتظهر الطاعة والخشية لربه على سائر جوارحه، فمثله كمثل السراج في البيت، في مشكاة، في زجاجة؛ فمثله -وهو: القنديل المعلق بالسلسلة، كما قال مجاهد: المشكاة: حدائد القنديل التي تعلق بها. وقال ابن عباس: المشكاة: الكوة التي يوضع فيها القنديل في الخشبة - ، ومثل الدهن في صفائه، الذي لا تقوم النار إلا به؛ لكثرته وجودته وصفائه، ولا يبين لها ضوء إلا باجتماع ذلك - مثل النية التي لا تصح جميع الأعمال إلا فيها[٢]، ونورها عند الله على قدر شدة العزم وضعفه؛ فهذا مثل نور الإرادة مثل نور المصباح. ومثل نور الهمة مثل الزجاجة؛ لصفائها، ومثل نور النية – وهو: مدى العلم الذي يكون به الاعتقاد - مثل نور الزيت ومدده، في صفائه؛ قال الله جل ثناؤه: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم (٣٥)﴾؛ فهذا ذكر لثلاثة الأبواب التي ضربها الله لعباده في كتابه، لقلوب المؤمنين في صفائها.

---

(١)- قال في القاموس المحيط وشرحه تاج العروس للزبيدي: (الأَوْنُ: الدَّعَةُ والسَّكِينَةُ والرِّفْقُ)، يقالُ:" أُنْتُ بالشيءِ أَوْناً، وأُنْتُ عَلَيْهِ "، كِلاهُما: رَفَقْتُ. اهـ

(٢)- هكذا في المنقول منه، ولعله: بها.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

نور الله هو: القرآن.

وقوله تعالى: ﴿نور على نور﴾ معناه: نور مع نور؛ فالقرآن نور، والرسول نور، فصار القرآن نورا على نور؛ وقد سمى الله نبيئه سراجا منيرا، فقال: ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦)﴾[الأحزاب].

وقول الله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ المراد به: الله منور السماوات والأرض.

واعلم أن المثل في هذا الموضع أكبر من الممثل به، وإنما مثل الله للناس بما يعرفون، وقد تمثل العرب الشيء بأصغر منه؛ قال الشاعر:

كأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل

فمثل الجبل بالإنسان القاعد، والجبل أكبر من الإنسان. وقد قيل: المشكاة: الكوة. وأحسب أنها المحراب، ومثله قول الشاعر:

فرضت عليه الخوف حتى كأنما ... جعلت عليه الأرض مشكاة رهبان

فدل على أن المشكاة: الصومعة، والمحراب، ومثله.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

وأما معنى الآية : فقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿الله نور السموات والأرض﴾، أي: هادي أهل السموات والأرض، وهي قراءة ابن مسعود، وقيل: ﴿نور﴾ بمعنى: منور السموات؛ لأنه خلق النور. قوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾، قيل: هدايته للمؤمنين. وقيل: الهاء في ﴿نوره﴾ راجعة إلى غير مذكور، وهو: المؤمن، يعني: مثل نور المؤمن الذي في قلبه. وقرأ أبي: ﴿مثل نور من آمن به﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

يذكر فيها الله، و" الاسم " هاهنا: صلة. ومثل هذا موجود في لغة العرب؛ قال طرفة بن العبد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أراد: ثم السلام عليكما.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ [النور: ٣٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وإن سأل عن: قول الله: ﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾، فقال: أليس قد يحاسبهم في الآخرة، ويسألهم عما أنفقوا من أموالهم فيه، فما معنى قوله: ﴿بغير حساب﴾، وهو يحاسبهم ويسألهم عما يؤتيهم؟

قيل له: إن المحاسبة فيه لهم ليست تكون على إنفاق نفس تلك الأموال التي رزقهم، وإنما يحاسبهم على ما اكتسبوا وفعلوا، وما كنزوه بها وبأسبابها، لا عليها هي أنفسها؛ ألا ترى أنه إنما يحاسب من صرف رزق الله في الحرام دون الحلال، لا من صرف رزقه في الحلال دون الحرام؛ ولو كانت المحاسبة منه تقع على الأموال أنفسها -لكان الحساب يقع على المنفق لها في الطاعة، والمنفق لها في المعصية؛ فمن صرف رزق الله في ما له رزقه إياه -كان غير محاسب له عليه؛ ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه لنبيه سليمان عليه السلام: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾، يقول: غير مسؤول ولا محاسب.

وقد يخرج معنى قوله: ﴿بغير حساب﴾ على معنى آخر: رزقه فيمن يرزق من عباده ليس من شيء عنده مجموع، معد لذلك مصنوع، يخرج منه أجزاء محسوبة من أجزاء، أو تبقى منه أجزاء فاضلة عن أجزاء؛ فأخبر: أن رزقه من سعة لا تحصى، وأنه إذا شاء أن يعطي عباده أعطى؛ ولو كان يرزق من شيء مجموع - لكانت أرزاقه تنقص؛ إذ أصلها الذي يخرجها منه ينقص بخروجها عنه؛ فتبارك الله رب العالمين، وتقدس أكرم الأكرمين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)﴾ [النور: ٤٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

هكذا صفة قلوب العاصين من عباده: قد صارت في الظلم؛ لرين الذنوب على القلوب، وتراكم القسوة عليها؛ لاستسلامهم إلى قبول ما يلقي إليهم عدوهم، وإيثارهم الانقطاع إليه في القبول عنه، دون خالقهم؛ فنسأل الله حسن معونته، وأن يكفينا عداوته؛ إنه منان كريم.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ومن لم يجعل الله نورا فماله من نور﴾؟

النور هاهنا فهو: زيادة الله للمهتدين هدى في هداهم، وما يؤتيهم الله سبحانه من تقواهم؛ فأخبر سبحانه: أن من لم يقبل الهدى المبتدأ -لم يجعل له نورا بزيادة في الهدى؛ فالذين لم يجعل الله لهم نورا فهم: الذين لم يقبلوا هدى الله ودينه، وهم

المستوجبون للخذلان، المتكمهون في الضلال، وهم الذين ذكر الله أنه لم يجعل لهم نورا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: المزجى من الدواب والسحاب هو: القليل عند سوقه، البطيء السير، الذي إنما يزجى بالإكراه في سيره.

﴿من جبال فيها من برد﴾

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: السماء هاهنا: السحاب، والجبال - والله أعلم -: ما كثف من السحاب وعظم، وقد زعم بعض من يقول من العامة: أن في السماء جبالا من برد، والتأويل - الأول، والله أعلم بالصواب والقصد.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾[النور: ٥٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وقوله عز وجل: ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: قد فعل ما وعد سبحانه، فكان ممن استخلف في الأرض: أفضل المؤمنين بعد نبيه، علي بن أبي طالب، ذا القرابة برسوله، وكذلك استخلف الخلفاء الصالحين، من أهل الإيمان من ذريته وآله، ومن استخلف بالصلاح والإصلاح والاستحقاق، ورأس وأمر مع علي بن أبي طالب من أصحاب نبيه؛ فهذا وعد وعده الله المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ثابت مقيم؛ فأنزل الله عليه هذا الوعد، وروي فيه صدق ما أخبروا به من الخبر، فملكوا في أيامه، واستخلفوا بأمره وتأميره، على آفاق أرض العرب، من اليمن وعمان، والبحرين ومكة ونواحي الشام، في قرى لا تحصى من قرى العرب الكبار، ثم استخلفوا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم: بحكم الله بالاستخلاف لمن جعل له الفضل منهم، وإيماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإشارته بالاستخلاف إليه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد للّه بن حمزة عليه السلام، في جواب سؤال عن الآية: هل هي خاصة بأهل البيت عليهم السلام، أم

لا؟ فقال ما لفظه:

الجواب: أنها عامة في المسلمين باستخلافه لهم: أن جعلهم خلفا بعد القوم الكافرين في الأرض، فأورثهم إياها، وكذلك كانت الحال، وإن حمل على أهل البيت عليهم السلام فقد بطلت الإمامة لغيرهم بالأدلة، فلو بطلت الإمامة فيهم خرج الحق عن أيدي الأمة، فلا بد أن تكون الإمامة لهم على تلك الحال.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)﴾[النور: ٥٨]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

وإنما جعل الله الاستئذان في هذه الثلاثة الأوقات، وحضهم عليها؛ لأنها أوقات كان المسلمون في ذلك الزمان يختارون إتيان نسائهم فيها؛ ليتطهروا للصلاة ومن الجنابة طهرا واحدا. وينبغي للرجل ألا يدخل على أمه، ولا على بنته، ولا على أخته، ولا على عمته، ولا على خالته، ولا على جدته، حتى يستأذن.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾، إلى قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله للمسلمين وتأديب، فأمر بأن يستأذن في هذه

الأوقات على الرجال وأزواجهم، إذا خلوا بهن في منازلهن -من سماه مما ملكت الأيمان، والذين لم يبلغوا الحلم. وما ملكت الأيمان فهن: الإماء؛ والذين لم يبلغوا الحلم فهو: الذي لم يبلغ ممن كان يدخل المنازل من الصبيان، والأولاد وغيرهم، في هذه الثلاثة الأوقات؛ وذلك: أن المسلمين كانوا يختارون المجامعة، والمداناة لنسائهم في هذه الثلاثة الأوقات؛ ليكون غسلهم مع وقت الطهور للصلاة ولأوقات الصلاة، وكره الله سبحانه عليهم الدخول على الرجل ومرأته في هذه الثلاثة الأوقات بلا إذن؛ لما لا يؤمن من الهجوم، ومن الدخول على الزوجين في مداناة وغشيان. وأطلق للإماء والصبيان: الدخول بغير إذن في غير هذه الأوقات، التي كانوا يختارون المجامعة فيها، والمدانة للنساء.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، وقد سئل عن الآية:

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تأديب من الله سبحانه للمؤمنين، وتعريف لعباده الصالحين؛ فدلهم على الفضل، وأمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات، التي يطرح فيها الرجل والمرة ثيابهما، ويأويان إلى فرشهما، وهو: نصف النهار إلى الظهر، وبعد العتمة، وقبل صلاة الفجر في آخر الليل؛ فهذه أوقات يتعرى فيها الرجل والمرة، ويضعان ثيابهما؛ فأمرهم الله عز وجل ألا يدخل عليهم تلك الساعات، إلا بإذن وإعلام، وأطلق في سائر الأوقات الدخول بلا إذن للخادم أو للصبي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ [النور: ٦٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿وأن يستعففن خير لهن﴾، يعني بالاستعفاف: الاستتار. ﴿خير لهن﴾،

يعني: أفضل في دينهن، وأقرب من رضاء ربهن.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾[النور: ٦١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا جواب مسألة كانت من بعض المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو خبر من الله ابتدأهم به، يدل على: سقوط فرض المجاهدة بالقتال في سبيله على الأعمى والأعرج، والمريض الممنوع بمرضه، ويخبر الله سبحانه أيضا عن أنفس المؤمنين: أنه لا جناح عليهم في الأكل في بيوت الأصدقاء بغير إذن، ومن ذكر من ذوي القربى والأرحام والأقربين؛ لما أسقط الله بالأخوة في الإسلام، والصداقة المحفوظ عند الأحرار الكرام، والقرابة التي جعلها بين ذوي الأرحام -من الحشمة والوحشة في تناول الطعام، إذا احتاج إليه المؤمن أخذه بإذن الله فيه ودعائه، بلا توحش ولا تحشم؛ وإنما هذا بما يحتاج إليه من الأكل عند غشيان بيوت هؤلاء المذكورين من ذوي الرحم، والأخوة، والصداقة، لا إذن في ادخار طعام ولا نقله، ولا أخذ ورق ولا ذهب بغير إذن ولا نفقة، ولو كان ما يحل من بيوت من ذكر الله

سبحانه من القرابة والصداقة إنما أحله الله بالإذن منهم -لكان الإذن أيضا يحل به طعام أهل البعد والأعداء، ولم يكن لقوله سبحانه: ﴿ليس عليكم جناح﴾ خاصة بإذن في طعام من سمى؛ لأن كل قريب وبعيد، وولي وعدو بعد الإذن يكون جائزا.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الثامنة عشر: في قوله تعالى: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم...﴾الآية: ما المراد بذلك؟ وهل يجوز أن ندخل بيوت من ذكر تعالى من غير إذن الرجال، وأن يؤكل من طعامهم بغير إذنهم، أم لا؟

الجواب عن ذلك: إن معنى هذه الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[البقرة: ١٨٨]، فكان الرجل يدخل بيت أبيه وأخيه وأقاربه الذين ذكر الله، فيمتنعوا من المأكل، ويقول: هذا من الباطل؛ بأي شيء آكل طعام صاحبي؟! فحرج الناس من ذلك، واشتد عليهم التكليف به، حتى نزلت الآية، فاختلطوا وأكلوا على جاري العادة، وجاز دخول البيت وإن لم يأذن الرجل، إذا أذن الابن، أو المرأة في غير الريبة، إلا أن يعلم من الرجال كراهة فحينئذ يتغير الحكم؛ وعادة المسلمين هذه جارية، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل المنزل بطائفة من أصحابه، ثم يأمرون لصاحبه يأتي إليهم في حق التحكم، وهذا معنى أخوة المؤمنين.

فأما الآيات فقد خصت الأرحام والأقارب، ومن لا يكره ما ذكر الله سبحانه في أغلب الأحوال.

قال تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾، يريد به: بيوت عبيدكم؛ لأنكم مالكون لملكهم.

وأكل الطعام جائز في بيوت من تقدم ذكره، وإن لم يأذن، إذا أذن أهله، إلا أن يعلم منه كراهة فحينئذ لا يجوز؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت - حفظك الله – عن: قول الله سبحانه: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾، فقال: أليس قد علم الله ما هو كائن قبل أن يكون؟

الجواب في ذلك: أن معنى قوله: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أي: قد يعلم ما أنتم فيه [1]، وقوله:" قد علم ما يكون قبل أن يكون ": فذلك الله تبارك وتعالى، هو العالم بنفسه، القادر بنفسه.

(١)- هكذا في النسخة المنقول منها، ولعل الكلام: قد علم ما أنتم عليه. (جامعُهُ).

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُوْنَ لِلْعَالِمِيْنَ نَذِيْرا﴾ [الفرقان:١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد أن ذكر الآية ما لفظه:

والفرقان فهو: التفصيل من الله فيه لرشده؛ فمن لم يرشد بكتاب الله فلا رشد، ومن ابتعد عن كتاب الله فبعد، كما بعدت عاد وثمود، ومن لم يهتد في أمره بكتاب الله وتنزيله -لم يهتد بغيره للحق أبدا ولا لسبيله؛ بل لن يبصر ولن يرى للحق عينا ولا أثرا، ولا يزال - ما لم يراجعه - متحيرا ضالا، ومعتقدا - ما بقي كذلك - حيرة وضلالا، يعد نفعا له ما يضره، وثقة عنده أبدا من يغره، مرحا لهلكته فرحا، يرى غشه له برا ونصحا، يخبط بنفسه كل ظلمة وعشواء، متبعا في دينه وأمره كله لما يهوى، إن قال مبتديا عسف، أو حكى عن غيره حرف؛ افتراء وبهتانا، وقسوة ونسيانا، أثرة منه للباطل على الحق، ونقضا لما عقد عليه من العهد والموثق، كما قال الله سبحانه: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾[الفرقان: ٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، وقد ذكر الآية:

هذه خاصة في أفعاله تعالى، من الأجسام والأعراض الضرورية، التي لا يقدر عليها سواه: كالروائح، والطعوم، والألوان، والحرارة والبرودة، وما شاكل ذلك، وكالحيوانات والجمادات، وما فيها من الآثار العجيبة والتقدير البديع؛ فأما الفواحش والمخازي، والزور والعدوان، والظلم والكذب -فأي تقدير فيه؟! وأي حكمة في فعله، وفاعله مذموم؟! ولو قيل لمضيف هذه الأفعال إلى الله سبحانه:" يا كاذب، يا سارق، إلى غير ذلك " لأنف على نفسه؛ فكيف يرضى بإضافة ذلك إلى ربه، ويحسنه له عقله ولبه؟! هل هذا إلا الزيغ العظيم، والضلال البعيد!!.

وقوله تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ يريد: من فعله؛ لأنه تعالى لا يفعل إلا الحكمة، وسواء كانت مشتهاة أو منفورا عنها.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [الفرقان:١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ فهو: بما جئتم به من الوحي والتنزيل، وكرهوه فلم يقبلوه، ونسوه فأنكروه. ثم قال عز وجل: ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾، ومعنى: لا يستطيعون صرفا ولا نصرا -

فهو: لا يستطيعون في الآخرة صرف العذاب عن أنفسهم، ولا ينصر بعضهم بعضا، مما ينزل بهم من عقاب ربهم؛ لأنهم في الدنيا التي جعلت لهم فيها المهلة: قد استطاعوا الإكذاب والجحدان، ولا يستطيعون ذلك في الآخرة؛ لما ينزل بهم من عقوبة النيران.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يعني سبحانه : جعل المرسلين والمرسل إليهم أجمعين فتنة، بعضهم لبعض؛ والفتنة هاهنا: اختبار ومحنة؛ فاختبر صبر المرسلين وطاعتهم: بأداء الرسالة وتبليغها، وامتحن الذين أرسل الرسول إليهم: بالإيمان والتصديق برسالتهم، وما جاءوا به من الحجج البينة، الدالة على النبوة، وبما امتحنهم به مع رسله وعلى أيديهم، من فرائض دينه وطاعته، والانتهاء عما نهى عنه من معصيته؛ فبعضهم - كما قال الله سبحانه - لبعض فتنة، والفتنة: اختبار - كما قلنا - ومحنة، كما قال في موضع غير واحد، وكرره تكريرا: من البلوى منه والاختبار، للعصاة الكفرة والمطيعين الأبرار، فقال: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢)﴾ [الفرقان: ٢٢]

قال في المجموع المذكور:

﴿حجرا محجورا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : معناه : ممنوعا؛ لأن كل محجور فممنوع، وما حجر من الأشياء فقد منع وحظر.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان:٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق كلام:

قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾، وليس معنى ذلك إلا عدم قبول الأعمال.

وقال في كتاب الأساس له عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ أي: باطلا.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان: ٢٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: ﴿تشقق السماء بالغمام﴾: يوم القيامة يشققها بالسحاب، وهو من آيات الله العظيمة، وحينئذ - كما قال الله تبارك وتعالى - : ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾، وهو - كما قال الله -: ﴿على الكافرين عسيرا﴾؛ لما يعاينون فيه من صدق الوعيد الذي كانوا ينكرون، ووقوع ما كانوا يكذبون به مما يحذرون؛ وتشققها بالغمام هو: خروجها من

فتوقها وشقوقها .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام، وقد سئل عن الآية:

فقال: القائل هذا، والعاض على يديه هو: من قصر في إتباع الرسول، واتخاذ الوسائل إلى الله معه بالطاعة له. وأما قوله: ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ ففلان هو: كل من صده عن سبيل الله فأطاعه، أو أمره بمعصية الله فاتبعه، من الفراعنة الضالين، والطغاة المغوين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾؟

والجعل هاهنا فهو: الحكم من الله على الأنبياء، بعداوة أهل الفسق والردى، من المجرمين الكفرة العاصين؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم﴾: في المؤمنين؛ فكيف بالأفضل من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين؟! ومن حرمت موادته فقد جعلت وفرضت معاداته ومنابذته.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)﴾ [الفرقان: ٣٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : التتبير: الإبطال والتدمير.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)﴾ [الفرقان: ٤٠]

قال في المجموع المذكور:

﴿لا يرجون نشورا﴾ أي : لا يأملون ولا يظنون النشور الذي أخبرهم الله عنه، والبعثة لا بدانهم من القبور.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

يقول: إذ أعطوا من الفهم والتمييز والنظر، وجودة التحرف في غامض الفكر -مالم تعطه البهائم، وما قد حجبها عنه العزيز العالم، وخلقها على غيره من الخلق، وصورها على ما قد يراه جميع الخلق، فأبوا استعمال ما ركب فيهم، وأمتن الله به سبحانه عليهم، وتركوا النصفة، وأخذوا في المكابرة والمعاندة لربهم، والكفر لنعمة خالقهم، فكانوا لذلك وفيه أضل من الأنعام، إذ تركوا ما لو علمته الأنعام وعرفته، وميزته وفهمته -لقبلته ولسارعت إليه، ولدخلت بأجمعها فيه، ثم لثابرت إلى الممات عليه؛ فهذا - والحمد لله - قول لا ينكسر على

من قال به بل يضح، وينير لذوي العقول ويستبين ويصح.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾ [الفرقان: ٤٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يعني سبحانه: تيسيرا هينا، ظاهرا لا يخفى بينا. وقبض الظل فهو: فناؤه، وذهابه وانطواؤه؛ ولا ينقبض ويفنى، ويذهب ويطوى، شيء مما كان أبدا، جميعا كان أو فردا، إلا كان قابضه ومفنيه، ومذهبه وطاويه، موجودا يقينا بلا شك ولا مرية فيه، وشاهدا بصنعه لصانعه، ودليلا عليه مكفيا من علم غيب صانعه، وإن لم ير بدرك اليقين، من درك مشاهدة كل حاسة من عين أو غير عين؛ وزيادة الظل ومده -فلا يكون إلا بمن يزيده ويمده، وإذا كان زائده وماده ومدبره: لا تدركه العيون ولا تبصره، وإنما تقع العيون على صنعه وفطرته -كان أدل على جلاله وقدرته.

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ [الفرقان: ٥٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: تفسير الجهاد في القرآن على ثلاثة وجوه:

فالوجه الأول من الجهاد: يعني به: القول؛ فذلك قوله عز وجل: ﴿وجاهدهم به﴾، يعني: بالقول. ﴿جهادا كبيرا (٥٢)﴾[الفرقان]، وهذا بمكة قبل أن يؤمر بالسيف، وقال في سورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التوبة: ٧٣]، يعني: بالقول الغليظ.

والوجه الثاني من الجهاد: يعني به: القتال بالسلاح؛ فذلك قوله: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين﴾ [النساء: ٩٥]، يعني: الذين يقاتلون في سبيل الله. ﴿على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥)﴾ [النساء]، وقال في براءة: ﴿جاهد الكفار والمنافقين﴾ [التوبة: ٧٣]، يعني: بالسيف، ومثلها في: ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ [التحريم: ١].

والوجه الثالث من الجهاد: يعني به: العمل؛ فذلك قوله في سورة العنكبوت: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ [العنكبوت: ٦]، يعني به: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه. وقال فيها أيضا: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، يقول: عملوا لنا، وقال في سورة الحج: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨]، يقول: اعملوا لله حق عمله.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الأجاج: الذي قد بلغ في شدة الملوحة ما يخرج به إلى المرارة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويله: ملكه للأشياء، وارتفاعه عليها واعتلاه، كما يقول القائل:" استوى فلان على ملك فلان "، فـ:" استوى " يريد: ملك ما كان يملك فلان كله سواء.

وكذلك يقول إذا ملك ملكه:" قعد على عرش فلان وجلس "، وليس يريد: أن عرشه مقعد له ولا مجلس.

وقد يكون العرش لكل شيء سقفه وأعلاه، كما جعل الله أعلا ما خلق من السماوات منتهاه، فأي هذا كله قال به في مثل: ﴿استوى على العرش﴾ قائل، لم يخط في تأويله به قائل ولا متأول.

فأما ما يذهب إليه الجاهل، من أن العرش لله مقعد وحامل، تحيط به أقطاره، وتحويه أقداره –فلا يجوز في الألباب، تأويله على رب الأرباب؛ ومن تأول ذلك في الله، فهو من الجاهلين بالله؛ فنعوذ بالله من الجهل به وبجلاله، ومن القول بذلك فيه وأمثاله، وحسبنا الله لا إله إلا هو، عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)﴾ [الفرقان: ٦٧]

قال في المجموع المذكور، بعد ذكره للآية:

القوام من: النفقة بين السرف والإقتار، وهو السيرة التي رضيها الله في النفقة للأبرار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾ [الفرقان: ٧٢]

قال في المجموع المذكور، وقد سئل عليه السلام عن الآية:

فالشهادة هي: الحضور، والزور من الأشياء فهو: البور، وهو: الباطل

والكذب، واللغو فهو: الغفلة واللعب؛ فذلك كله وما كان منه فلا يشهدونه، وإذا مروا به أعرضوا عنه.

وقال عليه السلام في موضع آخر من المجموع المذكور:

ومن الزور، ولهو الأمور: الغناء والدف، واللعب والعزف، وما يعرض عن ذلك من سمعه وحضره، ولا من لم ينكر منكره. وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: ((صوتان ملعونان فاجران في الدنيا والآخرة: صوت عند نعمة: لعب، ولهو، ومزامير شيطان؛ وصوت عند مصيبة: خمش وجه، وشق جيب، ورنة شيطان)).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾ [الفرقان: ٧٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: في هذه الآية مضمر، ولذلك أشكل تفسيرها على علمائها، وإنما المعنى: ما يعبأ بعذابكم ربي، لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فسوف يكون لزاما﴾ أي: يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه إلها -لازما.

ومثل هذا من المضمر قول الشاعر:

من ساد لي النفس في هواه ... منك ولكن من له بالمضيق (١)

---

(١) - هكذا في النسخة المطبوعة المنقول منها، وهو للمهلهل بن ربيعة، والصحيح ما في كتب اللغة، منها لسان العرب لابن منظور، مادة:" دلا "، وجمهرة أشعار العرب، والشعر والشعراء، ولفظه:
مَنْ شاءَ دَلَّى النَّفْس في هُوَّة ... ضَنْكٍ ولكِنْ منْ له بالمَضِيقِ

أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق، وقال الله عز وجل: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾، أي: من كان يريد علم العزة لمن هي فإنها لله تعالى.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

﴿فسوف يكون لزاما﴾ يعني: سوف تلزمون ما كرهتم من الدعاء إلى الدين، فيكون دعاؤكم لزاما لازما.

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢)﴾ [الشعراء: ٥٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية في سياق كلام:

فأمرهم سبحانه بهجرة عدوه، وأخبرهم بأنهم سيتبعون؛ لتشتد عليهم فيما أمرهم به من ذلك المحنة، ولتعظم لهم ومنهم به في طاعتهم لله الحسنة، فلم يمنعهم خوفهم لفرعون وجنوده، من المضي لما عهد الله إليهم في الهجرة من عهوده، مع ما دخل من الخوف في اتباعه عليهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)﴾ [الشعراء: ٦١]

قال في المجموع المذكور:

يعني سبحانه: جماعة بني إسرائيل، وجماعة القوم الظالمين؛ فلم يمنعهم هول الرؤية والمعاينة، وما طلبوا عند ذلك من الهلكة والمنازلة، عن النفاذ على ما أمروا به من المهاجرة، منطلقين بكليتهم، ونسائهم وصبيتهم، لا يلتفتون إلى شيء، قد خرجوا ليلا سارين، لظفر فرعون وجنوده خائفين محاذرين؛ فهذه - هديتم - عزائم الموقنين، بالمرجع إلى رب العالمين؛ فأما من ضجعه تربصه

وارتقابه، وصرعه شكه وارتيابه -فما أبعده في الهجرة عن عزمهم، وما صاروا به إليها من علمهم؟!

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤)﴾[الشعراء:٩٣، ٩٤]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

والكبكبة: مضاعفة الكب، والكب في أصل اللغة: إلقاء الشيء على رأسه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦)﴾[الشعراء: ١٠٦]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿أخوهم نوح﴾، فقلت: كيف جاز أن يكون أخا لهم، وهم كفار، وقد قال الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، وليس الكفار إخوة للمؤمنين؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: إنما تلك تخرج على: أنه أخوهم في النسب، لا على أنه أخوهم في الديانة؛ فافهمه إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾[الشعراء: ١٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الريع: الموضع يكون بين جبلين صغيرين، أو في طرف الجبل الصغير، مستوي المكان، يتهيأ ويحسن فيه البنيان.

قوله تعالى: ﴿فَارِهِينَ (١٤٩)﴾ [الشعراء: ١٤٩]

قال في المجموع المذكور:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: الفرهون: كلمة عربية تقوم مقام:" فرحين "، والفره: الفرح المفرط في فرحه؛ والفرح فعل وخلق يكرهه الله من أهل الدنيا؛ قال الله سبحانه: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢)﴾ [الشعراء: ١٨٢]

قال في المجموع المذكور:

قال محمد بن القاسم بن ابراهيم رضي الله عنه : القسطاس: القسط، والإقساط في العدل، والوفاء في الميزان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)﴾ [الشعراء:١٩٧]

في المجموع المذكور، وقد ذكر الآية:

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا توقيف من الله للمكذبين، الذين كذبوا رسوله صلى الله عليه وآله، فيما جاء به عن الحق من الحق المبين، بما كانوا يسمعون في ذكر النبي ومبعثه من علماء بني إسرائيل قبل

بعث الله لنبيه؛ لأن من كان يجاور قريشا والعرب: باليمن، والواد، وخيبر، ويثرب من علماء بني إسرائيل -كانوا يذكرون من أمر النبي، ويرونه ويجدونه في كتبهم، قبل بعثة النبي -آية وحجة، وبينة قوية.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)﴾ [الشعراء: ٢٠٠]

قال في المجموع المذكور، بعد ذكر الآية:

يعني - والله أعلم -: ما سلك الله من ذكر نبيه وأخباره ومبعثه في آذان المشركين وقلوبهم قبل بعثته، حتى وقع ذكر مبعثه بما كان يروي علماء بني إسرائيل لهم؛ تقديما من الله في الاحتجاج عليهم، ثم أخبرهم أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء: ٢١٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فجمع بني عبد المطلب في الحديث المشهور، وهم يومئذ أربعون رجلا، فقال: ((يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤساء، ولا تكونوا أذنابا))، فبدأهم بالنذارة قبل الناس كلهم، فقال: ((أيكم يجيبني إلى ما دعوته إليه، إلى الإسلام: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، على أن يكون أخي ووزيري، ووارثي ووصيي، وخليفتي في أهل بيتي، يقضي ديني، وينجز موعودي؟))، فأجابه علي من بينهم، وكان أصغرهم سنا، فضمه إليه، ودعا له، فتفل في فيه، فقال أبو لهب: لبئس ما حبوت به ابن عمك، حيث أجابك إلى ما دعوته، فملأت فمه بزاقا. فقال: بل ملأته فهما وعلما.

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكر الآية:

ليس الله يزين لأحد قبيحا؛ ولكن لما كان سبب زينة الدنيا وما فيها من الله خلقا وجعلا، وكان منه الإملاء للفاسقين، والتأخير الذي به تزينت أعمالهم، جاز أن يقال: ﴿زينا﴾، ولم يزين لهم سبحانه قبيحا من فعلهم.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾، فقلت: ما معنى تزيين الله عز وجل لهم، وما مخرجه؟

ومعنى تزيينه سبحانه: فترك المعاجلة بالعقوبة لهم والأخذ بإكظامهم[1] عند معصيتهم، فكان تزيين الله لهم: تأخير المغافصة [2] بالنقم؛ كذلك تقول العرب

(١)- أي: بما يردهم عند معصيتهم؛ قال في القاموس المحيط وشرحه تاج العروس:" (كظم غيظه يكظمه) كظما: اجترعه، كما في الصحاح. وقيل: (ردَّهُ وحبسه)، واحتمل سببه وصبر عليه، وهو مجاز مأخوذ من كظم البعير الجرة، ومنه قوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾، وفي الحديث: ((ما من جرعة يتجرعها الانسان أعظم أجرا من جرعة غيظ في الله عز وجل)). (و) كظم (البابَ) يكظمه كظما: قام عليه، و (أغلقه) بنفسه، أو بغير نفسه. وفي التهذيب: قام عليه فسده بنفسه أو بشيء غيره. (و) كظم (النهرَ والخوخةَ) كظما: (سَدَّهُمَا)... إلخ"

(٢)- قال في القاموس مع شرحه:" (غَافَصَه) مُغافَصةً وغِفَاصاً : (فَاجَأَهُ وأَخَذَه على غِرَّة) فرَكِبَهُ
=

في مخاطبتها بعضها لبعض إذا أخطأ أحدهم على الآخر مرارا، فلم يجازه -قال له:" الذنب لي لا لك؛ أنا أفسدتك، وزينت لك عملك؛ بتركي المكافأة لك على قبيح فعلك، حتى ظننت أنه حسن جائز "؛ فهذا معنى التزيين من الله عز وجل. ومعنى: ﴿يعمهون﴾ أي: يتحيرون ويتخبطون، ويموجون في ضلالهم، ولا ينتهون من غفلتهم.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عيه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾، وقلت: كيف مخرج التزيين هاهنا؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: هذه المسألة تخرج على وجهين، وكلاهما حسن.

أما أحدهما فإنه يقول: زينا لهم أعمالهم من الطاعات، فتركوها فهم يعمهون.

وأما الوجه الآخر: فإنه يجوز على الإمهال، كنحو ما تقول العرب:" أنا الذي زينت لك عملك، وأنا الذي أفسدتك "، وهو لم يزين له عمله ولم يفسده؛ ولكنه أمهله، ولم يغير عليه، ولم يمنعه؛ فكان تركه له وإمهاله إياه مزينا له فعله؛ إذ لم يحل بينه وبينه، ولم يمنعه، ولو منعه لم يكن من ذلك شيء؛ فإنه عز وجل لم يقسر العباد على الطاعة قسرا، ولم يمنعهم من المعصية جبرا، ولو فعل ذلك سبحانه ما جاوز أحد أمره؛ ولكنه أمر تخييرا، ونهى تحذيرا، فلم يطع مكرها، ولم يعص مغلوبا؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم، وإنما مخرج ﴿زينا﴾ على مجاز الكلام. وقال جل ثناؤه: ﴿ولكن الله حبب إليكم

بِمَسَاءَةٍ ."

الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾، يعني بالتحبيب والتكريه: الأمر والنهي، وما وعد وأوعد من الجنة والنار، لا جبرا على طاعته، ولا على معصيته؛ عز الله عن ذلك وتعالى علوا كبيرا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قلت: فما معنى قوله: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾؟

قال: أما قوله: ﴿من في النار﴾ فإنما أراد بذلك: ما سمع من الكلام في النار، وأما قوله: ﴿ومن حولها﴾ فهو: من حضر من الملائكة حول النار.

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾ [النمل: ٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فذكر ملكها لهم، وما أوتيت فهو: ما أعطيت من كل شيء. ثم قال: ﴿ولها عرش عظيم﴾، وهذا إن كان إياه أراد كما قلنا فهو: الإكبار لها والتعظيم، وإلا فما عظم عرشها أو سريرها، من التعظيم لها أو لأمرها، ومن الكبر لقدرها.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)﴾[النمل: ٢٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾؟

فقال: الخبء فهو: السر والغيب الذي لا يستخرج علمه إلا الله، ولا يطلع على مكنون سره غيره.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾[النمل: ٤٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وسأل أيده الله عما في: الشرح عن معنى قوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾: قيل أنه آصف؛ فهل كان ذلك في مقدور البشر؟

الجواب عن ذلك: أنه قيل: دعا إلى الله سبحانه بأن يأتي بالعرش، فأتى به سبحانه؛ إجابة لدعوته، وذلك مقدوره سبحانه؛ فلا يتوجه السؤال على هذا التأويل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)﴾[النمل: ٨٠]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه

السلام:

شبه النافرين عن الحق بالموتى، والصم عند الدعاء؛ إذ كل واحد من المذكورين لا يسمع داعيا، ولا يجيب مناديا، وخص الله -سبحانه- الأصم بالإدبار؛ إذ بالإدبار تنسد عنه طرق المعرفة؛ لأنه عند إقباله ربما نظر حركة الشفتين ،ففهم المراد، ونبه بإشارة؛ هذا معنى الآية عندنا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)﴾[النمل: ٨١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾؟

ومعناها: إن تسمع بآياتنا عندما تلقي في آذانهم من وحينا، وتتلوا عليهم من وعدنا ووعيدنا، إلا من يؤمن بها، ويصدق بما يتلو من وحيها، من المسلمين؛ فأما من ضل عن الحق والهدى، وجنب عن الصدق واتبع الهوى، أو كان بذلك كافرا، وفي دين الله فاجرا -فلا يستمع ما نأمره وننهاه عنه. والسمع هاهنا فهو: الطاعة والقبول لما جاء به عن الرسول، ومن الحجة على أن السمع هو الطاعة: ما يقول الله سبحانه: ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾.

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾ [القصص: ٧]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، وقد ذكر الآية في سياق جواباته على ابن لحنفية، فقال:

إن الله لما أن علم أنه إذا ألقى على موسى صلى الله عليه من المحبة التي ذكر أنه ألقاها عليه في قوله: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾، فلما ألقى عليه المحبة أحبته لذلك امرأة فرعون، فسألت فرعون تركه، عند ما هم به من قتله، حين تبين له ما كان من فعله في صغره، فتركه لها، وصفح عنه لحب محبتها، واتباع سارها؛ فكان ذلك نجاة لموسى مما هم به فيه فرعون، الكافر الملعون؛ فلما أن علم الله سبحانه أن ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة امرأته إلى ما طلبت من ترك قتل نجي الله -حكم عليه بما علم من صيور أمره، فكان ما ألقى عليه من المحبة منه سبحانه سببا لنجاته، فنجاه الله من فرعون، ورده إلى أمه؛ كي تقر عينها ولا تحزن. فأخبر الله في ذلك، ووعدها ما وعدها؛ لعلمه بما سيكون، من امرأة فرعون، وطلبها في موسى، وإجابة فرعون لها، كما أخبر عما يكون يوم الدين؛ فهذا معنى ما ذكر الله من ذلك إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾، فقلت: ما معنى ذلك؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: في هذه المسألة قولان:

أما أحدهما: فإنه يقول: فارغا من كل شيء، إلا من ذكر موسى عليه السلام.

والقول الآخر: فإنه قال: فارغا من كل شيء، إلا من العهد الذي عهد الله عز وجل إليها، والوعد الذي وعدها إياه، من قوله: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى﴾ [القصص: ٢٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال مولانا أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي عليهم السلام: هو فيما بلغنا - والله أعلم -: رجل يقال له:" حزقيل بن صابوت " مؤمن آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)﴾ [القصص: ٣٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

معنى ﴿من شاطئ الوادي الأيمن﴾ فهو: جانب الواد الأيمن. و﴿البقعة المباركة من الشجرة﴾ فهو: وسطها وفرعها، وحيث كانت النار تتوقد وتأجج منها.

﴿أن يا موسى إني أنا الله﴾: هذا كلام خلقه الله ناطقا عن النار، فسمعه موسى عليه السلام، فلم يكن بين الله وبين موسى بشر مؤدى [1] للكلام، وإنما كان الكلام من الله سبحانه خلقا وإيجادا، فسمعه موسى صلى الله عليه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، وقد ذكر الآية في سياق رده على ابن الحنفية، ما لفظه:

هذا يخرج من الله على معنيين عدلين محققين:

أحدهما: أن يكون جعله لهم هو: ما أوجده منهم، وخلقه من أجسامهم، لا ما ذهب إليه من فعل أفعالهم.

والمعنى الآخر: أن يكون ذو الجلال والإكرام حكم عليهم بما يكون منهم من أعمالهم، ودعائهم إلى خلاف طاعته، من الكفر به، والصد عن سبيله، وما كانوا يفعلون ويجترئون به على الله؛ فكانت حال من يطيعهم على كفرهم، ويشركهم في فعلهم، ويدعوهم إلى غيهم، عند الله -كحالهم؛ فلما أن دعوا إلى ما يقرب إلى النار، مما كان يفعله الفجار -كانوا أئمة يدعون إلى الجحيم؛ فحكم عليهم بفعلهم العليم، ودعاهم وسماهم به الرحمن الرحيم، فكان دعاؤه إياهم بذلك من فعلهم، وتسميته لهم بما دعوا إليه إخوانهم من النار -جعلا في مجاز كلام

(١) – في نسخة:" وبين موسى مؤدٍ".

العرب، كما يجوز أن يقال لمن قال لصاحبه:" يا حمار":" جعلته ويحك حمارا "، وإنما يريد بذلك: سميته، لا خلقته. وكذلك إذا دعاه بالضلال -قيل:" جعلته ضالا "، إذ قد سميته به.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾، وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾، فقلت: ما معنى هذا في العدل؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: اعلم - أرشدك الله - أن الجعل في كتاب الله عز وجل يخرج على وجهين؛ فمنه: جعل حتم، وهو قوله عز وجل: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾، وقوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾، وما أشبه ذلك من جعل الحتم.

والجعل الآخر فهو: قوله عز وجل: ﴿جعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾، فذلك: جعل حكم وتسمية، أي: جعلناهم وسميناهم بفعلهم، وكذلك أئمة الهدى: استحقوا الإمامة بالهدى والتقوى، فحكم لهم بالهدى والتقوى، وجعلهم أئمة لعباده وكهفا ونجاة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ [القصص: ٥٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾؟

معنى ذلك: أن الله سبحانه يخبر نبيه أنه لن يستطيع أن يجبر قلب أحد على الهدى، حتى يجعل باطن أمره كظاهره، ثم أخبر سبحانه: أنه يقدر على ذلك، غير أنه لا يفعله بأحد جبرا، وإن كان عليه قادرا.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: إن من زعم أن الله تبارك وتعالى دعا العباد إلى أمر قد حال بينهم وبينه، ونهاهم عما قضاه، وقدره عليهم أن يعملوا به، وأراد بذلك المجبر السائل جهله، وأن يزين لنفسه خطأه، ويكابر الحق الذي جاء من عند الله عز وجل صراحا؛ بدعواه في قول الله جل ثناؤه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾، كأنه يرى عند نفسه: أن الله تقدس وتعالى قال لنبيه محمد صلوات الله عليه: أن دعاك للعباد، وما أرسلناك من البرهان والنور والهدى والبينات، والآيات الواضحات -لا ينفع الناس شيئا؛ ولكن أنا أقسر عليه من شئت منهم. وليس ذلك كما تأولوه، ولا كذلك فعل الله عز وجل، وإنما كان ذلك: أن رجلا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكان ومنزلة، فحرص عليه أن يسلم، فأخبر الله سبحانه نبيه صلوات الله عليه وعلى آله: أن حرصك لا يغني - إذن أبدا - العبد: أن يسلم، فإن أحدا لا يستطيع أن يغلب أحدا على إرادته وهواه، إلا الله القوي القادر، الذي يملك تصريف القلوب في الهدى، وبيده النواصي والأقدام، وقال: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾، أي: قسرا و جبرا، وكذلك قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾؛ وليس من صفته جل ثناؤه: أن يجبر أحدا من خلقه على طاعة ولا معصية، حتى يختار كل منهم ما أراد من ذلك لنفسه، وبذلك أنزل

الكتب وأرسل الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

أراد به: هدى الجزاء على الحقيقة؛ لأنه لا يثيب من أحب في الآخرة.

فلو كان المراد بالهداية هاهنا: في الدنيا -لكان هذا مخالفا للكتاب والسنة، ناقضا للأصول؛ لأنه قد هدى في الدنيا من أحب ومن لم يحب، وأثاب أيضا في الدنيا من أحب، فصح أن المراد: أنك لا تثيب في الآخرة من أحببت، وصح أن الجزاء يسمى هدى.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

قوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾: إنك لا تثيب من أحببت؛ ولكن الله يثيب من يشاء، وهو لا يشاء إثابة غير المطيع؛ لأنه لو أثاب العاصي لكان ذلك إغراء بالمعاصي، والإغراء بالمعاصي قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح.

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾[القصص: ٧٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وأما ما ذكرت واحتججت به في قول الله سبحانه: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾، فقلت: إذا آتاه الله ذلك فكيف تجوز مقاتلته؟

وإنما يخرج تفسير: ﴿وآتيناه﴾ في هذا وفي غيره على ثلاثة وجوه:

منها: الإملاء، وترك إزالة ملكه، فلما أن كان عز وجل يقدر على أن يذهبه ويزيله، فتركه -جاز أن يقول: ﴿آتيناه﴾ على مجاز الكلام، وهذا من لغة العرب صحيح، تتعارفه بينها، إذا ترك أحدهم عقوبة مفسد عليه -قال:" أنا أمرتك

بالفساد، وطرقت لك إليه "، يريد: بترك المكافأة، وإنما خاطبهم الله بلغتهم.

والوجه الثاني فهو: خلق الله عز وجل للتبر؛ فلما أن أوجده ملكه قارون، فجاز أن يقول الله سبحانه: ﴿آتيناه﴾، أي: لولا خلقنا له ما وجده، فكان هذا ذما لقارون؛ إذ استعان بنعم الله وإحسانه على معاصيه، ولم يؤد فيه ما أمر بتأديته، فالله عز وجل جعل هذه الأموال وخلقها؛ لمصالح عباده، ولأهل طاعته، فاستعانوا بها على معصيته؛ وما حال الكنوز إلا كحال الماء والطعام، والزرع والنعم التي أنعم الله بها على خلقه، فاستوى فيها البر والفاجر؛ لكمال النعمة، وإقامة الحجة؛ أفيقول قائل: إن بإطعام هذا الكافر وإسقائه الماء يلحق الله عز وجل في ذلك ذم؟! بل ذلك إقامة حجة، وإبلاغ في المعذرة، وإكمال في النعمة؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [الواقعة:٦٣، ٦٤]، ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ [الواقعة:٦٨، ٦٩]، فذكر تبارك وتعالى: أن هذه الأشياء وأمثالها منه نعمة وحجة على الخلق، وإيتاؤه إياهم فإنما هو منه عز وجل: إيجاده وخلقه، ولولا أنه سبحانه أوجده وخلقه ما وجده أحد ولا انتفع به.

والوجه الثالث فهو: لما أن كان الملك لا يقوم إلا بالخيل والرجال، والعدة والسلاح، والأموال والمماليك، وكانت هذه الأشياء خلقها الله عز وجل وأوجدها -خرج اللفظ على: إيتاء هذه النعمة للذي هي معه؛ بخلق الله لها، وذلك تبكيت له وتقريع بخطاياه، وقلة شكره على ما أفضى إليه، مما جعله الله عونا على طاعته، فصرفه أعداؤه في معصيته، كما قال سبحانه: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ [النمل:٤]، والله لم يزين لهم عملا، وإنما أراد: أنه أملا لهم، وأخر العقوبة عنهم.

فأما أن يكون عز وجل أعطى أهل الظلم ملكا، أو حكم لهم به -فالله من

ذلك بريء سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه؛ وكيف يقول بذلك قائل، والله سبحانه يقول:﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة:١٢٤]، ويقول: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة:٢٩]، ويقول: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ [التوبة:١٢]؟! فكل ذلك يأمر الله سبحانه بقتل المبطلين وقتالهم، ويوجب الجنة في جهادهم، ويعذب من تخلف عن حربهم؛ فليس أحد يقول بغير ذلك إلا كان مخالفا، ولما جاء به الكتاب مجانبا، وقد توضح في ذلك ما فيه كفاية لك، وكاشف لما التبس في قلبك، والله ولي عونك وتوفيقكم.

وقد قيل: إن النمرود - عليه لعنة الله - لما فلجه إبراهيم صلوات الله عليه، وقطع حججه وبهره بالآيات العظيمة التي جاء بها، فلم يبق له كلام ولا حجة - كان آخر قوله - لعنة الله عليه - عند القهر له، وثبوت الحجة عليه، وعلى من معه: هل يستطيع ربك أن يقاتلني، فقد طالت الحجة بيني وبينك، وليس إلى ما تطلب من سبيل إلا بغلبة؛ فهل إلى ما سألتك من قتال ربك سبيل، أو يقدر علي، أو له جند ينتصر بهم مني؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم صلى الله عليه: ((أن عده طلوع الشمس غدا)). فقال له إبراهيم عليه السلام: ((فإن ميعادك في ما سألت طلوع الشمس غدا))؛ فبات الملعون يجمع عساكره، ويؤلف جمائعه، حتى أصبح وقد حشد خلقا عظيما لا يحصى، ثم أرسل إلى إبراهيم حين أصبح، فدعاه، فقال: يا إبراهيم، أين ما وعدتني؟ فقال له عليه السلام: ((أتاك الأمر مع طلوع الشمس، فلما طلعت الشمس طلعت متغيرة لا يبين ضوؤها)). فقال: يا إبراهيم، ما بال الشمس اليوم؟ فقال له: ((إنه قد ذهب بنورها كثرة الجند الذي وجههم الله إليك، وأنه عز وجل قد أرسل عليك أضعف جنده، وهو الفراش))، ثم غشي الملعون وأصحابه الفراش، فعلق يدخل آنافهم

وآذانهم، فكلما دخل في رأس واحد منهم شيء منه قتله، والملعون ينظر إلى ما نزل به وبأصحابه، من الأمر العظيم الذي لا حيلة لهم فيه، حتى إذا فنيوا وهو ينظر -دخلت في رأسه واحدة من الفراش، فأقبلت تأكل دماغه، وهو ينطح برأسه الجذر، حتى هلك على شر حال؛ فهذا ما ذكر من خبره، وروي من أمره.

وقال عليه السلام في الجزء الثاني من هذا المجموع:

إنما كان فرحه جرأة وأشرا، ومعصية لله وتمردا؛ وهذه الآية نزلت في اليهود، ذما لهم فيما كانوا يأتون من الجرأة على الله سبحانه وعلى أوليائه.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد للّه بن حمزة عليه السلام:

المسألة السادسة والثلاثون عن: قوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾؟

الجواب عن ذلك: إنه كان حلالا، ولذلك امتن سبحانه؛ وسبب ماله فقد اختلف فيه، وكانت حكايات لسنا نصحح منها، إلا أن الله سبحانه قد رزقه رزقا واسعا، حتى أن مفاتح خزائن ملكه كانت وقر أربعين رجلا، وكل مفتاح مثل الأنملة لأقفال، فبطر النعمة، وقابلها بالمعصية، فأخذه الله سبحانه أخذا شديدا، وخسف به وبداره الأرض، فذهب ماله، وكان وبالا عليه يوم القيامة؛ وذلك جزاء الكافرين.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية، للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿إن الله لا يحب الفرحين (٧٦)﴾، قلت: ما معنى هذا، والأنبياء صلوات الله عليهم والأئمة عليهم السلام والصالحون يفرحون؟

قال أحمد بن يحيى رضي الله عنه: إنما عنى بالفرح في هذا الموضع: البطر

والأشر، وأن يفرحوا ولا يشكروا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل في قصة قارون: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، فقلت: كيف جاز أن يوصوه بالدنيا، وهم يعظونه، وكان هو أشد في طلب الدنيا، وأحرص عليها منهم، وأشد رغبة فيها؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: إن قومه لم يأمروه بطلب الدنيا، والحرص عليها، وإنما ذكروه: أنها طريق إلى الآخرة، فأمروه: أن لا يذهب عمره في معصية الله عز وجل؛ لأن الدنيا فيها تكتسب الجنة، وقد سمعت قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه حيث سمع الرجل الذي ذم عنده الدنيا، فصرخ به، ثم قال: ((الدنيا موضع صدق لمن صدقها))، مع كلام اختصرناه قد سمعته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾ [القصص: ٧٨]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام، وقد ذكر الآية:

إن هذا لا ينافي ما تقدم، (يعني من إثبات السؤال)؛ لأن هناك مواقف كثيرة، قيل: هي خمسون موقفا. وهناك حالات كثيرة، ففي بعضها يقع السؤال كما تقدم، وفي بعضها لا يقع سؤال، كما في هذه الآية، وإذا كانت الحال هذه سلم كلامه عز وجل من التناقض، والتعارض؛ لاختلاف الوقتين، وليس في آيات إثبات السؤال، وآيات نفيه: أن ذلك كله في وقت واحد، ومن شروط التناقض

والتعارض: أن يكون الوقت واحدا.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وتأويل قول الله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾: له معان، منها: ما أريد به وجه الله من العمل الطيب، والقول الحسن.

ومعنى آخر في: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾: إلا هو؛ ومن أراد هذا المعنى قرأ: ﴿وجهه﴾ مرفوعا؛ وله سوى هذا أيضا، من أراده قرأه مفتوحا، والمعنى فيه: ثواب الله عز وجل.

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)﴾ [العنكبوت: ٤]

قال في المجموعة الفاخرة، بعد ذكره للآية في سياق كلام ما لفظه:

يقول: أم حسب الذين يعملون المعاصي أنهم يغلبون ويسبقون إلى العمل بها، ولو شئنا ما سبقونا إليها، ولا فاتونا بها، فكل هذا يعلم أنه بريء من أفعال العباد، وأنها منهم بغير أمر له، إلا بما فوض إليهم، ومكنهم وخيرهم.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أي: من كان يؤمن بالبعث فإن وعد الله ووعيده اللذين هما الجنة والنار – لآت؛ وليس ذلك اللقاء: رؤية، ولو كان لقاء رؤية لقال: من كان يرجو لقاء ربه فإن الله يلاقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾، يعني به: من يعمل الخير فإنما يعمل

لنفسه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)﴾ [العنكبوت: ١٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾، إلى قوله: ﴿في صدور العالمين﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله عن من يقول بلسانه: أنه يؤمن، فإذا أنزل به خوف من أعداء الله -رجع عن قوله، واستسلم في أيدي أعداء الله؛ فأخبر الله سبحانه بجهله وكفره، ونفاقه في كل أمره، وأنه لا يعقل ما بين عذاب الله وفتنة الناس؛ وفي أولئك ومن كان من الخلق كذلك: ما يقول الله سبحانه: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف...﴾، إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

ابتداؤه - جل ثناؤه - له فهو: ابتداعه وزيادته وإنماؤه، وإعادته فهو: إلى ما كان عليه، وهو محقه وتقليله وإفناؤه؛ وذلك كله فقد يراه ويعاينه، ويبصره ويوقنه -من كان حيا، مبصرا سويا، كما قال لا شريك له، لا يجهله إلا من تجاهله، ولا يخفى إلا على من أغفله، ممن لعنه الله وخذله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾، وبنوا آدم لا يكونون في السماء؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنما يعني بقوله: ﴿ولا في السماء﴾، أي: ولو كنتم في السماء ما أعجزتم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

قال في الكتاب المذكور:

يعني: يتبرأ بعضهم من بعض.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ [العنكبوت: ٤٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾؟

والأمثال فهي: ما ضرب الله لعباده من الأمثال في كتابه، مثل قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾، إلى قوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾، ومثل قوله: ﴿أيود أحدكم

أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾، إلى قوله: ﴿لعلكم تتفكرون﴾، ومثل قوله: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾، إلى قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾، وغير ذلك مما في الكتاب، مما يطول شرحه، ويكثر في الكتاب ذكره، وذلك فلا يعلمه ولا يعقله إلا العالمون بغامضها، الراسخون في تفسيرها، ومن عقلها بالعلم، بما كان فيه أمر أو نهي، والرجوع إلى حكمها، وتصديق لكل ما فيها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

الذكر لله هاهنا هو: الدعاء إلى الله؛ وفي ذلك ما حدثني أبي عن أبيه: أنه كان يقول في قول الله سبحانه: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، قال: ذكر الله هاهنا هو: الدعاء إلى الله. قال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: ويدخل مع ذلك من ذكر الله شغل القلب في التفكر في جلال الله وقدرته، وعظمته وسلطانه، والذكر له بما ذكر به نفسه، من توحيده وعدله، وصدق وعده ووعيده.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

أي: ذكر الله لكم بجزائه وثوابه أكبر من ذكركم إياه في صلاتكم.

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق جواب:

هي: سبب التنوير الذي أراده تعالى بقوله: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾، أي: تنويرا تفرقون به بين الحق والباطل؛ فهي كالناهي؛ لما كانت سببا لحصول التنوير الزاجر عن ارتكاب القبائح، وذلك لم يخرجها عن كونها شكرا لله تعالى.

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ [الروم: ١ - ٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض ...﴾ الآية.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا خبر من الله سبحانه عن: غلبة كانت للروم غلبوها ﴿في أدنى الأرض﴾، وقد يمكن - والله أعلم - أن تكون الغلبة التي غلبت الروم: ما كان من نصب الراية التي بعث لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأرض [١] مؤتة من الشام، وهي: أدنى الأرض التي كانت تلي أرض الإسلام، في أيام الرسول عليه السلام؛ لأن الله بعد إكرامه يوم مؤته لجعفر وزيد وعبد الله بن رواحة، بما أكرمهم به من الشهادة -نصر راية رسول الله تلك يومئذ، وهي في يد خالد بن الوليد فيما ذكروا، فأنهزم الروم وغلبوا ، وفرح المؤمنون بنصر الله إذ نصر، فكان هذا غلب الروم. والغلب الذي غلبوه هو - والله اعلم -: غلب المؤمنين في ذلك الروم، ورؤية النصر الذي أحبوه.

(١) - أي: إلى أرض مؤتة.

ثم رجع الخبر من الله - والله أعلم -؛ بالإضمار في المعنى واللسان العربي، إلى الاختصار للكلام والقصص، والتطويل للمختصر والإيجاز، فقال سبحانه: ﴿وهم من بعد غلبهم﴾، يعني - والله أعلم - في هذه المرة: ﴿سيغلبون﴾ مرة ثانية.

ثم أخبر من وقت الخبر الثاني بآية عجيبة، كانت مخبرة عن علم غيب علم قبل وقوع الغلب الثاني: بأنها ستكون عليه ثابته، ثم أخبر الله في قوله: ﴿بضع سنين﴾: بما هو أكثر في الدلالة على عجيب الآية واليقين، فكانت البضع سنين مدة ما بين وقعة مؤته وبين فتح الشام، ففرح المؤمنون بنصر الله في تلك الأيام لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولدعوة نبيه، وما أظهر الله من أمر الإسلام بالغلب والقهر لأهل البلدان، من ملوك الروم وفارس بأرض المشرق والعراق؛ فهذه آية من آيات الرسول في نبوته: إخباره بظهور أصحابه يوم مؤتة على عدوهم من الروم بعد وفاته، وما كان من غلبتهم لهم في ذلك اليوم، ثم أخبر عن غلب ثاني ستغلبه الروم في بضع سنين؛ فرأى المؤمنون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة ما أخبر به، وصدقه بأيقن اليقين، وعاينت ذلك منهم العيون أيام فتح الشام، وغلبة الروم الثانية -كخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؛ إذ لا يخبر عليه السلام إلا عن الله علام الغيوب، ولا يكون إخباره سبحانه إلا صدقا وحقا، ثم أخبر سبحانه: أن لله القهر والقوة والقدرة، قبل أن تغلب الروم، وبعد أن غلبت.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾؟

قلت - وبالله التوفيق -: إنه سبحانه يجعل أسباب المودة كالشباب والحسن ونحوهما -كجعله للنار التي هي سبب لحس حراراتها، وأنت متمكن من

مقاربة ذلك، ومن قطع العلائق بينك وبينه ضرورة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)﴾[الروم: ٢٧، ٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: الأشياء كلها سواء عنده تعالى، قال بعض أهلنا: ﴿وهو أهون عليه﴾، أي: على الخلق، فالمعنى: هو أهون عليه - أي: هين عليه - أول خلقه وآخره... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾، إلى قوله: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون (٢٨)﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ يخبر تبارك وتعالى: أن من عمل شيئا وابتدعه، فأعاده إلى الصورة التي ابتدعها مرة ثانية -أهون عليه من ابتدائها واختراعها أولا؛ وإنما هذا مثل ضربه الله للخلق، مما يعقلونه ويفهمونه من أفعالهم، لا أن شيئا يمتنع على الله، ولا أن شيئا أصعب عليه من شيء؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

فأما قوله: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾، فإنما هذا مثل مثله الله للخلق، يريد سبحانه: إن كان يجوز أن تكونوا أنتم ومماليككم في أموالكم وفيما رزقتموه سواء أمركم وأمرهم، وإرادتكم وإرادتهم، حتى تخافوهم في أموالكم، فيما تنفقون وتقبضون وتبسطون، كما يخاف بعضكم بعضا في ماله -فقد يجوز أن تكونوا سواء شركاء لسيدكم في خلقه وعباده وملكه، وإن كان لا يجوز هذا أن يكون العبد والسيد سواء في مال سيده -فلن يكون أحد منكم لله شريكا في عباده، ولا أمره ولا ملكه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

المراد به: لقد لبثتم في علم الله. وقد يمكن أن يحمل معنى الآية على هذا، ويمكن أن يكون المراد به: لقد لبثتم فيما وجدنا في كتاب الله الذي هو القرآن: أنكم لبثتم إلى يوم البعث.

واعلم: أن للكتاب في كتاب الله أربعة معان:

فكتاب وهو: العلم، وكتاب وهو: الكتاب المكتوب بالقلم -وقد ذكرنا ذلك-، وكتاب وهو: الفرض؛ قال الله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[البقرة:١٨٣]، وقال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾[البقرة:٢١٦]، يريد: فرض عليكم. وكتاب هو: الحكم؛ قال الله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾[المجادلة:٢١]، يريد: حكم الله. وقد يمكن: أن يحمل الكتاب على معنى خامس، وهو: أن يمكن أن يكون كتب الله بمعنى: جعل الله، وذلك قول الله تعالى: ﴿أولئك كتب في

قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾[المجادلة:٢٢]، يقول: إنه قد أرسخ في قلوبهم الإيمان حتى صار مثل الخلق، كما قال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾[الحجرات:٧].

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦)﴾ [لقمان: ٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٦)﴾؟

فقال: هذا من إخبار الله تبارك وتعالى عمن يشتري لهو الحديث؛ ولهو الحديث فهو: الغناء والملاهي كلها، من: شطرنج، أو نرد، أو وتر يضرب به، أو شيء من الملاهي التي حرمها الله على عباده. ومعنى: ﴿يشتري﴾ فهو: يختار ويؤثر، ويجتبي هذا اللهو على غيره من الخير. ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ معناه: يشتغل ويشغل بذلك نفسه وعباد الله، عما سوى اللهو، من سبل الله؛ وسبيله فهي: طاعته وإتباع مرضاته؛ فأخبر الله سبحانه: أن من الناس من يؤثر الشر على الخير، يطلب بذلك التلهي والطرب في أرض الله، بما يصده وغيره عن سبيل الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)﴾ [لقمان: ١٨]

قال في الكتاب المذكور، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨)﴾؟

فقال: هذه وصية من لقمان - رحمة الله عليه - لابنه، يأمره ألا يصعر خده للناس؛ ومعنى ﴿تصعر خدك﴾ فهو: تعرض بوجهك عن الناس، وتصفح (١) لهم خدك، وتصعره لهم؛ استخفافا بهم، وإعراضا عنهم، عند إقبالهم عليك، ومسائلتهم لك؛ فأمره أن يقبل بوجهه إليهم، ويبسط وجهه لهم، ولا يعرض به عنهم. وهذا فعال يفعله جبابرة الأرض بالناس ومتكبروها، إذا أقبل الناس إليهم وعليهم أعرضوا بوجوههم عنهم، وأعطوهم خدودهم، فكلموهم وخدودهم مصعرة عنهم؛ ومعنى مصعرة فهي: ملوية منحرفة، ومعنى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ فهو: لا تمش في الأرض أشرا وبطرا، ساهيا لاهيا، وامش فيها متذللا لله متصغرا متفكرا، ناظرا في أثر صنع الله فيها متدبرا، ولا تكن عند مشيك فيها عن ذلك معرضا، ولا له تاركا.

(١) - أي: تترك لهم خدّك؛ إذ تركُهُ لهم هو عمل الإعراض؛ قال في القاموس المحيط، في مادة:" الصفح " ما معناه: و" صَفَحَ " كَمَنَع: أَعْرَضَ وتَرَكَ. و" صفح عنه " : عَفا. اهـ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠)﴾ [لقمان: ٢٠]

قال في الكتاب المذكور، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾، إلى قوله: ﴿ولا كتاب منير (٢٠)﴾؟

فقال: معنى: ﴿سخر لكم﴾ فهو: جعل وقدر لكم ما في السماء من المنافع، من الأمطار والشمس والقمر والنجوم في دورانها مرة، وغروبها مرة، وطلوعها أخرى، وما في الأرض مما سخره وقدره وجعله، من معايشها ومنافعها، وما جعل الله سبحانه من الخيرات لبني آدم؛ فهذا معنى: ﴿سخر لكم﴾. ومعنى: ﴿أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فهو: أكثر لكم من نعمه وعطائه ومننه ظاهرة؛ والظاهرة في ذلك: ما ظهر وعلم، وأبصر بالعين وفهم، والباطنة فهو: ما لا يرى بالعين، ولا يعرف سببه، مما يوليه الله عباده، لا يوقف عليه بحاسة، ولا يعلم إلا بالمعرفة بالله والإيقان، من دفع نوازل الشرور عن العباد، في آناء الليل والنهار، وما يصرف عنهم من البلوى، ويقيهم من آفات الدنيا، وهم لا يعقلون ذلك ولا يفهمونه.

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

تأويله: ملكه للأشياء، وارتفاعه عليها واعتلاه، كما يقول القائل:" استوى فلان على ملك فلان "، فـ:" استوى " يريد: ملك ما كان يملك فلان كله سواء.

وكذلك يقول إذا ملك ملكه:" قعد على عرش فلان وجلس "، وليس يريد: أن عرشه مقعد له ولا مجلس.

وقد يكون العرش لكل شيء سقفه وأعلاه، كما جعل الله أعلا ما خلق من السماوات منتهاه، فأي هذا كله قال به في مثل: ﴿استوى على العرش﴾ قائل، لم يخط في تأويله به قائل ولا متأول.

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)﴾ [السجدة: ٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وأما ﴿يوم كان مقداره ألف سنة﴾: فأنبأ الله - لا شريك له -: أنه يكون في يوم واحد من أمره، في ما ينزل من سمائه إلى أرضه من تقديره -ما مقداره عند غيره لو دبره من المقدرين من الآدميين: ألف سنة في التدبير، وأخبر في ذلك عن قدرته التي ليست لقدير.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾؟

فقال: معنى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ فهو: ينفذ ما يريد من الأمور، من السماء إلى الأرض: مع جبريل صلى الله عليه، إلى أنبيائه عليهم السلام في أرضه، ثم يعرج جبريل إليه من بعد إنفاذ ما أمر به إليه في مقدار يوم، فيقطع في مقدار ذلك اليوم: ما لو كان مبسوطا في الأرض -لم يقطعه العالمون في مسيرة ألف سنة.

ومعنى قوله: ﴿يعرج إليه﴾ فهو: يصير إلى الموضع الذي بعث منه، وهو محل جبريل وموضعه الذي يعرج إليه جبريل راجعا؛ فتبارك الله الذي ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء، ولا يؤويه مكان دون مكان، ولا تجري عليه نوائب الأزمان، البعيد في دنوه، والداني في علوه، لا تخلوا منه المواضع والأمكنة، ولا ينقصه طول الدهر والأزمنة، وهو بالمرصاد للعبيد، وهو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)﴾ [السجدة: ١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

أرادوا: إذا ذهبنا وتقطعنا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)﴾[السجدة: ١١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾؟

الجواب في ذلك: أن توفي ملك الموت لمن يتوفاه هو: بأمر الله؛ فملك الموت يقبض النفس، والله يخرجها من البدن، وما كان من ملك الموت فإنما هو بالله ومن الله، وبإذنه وأمره، وتقديره له وحكمه، وتقوية ملك الموت على ذلك في خلقه؛ ومعنى: ﴿وكل بكم﴾ فهو: أمر بقبض أنفسكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)﴾[السجدة: ١٢]

قال في الكتاب المذكور، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عما يكون من المجرمين في يوم الدين، من تنكيس رءوسهم يوم النشر؛ ووقت النشر: عند الحساب، وتنكيس الرؤوس فهو: فعال يفعله النادم المتحسر، الموقن بالعقاب المؤيس، من الثواب المستسلم المبلس.

ومعنى: ﴿عند ربهم﴾ فهو: عند المصير إلى آخرتهم، والوقوف بين يدي خالقهم، ومعنى: ﴿أبصرنا وسمعنا﴾ أي: أبصرنا ما كنا نكذب به بالمعاينة، وسمعنا بكل ما كنا نخبر به؛ فجاء كل ما كنا نسمع من قولك، وقول أنبيائك - على ما كنا نسمع سواء سواء. قولهم: ﴿فارجعنا﴾ يريدون: أي: ردنا إلى الدنيا؛ حتى نعمل غير الذي كنا نعمل؛ إذ كان عملنا في الدنيا أولا بورا، وهو اليوم - إذ قد عاينا - فقد أصبح عندنا معلوما مخبورا. ﴿إنا موقنون﴾، يقولون: إنا اليوم بكل ما كنا نكذب به من قبل مؤمنون؛ إذ قد رأيناه عيانا، وواقعناه إيقانا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)﴾ [السجدة: ١٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾؟

فقد يكون: أن يكشف عنها عماها، ويريها من آياته ودلائله عيانا -ما يحدث لها معرفة وإيقانا، لا يكون معه لها أجر، ولا يجب به لها ذخر؛ ويكون منها درك اضطرار، لا درك نظر ولا فكرة ولا اعتبار، وفي ذلك وبه: الجزاء والثواب، وعلى ترك ذلك وفي إغفاله: ما [١] يجب العقاب، وهو - وإن كان كذلك - فعلى ما وصفنا من ذلك؛ فهدى وبصيرة، وغير حيرة ولا ضلال، وفيه - إذا كان - ما أخرج أهله من الجهل بالهدى ومن الضلال.

وهذا - رحمك الله - فوجه من الهدى، لا ينكره ولا يجهله من أبصر واهتدى؛ وما كان لهذه الآية مشابها ونظيرا -فكفى بهذا الجواب فيه حجة وبرهانا منيرا.

---

(١) - لفظة: " ما " إما موصولة، أي: وعلى ترك ذلك وفي إغفاله ما يجب به العقاب، أو مصدرية، أو زائدة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وأما قوله سبحانه: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ -فكذلك الله سبحانه: لو شاء أن يجبر العباد على طاعته جبرا، ويخرجهم من معصيته قسرا -لفعل ذلك بهم، ولو فعل ذلك بهم، وحكم به عليهم -لم يكن ليوجد عقابا، ولا ليخلق ثوابا، ولكان الناس كلهم مصروفين لا متصرفين، ومفعولا بهم لا فاعلين؛ ولكنه سبحانه أراد: أن لا يثيب ولا يعاقب إلا عاملا، متخيرا مميزا؛ فأمر العباد ونهاهم، وبصرهم وهداهم، وجعل فيهم استطاعات، ينالون بها المعاصي والطاعات؛ ليطيع المطيع، فيستأهل بعمله وتخيره الثواب، ويعصى العاصي فيستوجب باكتسابه العقاب.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾؟

وكذلك الله تبارك وتعالى؛ يخبر عن قدرته، ويخبر أنه قادر على ذلك. والمعنى: أنه لو أراد أن يجبر الخلق على الاهتداء، ويدخلهم كلهم في الطاعة والهدى، بالقسر لهم فيه جبرا، والجبر لهم في ذلك قسرا -لفعل سبحانه بهم ذلك، حتى يكونوا في جميع الأمر كذلك، غير أنه سبحانه لم يرد إدخالهم في طاعته وهداه جبرا، ولم يرد إخراجهم من معاصيه جل جلاله قسرا؛ بل أمرهم سبحانه تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلفهم يسيرا، وأعطاهم على قليل كثيرا؛ أراد أن يطيعوه مختارين، بالاختيار لا بالجبر لهم، وكذلك معاصيهم بالاختيار منهم كانت فيهم ومنهم، لا بقضاء شيء من ذلك – سبحانه – عليهم؛ حكما من الحكيم الرحمن، ورأفة منه في ذلك لكل إنسان، وتمييزا منه بذلك بين أهل الطاعة والعصيان؛ ليستحق كل باختياره جزاء فعله، وليجد خيرا من قدم من خير أوشرا باختياره

غدا عند ربه؛ قطعا منه – جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله – لحجج خلقه عنه؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨)﴾ [السجدة: ١٨]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، والوليد بن عقبة، لما باهاه. رواه الحاكم، عن الحسن بن علي عليه السلام، وعن غيره.

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [السجدة: ٢١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل عن: العذاب الأدنى؟

فقال: هو: عذاب الدنيا، بما يكون فيها من حلول نقمة من أي النقم كانت، من: جوع، أو مخافة، أو سيف؛ والعذاب الأكبر فهو: عذاب النار في الآخرة؛ وبئس المصير.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩)﴾ [السجدة: ٢٨، ٢٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم

ولا هم ينظرون (٢٩)﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: كذلك حكم الله عز وجل في أعدائه: إذا جاء يوم الفتح عليهم، والنصر منه فيهم -لم تنفعهم عند العلو منه عليهم توبة، ولم يقالوا زلة؛ ألا تسمع كيف يذكر الله سبحانه عنهم في ما كانوا يقولون إذا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه بفتح: ﴿متى هذا الفتح إن كنتم صادقين (٢٨)﴾، يقولون ذلك للنبي عليه السلام وللمؤمنين؛ استبطاء منهم وتكذيبا به؛ فأخبرهم عز وجل: أن يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم عند الظهور عليهم؛ وهو فتح مكة الذي وعد الله عز وجل نبيه به عليه السلام. وقد قيل: إن يوم الفتح: يوم إهلاك الله عز وجل لهم، وإنزاله الموت بهم. وقد قيل أيضا: إنه: يوم القيامة. والقول الأول أصوب وأصح؛ لأنه إنما تقبل التوبة من قبل المقدرة؛ ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ [المائدة:٣٤]؛ فجعل التوبة لهم من قبل المقدرة، ولم يجعلها عند المقدرة عليهم، بعد رد الحق والصدق عنه. فلما كان السيف قائما، والحرب ثابتة -فليس إلا القتل لأعداء الله، فأما إذا وقعوا في الأسر فليس يحل قتلهم، ولا يسع عند الله سبحانه إهلاكهم، إلا أن يقاتلوا وهم مأسورون، فتحل بذلك دماؤهم. وفي قتال الظالمين سير مذكورة، وأخبار صحيحة؛ فمنهم من يقتل أسيره، ومنهم من لا يقتل، وكل ذلك بين عند أهل العلم والفهم، واضح عند من شرح الله صدره، ونور بالحكمة قلبه.

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)﴾ [الأحزاب: ٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم﴾، إلى قوله: ﴿غفورا رحيما﴾؟

فقال: هذه الآية نزلت في من كان يربي صبيا ويتبناه، كانوا يدعوهم بهم إلى من يتبناهم، ويذرون آبائهم، فيقولون:" فلان بن فلان "، فيدعوه إلى من رباه وتبناه، فنهاهم الله عن ذلك، ثم قال: فإن لم تعلموا آبائهم فادعوهم إخوانا وموا اليا، ولا تدعوهم أبناء؛ ومعنى: ﴿هو أقسط عند الله﴾ يريد: هو أعدل عند الله. ثم أعلم سبحانه: أنه لا إثم عليهم فيما أخطأوا به من ذلك، ومعنى: ﴿أخطأتم﴾ فهو: جهلتم الحكم من الله فيه، فالآن بعد أن نهيتم: فمن فعله فقد تعمده، ومن تعمده باء بإثمه؛ إذ قد نهاه ربه عن فعله.

قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(٦)﴾ [الأحزاب:٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، إلى قوله: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾؟

فقال: هذا تأكيد من الله سبحانه لحق رسوله صلى الله عليه وعلى آله، وتعظيم منه لقدره، فجعل الله نبيه صلى الله عليه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأحق ببعضهم من بعض؛ وكذلك قوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ فعلى هذا المعنى يخرج. وفي هذه الآية من تأكيد تحريمهن على غير النبي غاية ما يكون من التحريم فأراد بها: تحريمهن على كل مسلم بالحكم؛ إذ كان المسلم في الحكم: من أبنائهن.

ثم رجع الخبر إلى أولى الأرحام المسلمين، فجعلهم أولى بعقد نكاح حرماتهم، ووراثة أموالهم، من غيرهم من أحلافهم؛ وذلك: أنه كان يحالف بعض المؤمنين بعضا، فإذا حالفه على المناصرة والمعاشرة -انتسب بعضهم إلى بعض، وتوارثوا فيما بينهم كما يتوارث المتناسبون، فأنزل الله هذه الآية يخبر أن أولي الأرحام أولى بالموارثة والمناسبة، ممن يحالف من المؤمنين والمهاجرين. ثم قال: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾، والأولياء هاهنا فهم: المحالفون، يقول: لا بأس من أن توصوا لهم بعض الوصية، فأما أن تتموا لهم بما شرطتم عند محالفتهم لكم، من شروط الجاهلية في الموارثة والمناسبة -فلا؛ أولوا الأرحام أولى بذلك وأحق،

وحكم الله أنفذ من حكمهم في ذلك وأصدق. ومعنى: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ يقول: كان في حكم الكتاب من الله مثبتا واجبا.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾؟

الجواب: اعلم أن هذا القول إخبار من الله جل اسمه: أنه يعذب المنافقين على ما كان من نفاقهم. وأما قوله سبحانه: ﴿إن شاء﴾: فليس ذلك يخرج على سبيل الاستثناء، فيكون: إن شاء عذبهم، وإن شاء تاب عليهم بغير أفعالهم؛ بل مشيئته - جل وعلا -: عذاب من نافق وأساء، وكذلك فقد يشاء التوبة على: من اهتدى، وإنما يخرج قول الله: إن شاء على سبيل القدرة على الأشياء؛ فافهم ذلك؛ فليس ينكره إلا من كذب الوعد والوعيد، وتعلق بمتشابه الكتاب، والله يبطل قولهم، ويكذب دعواهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)﴾ [الأحزاب: ٢٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه الآية نزلت في اليهود، لما حاربوا النبي

صلى الله عليه وآله، وتظاهروا عليه، ومالئوا عدوه، فلما حاصرهم صلى الله عليه وآله، وحاربهم -أذلهم الله، وأنزلهم - كما قال - من صياصيهم - وهو: الإذلال (١) لهم والإرغام والقهر - غير طائعين، فكان إنزاله لهم من عزهم إرغاما، وإنما اشتقت الصياصي من النواصي؛ لأنه إذا أخذ بناصية الإنسان فقد بلغ ذله، وكذلك هؤلاء: هدم عزهم، وأذل خدودهم بالقهر لهم، فأذهب بذلك نخوتهم، وفرق أمرهم. وقد قيل: إن الصياصي: الحصون التي أخرجوا منها، وكانوا فيها. وليس هذا بمخرجها، ولا يجوز في اللغة؛ لأنه لو كان اسم الحصون صياصيا -لجاز أن يقال في الحصن الواحد:" صيصيا "، ولو قال ذلك قائل لخرج من المعنى، فلما لم يجر على ذلك صح أنها ليست الحصون، والمعنى الأول أصوب وأحسن في التأويل؛ والدليل على أن الصياصي مشتقة من النواصي: أن العرب تسمى قرون الأوعال والبقر: صياصي، وقد قال بعض العرب: يسمى شوامخ الجبال " صياصي "؛ لعلوها وامتناعها، وقد قال الشاعر:

وهم ستة شمخ الصياصي كأنها ... مجللة حق عليها البراقع (٢)

---

(١) - أي: كناية عن الإذلال...؛ إذ سيأتي له عليه السلام ما يفيد به أنه: العلوُّ.

(٢) - الذي في كتاب الأغاني للأصفهاني (١٨/ ٥٥) (ط: دار الفكر) بلفظ:

ومَوْشِيَّةٌ سُحْمُ الصّياصِي كأنَّهَا ... مُجَلَّلةٌ حُوٌّ عليها البراقعُ

وقال بعد ذلك:

والموشية يعني: البقر، والصياصي: القرون، واحدتها: صيصية، والمجللة: التي كأن عليها جلالا سودا، والحوة: حمرةٌ في سواد.

قوله تعالى: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)﴾ [الأحزاب:٣٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾؟

فقال: هذا تأديب من الله سبحانه لنساء نبيه؛ كرامة لمحمد صلى الله عليه وعلى آله، وحياطة من الله له في حرمه، وأمرهن أن لا يخضعن بالقول؛ والخضوع فهو: الكلام اللين الذي يقع فيه المزاح، والمعاتبة بين النساء والرجال؛ فأمرهن ألا يفعلن ذلك كما يفعله غيرهن، فيطمع الذي في قلبه مرض، يقول: يطمع فيكن بما يطمع به في غيركن من المنكر. والمرض فهو: الفسق، والقول المعروف الذي أمرن به فهو: القول الحسن لمن خاطبهن أو كلمهن، الذي ليس فيه خضوع يطمع به الفاسق، ولا سبب يطمعن به المنافق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾ [الأحزاب: ٣٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام، في سياق بيان من هم أهل البيت عليه السلام:

وقد أعلم أن جهالا من الناس يزعمون أن الله إنما أراد بهذه الآية: أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة؛ فانظر في القرآن: فإن كان إنما جعل أهل

الأنبياء أزواجهم في الكتاب الذي أنزله عليهم فصدقوه، وإن كان سمى للأنبياء أهلا سوى أزواجهم، فما هذه الجهالة بأمر الله؟! أرأيت نوحا ولوطا عليهما السلام حيث أمرا بترك امرأتيهما، أليس قد كان أهلهما سواهما؟ قال عز وجل لنوح: ﴿احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ [هود: ٤٠]، وقال: ﴿وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين﴾ [الصافات: ١٣٣ - ١٣٥]، وقال ليوسف عليه السلام: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك﴾ [يوسف: ٦]: أفترى أن آل يعقوب إلا النساء؟! ثم قال: ﴿سلام على آل ياسين﴾ [الصافات: ١٣٠]، وقال لإسماعيل عليه السلام: ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ [مريم: ٥٥]، وقال تعالى في الصفوة: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ [هود:٧٣]: أفترى أن الله تبارك وتعالى أراد بهذه الصفوة، وما ذكر من أهل الأنبياء: نساءهم؟! أم رأيت موسى صلى الله عليه حين يقول: ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي﴾ [طه: ٢٩]: أهله الذي سأل منهم الوزير أزواجه؟!

(إلى أن قال:)

وأما الآية التي ذكر الله فيها التطهير فإنما هو بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أهله وذريته، وإنما قال: ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾، ولم يقل: إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس، ثم قال: ﴿يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فلم يفضلهن على أحد من النساء بآبائهن، ولا بأمهاتهن، ولا بعشيرتهن؛ ولكن إنما جعل الله الفضل لهن لمكانتهن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فكيف لا يكون لأهل بيته الفضل على بيوت المسلمين، ولورثته على ورثتهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

هو جدنا، وابن عمه المهاجر معه أبونا، وابنته أمنا، وزوجه أفضل أزواجه جدتنا، فمن أهل الأنبياء إلا من نزل بمنزلتنا من نبينا صلى الله عليه وآله، والله المستعان... (إلى آخر كلامه عليه السلام)

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾؟

فقال: الرجس: الفعل الردي النجس، من المعاصي والأدناس، والأسفاه التي تكون في بعض الناس؛ فأمر الله سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أهل بيته بتقواه وطاعته، وترك الرجس من جميع معصيته، بما أذهب عنهم من كل رجس أو دنس، وبعدهم به من كل معصية ونجس، وطهرهم - كما قال الله سبحانه - تطهيرا، وجعل لهم بما نزل فيهم من هذه الآية ذكرا عليا، وشرفا كبيرا.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

الذي يدل على صحة ما نذهب إليه، من أن المراد بقوله تعالى: ﴿أهل البيت﴾ الحسن والحسين -عليهما السلام-، وأولادهما دون غيرهم -وجهان:

أحدهما: ما نعلم من هذه اللفظة إذا أطلقت، فقيل:" قال أهل البيت، وفعل أهل البيت "، لم يسبق إلى أفهام السامعين إلا من ذكرنا، من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام دون غيرهم، وكل لفظة تسبق إلى فهم السامعين معنى فهي حقيقة فيه، سواء كانت شرعية أو لغوية أو عرفية؛ ألا ترى إذا قيل: فلان يصلي، سبق إلى فهم السامعين من أهل الشرع: أنه يفعل الأفعال المخصوصة، ويذكر الأذكار المخصوصة، فيعلم أن لفظ الصلاة الآن حقيقة في ذلك دون غيره؛ وهذا حكم سائر الحقائق، وبذلك يقع الفرق بين الحقيقة والمجاز؛ لأن المجاز لا يسبق معناه إلى الفهم، ولا يعلم إلا بقرينة؛ فثبت أن هذا اللفظ حقيقة

فيهم عليهم السلام، مجاز في غيرهم من نسائه وسائر أقاربه؛ وخطاب الحكيم يجب حمله على الحقيقة دون المجاز قولا واحدا.

وثانيهما: إجماع أهل النقل على اختلاف مذاهبهم وأهوائهم من العلماء: أنهم المرادون بهذه الآية دون غيرهم، ممن ذكرنا، حتى رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقام مدة يقف على باب علي عليه السلام، فيقول: ((السلام عليكم أهل البيت؛ ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا(٣٣)﴾))؛ فهذا تصريح كما ترى بأنهم المرادون بذلك دون غيرهم، فصح ما قلناه.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون المراد بذلك علي وولداه عليهم السلام، دون أولاد ولديه عليه السلام، إلى تقضي الأعصار؟.

قلنا: أنكرنا ذلك لوجهين:

أحدهما: ما قدمنا من الدلالة أن هذا اللفظ حقيقة فيهم، في جميع الأعصار؛ لسبقه إلى الأفهام عند الإطلاق، فكلام الحكيم يجب حمله على الحقائق؛ لأن القول بغير ذلك يؤدي إلى اطراحه، وذلك لا يجوز.

وثانيهما: أن هذا القول خارج عن أقوال الأمة، فلا يجوز إحداثه؛ لأنه يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة؛ ألا ترى أن الناس في هذه الآية بين قائلين: قائل يقول: هم المرادون بذلك، ويشرك معهم أزواجه وأقاربه، وقائل يقول: المراد بذلك علي وولداه وأولادهما إلى انقطاع التكليف، فقد أدخلهم الفريقان كما ترى، فمن أخرج أولادهما من ذلك -فإنا نقول: إنه قول خارج من أقوال الأمة، وذلك لا يجوز بالاتفاق.

وقال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب الجواب الرائق في تنزيه الخالق:

اعلم أن أهل البيت هم أهل الكساء، والقصة مشهورة، وهو: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين، وحفهم بكساء فدكي، وقال: ((اللهم إن هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهير))، فالآية وإن كانت محتملة لدخول زوجاته فيها؛ لأنها وردت عقيب حديث الزوجات؛ لكن هذا الخبر الذي رويناه يزيل تلك الاحتمالات، ويقصره على ما ذكرناه؛ فلهذا وجب حمله عليه؛ لأن في حمله عليه جمعا بين الآية والخبر، والدلالة والعمل، ونحن لو حملنا الآية على دخول الزوجات لكان إبطالا لدلالة الخبر.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾[الأحزاب: ٤٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾، إلى قوله: ﴿بكل شيء عليما﴾؟

فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ربى زيد بن حارثة، وغذاه وتبناه، كما كانوا يفعلون أولا، فكانوا يسمونه قبل الإسلام زيد بن محمد، وفي طرف من الإسلام، حتى كان من أمر زينب بنت جحش مرأة زيد ما كان، من تزويج الله نبيه إياها، فقالت قريش: تزوج محمد مرأة ابنه؛ فأنزل الله سبحانه في ذلك ما تسمع، ينفي أن يكون ربى ابنا ممن لم يلد ولم يرضع -يثبت نسبه أو تحرم على المربي له زوجته، وأمرهم بما أمرهم في الآية الأولى، من أن يدعوهم لآبائهم؛ فحرم عليهم أن يدعوهم إلى من يربيهم ويتبناهم.

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)﴾ [الأحزاب: ٤٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ فمعناه: ملكهم يوم يلقونه سلام، أي: سالم من كل شانية؛ لأن التحية هي الملك، وذلك ظاهر في اللسان العربي؛ قال الشاعر:

ولكل ما نال الفتى .... قد نلته إلا التحية

والهاء في: ﴿يلقونه﴾ عائدة إلى الملك، لا إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأحزاب: ٥٠، ٥١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

هذه ميمونة الهلالية، وهبت نفسها للنبي صلوات الله عليه وآله، فأجاز الله ذلك له من دون المؤمنين، وجعلها خالصة له وخاصة من دون المسلمين. ومعنى قوله: ﴿ترجي﴾ فهو: تترك وتقصي من شئت منهن، ﴿وتؤوي إليك﴾ من شئت، يقول: تدعو وتخلو بمن أحببت منهن، وذلك: أن الله أمره أن ينحيهن كلهن عنه إلى دار معتزلة عنه، ويكون هو في دار على حدة، فإذا أراد منهن واحدة أرسل لها فدعاها، وإذا لم يرد واحدة أرجأها، وكان ذلك أحب إليهن، وأقر لأعينهن من أن يغشى واحدة إلى منزلها أكثر مما يغشى منازلهن، فعرفه الله

سبحانه ما فيه الرشاد له ولهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسئل عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾؟

فقال: صلاة الله - لا شريك له - هي: البركة والثناء، وكذلك صلاة الملائكة والمؤمنين فهي أيضا: البركة والثناء، والدعاء من الثناء، ومثل ذلك قول الله - لا شريك له -: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ [التوبة:١٠٣]، وصلاته عليهم صلى الله عليه وآله وسلم هي: دعاؤه لهم، وثناؤه عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

يعني: أولياء الله؛ نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وتصديق ذلك ما رويناه عن زيد بن علي، بإسناده إلى علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من آذى شعرة منك فقد آذاني))، الخبر بطوله. ونظيره ما رويناه عن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من أحبك فقد أحبني،... إلى آخره)).

قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الجلابيب: المقانع التي يسترن بها وجوههن وشعورهن؛ يقول الله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾، يعني تبارك وتعالى: ﴿ذلك أدنى﴾: أحرى وأشبه بأن يعرفهن السفهاء والأشرار، ويعلمون بما يصرن إليه من الخفاوة والاستتار، فيعلمون - لما يرون في ذلك من حالهن -: أنهن لا يردن التبرج ولا الزينة، ولا إطماع أهل السفه والفجور في أنفسهن، فلا يؤذيهن الفجار بكلام في فحش، ولا يتعرض لهن بقول رديء محرم موحش.

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾ [الأحزاب: ٦٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾؟

فقال: هذا نهي من الله سبحانه عن أذية الأنبياء، والاجتراء عليهم في سبب من الأسباب أو معنى. وقد قيل: إن الذين آذوا موسى صلى الله عليه هم الذين قالوا:" ساحران تظاهرا "؛ فنسبوا إليه وإلى أخيه السحر، فبرأه الله من ذلك بما أفلج من حجته، وأظهر من حقه، عند تلقف عصاه إفك السحرة، وإبطال الله لسحرهم،

وتبيينه لفضيحتهم. وقد قيل: إنه السامري ومن تبعه على دينه من خاصته حين عمل العجل، وقال لبني إسرائيل:" هذا إلهكم وإله موسى "؛ فبرأه الله من ذلك عند من اختدع، بما أظهر موسى في العجل من التحريق والنسف له في اليم.

فكلا المعنيين حسن؛ إذ كان كلا الفريقين له مؤذيا؛ والآخر أحسنهما عندي في المعنى؛ إذ كان أهله من قبل كفرهم بموسى مؤمنين، ولرب العالمين عابدين، ثم ذكروا في موسى ما ذكروا، من بعد معرفتهم بالحق، وبعدهم من الكفر والفسق؛ فنهى الله المؤمنين: أن يفعلوا كفعل أولئك الإسرائيليين في الأذى لمحمد صلى الله عليه وآله، في أي وجوه الأذى كان، ثم أخبر ذو الجلال والإكرام: أن موسى عليه السلام كان عند الله وجيها. ومعنى:" وجيه " فهو: كريم معظم مقدم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب: ٧٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت - وفقنا الله وإياك لمرضاته، ولعلم ما أوجب الله علينا وعليك علمه من آياته - عن قول الله - جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾: ما وجه ما أراد الله بذلك من المقال، ومن أين جاز أن يقال: أبين وأشفقن السماوات والأرض، وهن موات لا ينطق، وشيء لا يأبى ولا يشفق ؟

فقد يحتمل وجه ما أراد الله تبارك وتعالى بذلك وتنزيله: ما أبانه الله من تظليم

الإنسان بما بناه الله عليه، من تبيينه للخيانة في الأمانات والتأدية ما [١] صغر حليته في الخلقة والتركيب، من قدر ما ذكر الله من الخلق العجيب؛ وأنت - رحمك الله - فقد تعلم أنك لو عرضت بفكرك، وفي تقديرك ونظرك، فضلا عما قد تعلمه يقينا بقلبك، على ما قد تعرفه من السماوات -أمانة من الأمانات -لما حملتها، ولا شيئا منها؛ إذ كن عندك في علمك غير ناطقات، وهن فإذا كن كذلك فهن لحمل الأمانات غير مطيقات، فإذا كن من ذلك - لنفس خلقهن، وما بنين عليه من ضعفهن - ممتنعات: أفضل مما يقول به منها قائل، أو يتحير من علمائها عالم.

وقد يحتمل أيضا: أن يكون إنما أريد السماوات والأرض والجبال: أهلهن، ومن جعل ساكنا لهن مما ينطق، ويأبى ويشفق، كما قال إخوة يوسف: ﴿واسأل العير﴾، وليسوا يريدون: إبلها؛ فهذا وجه من الوجوه، ليس بسيء ولا مكروه، مفهوم معقول، يجوز بمثله في العرب القول.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

أراد تبارك وتعالى: أنه لو كان في السموات والأرض والجبال من الفهم والتمييز ما في الآدميين، ثم عرض عليها ما عرض على الآدميين، من حمل الأمانات التي قبلها الآدميون -لأشفقت السموات والأرض والجبال من حملها، ولما قامت بما يقوم به الآدمي من نقضها، مع ما في الأمانة من الخطر وعظيم الأمر، على من لم يؤدها على حقها، ويقم بها على صدقها.

والأمانة على صنوف شتى، فمنها: قول الحق وفعله، ومنها: أداء الشهادة على وجهها، ومنها: أداء الحقوق إلى أهلها، من الأنبياء المرسلين، والأئمة الهادين، ومنها: الودائع من الأموال وغيرها، ومنها: العقود التي قال الله تبارك وتعالى

---

(١)- هكذا في الأصل المنقول منه، ولعل فيه نقصاً، ولعل لفظ الكلام:" والتأدِيَةِ مما [أو ممن] صَغُرَ حِلْيَتُهُ في الخلقة والتركيب من قدر... "، وقوله:" من قدر ما ذكر الله..." متعلِّقٌ بقوله:" صَغُرَ ".

فيها، وفيما عظم من خطرها، وأجل من أمرها: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١]؛ فكل ما ذكرنا فهو أمانة عند العالمين، واجب عليهم تأديتها عند رب العالمين.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾؟

قال: قد يخرج معنى هذا على طريق المثل: أنه لو كان في السموات والأرض والجبال من الفهم والعقل، والتمييز والمعرفة، ما في الإنسان -لأشفقن من حمل إثم الأمانة وتقلدها. والأمانة فهي: أمانة الله التي استودعها خلقه، وعقدها في رقابهم، من أداء حقه، والقيام بأمره، وأخذ الحق وإعطائه، ومن ذلك: أمانات الخلق فيما بينهم، وما يتظالمون به، ويجترون على الله به، فيما يقولون؛ لو كان في السموات والأرض والجبال من التمييز ما في الإنسان -لأشفقن مما تقلده الإنسان، فدخل فيه، من أداء الأمانة، والجزاء على الظلم فيها، والتقلد لها.

وقال عليه السلام في موضع آخر منه:

هذا مثل مثله الله تبارك وتعالى، يريد سبحانه: أنا لو جعلنا في السموات والارض تمييزا وفهما يفهمن به قدر الأمانة، ثم عرضت عليهن الأمانة -لأبينها، وأشفقن منها. ومعنى عرض الأمانة عليهن فهو: التكليف لحمل موثقها، يقول: لو كلفناهن حمل وثائق الأمانة لأشفقن من نقضها، وأشفقن من خيانة ما فيها، ولم يفعلن - بعد المعرفة والتمييز لها - ما يفعله الإنسان من الإقدام على نقضها، والغدر بمؤكدات مواثيقها، وحمل إثمها، وجليل سخط الله في نقضها. وحمل الإنسان لها فهو: حمل إثم الغدر بها، والارتكاب لسخط الله فيها. ﴿إنه

كان ظلوما جهولا﴾، يقول: إن الإنسان ظلوم لنفسه، جهول في الإقدام على معاصي الله، بما عليه في ذلك عند الله.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

السموات والأرض والجبال فإنما هي: أجسام جمادية، لا سمع لها ولا بصر، ولا عقل ولا شفقة، ولا طاعة ولا معصية؛ وإنما مثل ضربه الله عز وجل للناس، يريد به: أنها لو كانت تعقل كما يعقلون، وتفهم كما يفهمون -لما حملت الأمانة كما حملتموها، ولأشفقن منها.

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥)﴾ [سبأ: ٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾؟

فقال: معنى: ﴿سعوا في آياتنا﴾ هو: طغوا عليها، وكذبوا بها؛ فهذا سعيهم فيها، ومعنى: ﴿معاجزين﴾ فهو: مضادين محادين، ولما أمروا به من الطاعة مخالفين؛ والرجز فهو: نقم الله وإخزاؤه، وما يحل بأعدائه، فيقول: لهم عذاب من انتقام الله أليم؛ والأليم فهو: الشديد العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾ [سبأ: ١٠]

قال في الكتاب المذكور، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه

والطير وألنا له الحديد﴾؟

فقال: معنى: ﴿منا فضلا﴾ فهو: نبوئتنا التي آتيناه إياها ووحينا، وما جعلنا في الجبال والطير، من التأويب في الجبال، ومقاربة الطير له، وما ألنا له من الحديد، وما علمناه من عمل السابغات، وهديناه له من التقدير في السرد، حتى عمل جننا تقيه البأس، وتفل عنه حد بغاة الناس. ومعنى: ﴿أوبي﴾ فهو: ما جعل الله في الجبال من ذلك، وركبها عليه من التركيب، كانت كذلك، وهو: الصوت الذي يجيب المصوت من الجبال والاصداح: إذا كان الرجل بين جبلين نادى بشيء أو تكلم به -أوبت الجبال بالرد عليه بمثله. ويقال: إن هذا الذي في الجبال من التأويب - وهو الذي تسميه العرب أيضا: الصدى - شيء لم يكن قبل داود عليه السلام، وأن الله جعله في ذلك الوقت في الجبال وقدره؛ لكرامة داود، ثم أبقاه إلى اليوم فيها؛ ليكون ذلك ذكرا لما أكرم الله به داود؛ والله أعلم بذلك وأحكم. ومعنى قوله: ﴿والطير﴾ فهو: رد على الأمر، ومعنى أمره الطير فهو: إلهامه إياها ما أراد من مقاربة داود، واحتواشها له، وكينونتها قربه؛ كل طير يصوت بصوته الذي جعله الله له، مع صوت داود صلي الله عليه، فكان داود يبكي، ويدعو الله ويناجيه ويناديه، والجبال فتأوب وترد بمثل صوته وكلامه عليه، والطير تصوت من حواليه، حتى بلغ صلى الله عليه إرادته من رضى ربه، وإخلاص التوبة الى خالقه، ورجوع كرامة الله إليه، وحلولها من الله تعالى لديه. ﴿وألنا له الحديد﴾، فمعنى إلانة الحديد له فهي: خاصة كان الله خصه بها، فكان الحديد كما لين الشمع بلا نار، ولم يكن الحديد يلين لأحد قبله إلا بالنار، فلان له هو بلا نار؛ فهذا معنى: ﴿وألنا له الحديد﴾. ثم هداه لعمل السابغات، والسابغات فهي: الدروع الطوال السابريات، ﴿وقدر في السرد﴾، معناه: قدر في تأليف الحلق بعضه إلى بعض وتسويته، وتقدير ثقبه وسمره [1]، فكان صلى

(١) - أي: وَسَمْرِهِ بِالمِسْمَارِ.

الله عليه أول من عمل الدروع، وهدي إلى عملها، ووفق لتقديرها.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾[سبأ: ١٢، ١٣]

وفيه أيضا، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر﴾ إلى قوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾؟

فقال: هذا ذكر من الله سبحانه لما أعطى سليمان صلى الله عليه، من تسخير الريح له، وائتمارها بأمره، ولسيرها به وبمن أراد: شهرا في غدوته، وشهرا في روحته، فكانت تسير كذلك به، تحمله ومن أحب من عسكره. ﴿وأسلنا له عين القطر﴾: أذبنا له عين القطر، والقطر فهو: النحاس؛ فأذابه الله وأخرجه، ومكنه منه وسهله، حتى كان يعمل منه كما يريد، تماثيل وجفان وغير ذلك من آلات الصفر[١]. ثم أخبر بما سخر له من طاعة الجن، وأمرهم به من اتباع أمر سليمان، فكانوا يعملون له كما ذكر الله، مما كان يأمرهم به. ثم أخبر أن من عصى الله بمعصية سليمان منهم فزاغ -أذاقه الله العذاب الذي أوجبه على العصاة منهم.

(١) - قال في القاموس المحيط وشرحه تاج العروس:" (والصُّفْرُ بالضّمِّ : من النُّحَاسِ) : الجَيِّد. وقيل : هو ضَرْبٌ من النُّحَاسِ. وقيل : هو ما صَفرَ منه. واحدتُه: صُفْرَة، (وصانِعُه: الصَّفَّارُ). الصُّفْرُ: (الذَّهَبُ) ". والمراد هنا: النحاس.

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾، والمحاريب فهن: محاريب المساجد وبناؤها. ﴿وتماثيل﴾، والتماثيل فهي: التماثيل التي كانت الشياطين تعملها لسليمان عليه السلام، تمثل له كلما أراد من الصفر والزجاج والحجارة وغير ذلك، ومثل ما مثلت من صرح صاحبة سبأ، وأشياء كثيرة معروفة، وهي اليوم ظاهرة موجودة في الدنيا، بالشامات وبمصر وفي بيت المقدس. والجفان فهي: هذه الجفان المعروفة، التي يكون فيها الماء والطعام، فكانت تنحتها له من الصخور، وتعملها من الصفر على ما ذكر الله من العظم والكبر كالجواب. والجواب فهي: الحفر الكبار، تسمي العرب الحفرة الكبيرة: جوبة من الأرض، وفي الأرض. والجواب فهي: جمع الجوبة الواحدة. ﴿وقدور راسيات﴾، فالقدور هن: البرام [(١)] التي يطبخ فيها؛ فكانت تعملها من الصفر على غاية ما يكون من العظم، حتى كانت راسيات؛ والراسيات فهي: التي لا يحركها لكبرها إلا الخلق الكثير، فهي لثقلها راسية على أرضها، ثابتة في مكانها، قائمة بأثافي [(٢)] منها، مفرغة [(٣)] فيها، توقد النار من تحتها ومن حولها إذا أريد أن يطبخ شيء فيها؛ فلثباتها مكانها سميت راسيات؛ إذ كانت لثقلها في المكان متروكات. ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾، يقول: اعملوا لله شكرا على ما أعطاكم، وخصكم به دون غيركم وأولاكم. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، يقول: قليل من عبادي من إذا أنعمت عليه بنعمة من نعمي كان شاكرا فيها لي، أو قائما بما يجب فيها من حقي، فلا يكونوا في ذلك كمن ذمها بقلة الشكر من أولئك.

---

(١) - قال في القاموس المحيط: البُرْمَةُ، بالضم: قِدْرٌ من حِجارَةٍ ج: بُرْمٌ، بالضم.
(٢)- قال في القاموس المحيط: الأُثْفِيَّةُ، بالضم وبالكسر: الحَجَرُ تُوضَعُ عليه القِدْرُ. ج: أَثَافِيُّ وأثافٍ.
(٣) - في نسخة: مفرَّعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾[سبأ: ١٤]

وفيه أيضا، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته﴾؟

فقال: معنى: ﴿قضينا﴾ هو: أوقعنا عليه الموت. ﴿إلا دابة الأرض﴾ فهي: الأرضة التي تأكل العيدان حتى تكسرها؛ فأخبر أنه لما أن قضى عليه الموت لم تدل الشياطين ولا الآدميين على أنه ميت عليه السلام إلا هذه الدابة التي أكلت منسأته، حتى انقطعت فسقطت، فلما سقطت خرت جثته ساقطة؛ لأنها كانت إلى المنسأة مستندة، وعليها متكئة، فلما انقطعت المنسأة سقطت الجثة، فتبينت الجن عند ذلك أنهم لو كانوا يعلمون شيئا من الغيب لعلموا بموته، فلم يلبثوا في العذاب من العمل والكد مذ مات، إلى أن خر حين قطعت الدابة منسأته؛ والمنسأة فهي: العصا التي كان متكئا عليها، قائما إليها، مستندا من الجدار إليها، قد وضعها في صدره، وشد عليها بكفه، وهو قائم في محرابه، ثابت في مقامه، فأتاه الموت وهو على تلك الحال، فلم يزل حتى كان ما ذكر من الخبر عنه ذو العزة والجلال.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)﴾ [سبأ: ١٦- ١٩]

وفيه أيضا، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾، إلى قوله: ﴿لكل صبار شكور﴾؟

فقال: هما: جنتا مأرب، كانتا كما ذكرهما الله، فكفر أهلها أنعمه، فأذهبهما، وأبدلهم مكانها ما ذكر، من هذا الخمط والأثل والسدر؛ والخمط فهو: ألفاف الشجر والشوك، والأثل فهو: هذا الأثل المعروف، الذي يسمى: الطرفاء، والسدر: فمعروف، يسمه أهل اليمن: علوبا؛ وسيل العرم فهو: السيل الغالب، الشديد الكثير، أرسله على الجنتين فقلعهما، واحتمل حجارتهما، وإنما سمي العرم؛ لأنه اشتق له من العرامة، والعرامة فهي: الصعوبة في الشيء، والإتعاب لما داناه، فلما أتعب السيل ما داناه -شبهه بذلك، فقيل: سيل العرم؛ لشدة بأسه، وتعب ما يلقى منه الشجر وغيره. والقرى التي بورك فيها فهي: قرى الشام ببيت المقدس. وقد كان منهم: ما ذكر الله سبحانه من سؤالهم وطلبتهم البعد ما بينهم، فصاروا يطلبون المرافق التي كانت حاضرة في جنتهم على البعد منهم. والقرى الظاهرة التي بينهم وبين الأرض المباركة فهي: هذه القرى المباركة، والمناهل والمدن التي بينهم وبين الشام. وتمزيقه لهم فهو: ما كان من خروج أهلها بعد خرابها إلى آفاق البلاد، وقد

قيل: إن بقيتهم اليوم بجبلي طي، وتلك النواحي.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)﴾ [سبأ: ١٧]: قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾، فقلت: أرى الجزاء ليس هو إلا للكفور وحده؟

قال أحمد بن يحيى صلوات الله عليه: هذا من الإضمار الذي ذكرت لك في القرآن، والمعنى فيه: وهل يجازى بالعقوبة إلا الكفور؛ ومثله من الإضمار: ما ذكرت في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾، ولم يذكر بعده شيئا؛ والإضمار مشهور في لغة العرب، قد قدمنا ذكره في هذه المسائل بما فيه الكفاية إن شاء الله، ومن ذلك قول الأعشى البكري:

أقول لما جاءني قوله ... سبحان من علقمة الفاخر

يريد: سبحان الله، فأضمره ولم يذكره.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)﴾ [سبأ: ٢٤]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، فقلت: إن قال لنا قائل: هذا القول يوجب [الشك][(١)]، فما الرد عليه؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: هذا على المداراة وحسن المعاملة، كما يقول الرجل لصاحبه:" والله إن أحدنا لكاذب "، وهذا من إنصاف الكلام؛ لأن أقبح

---

(١) – ما بين القوسين من هامش النسخة المنقول منها.

منه: إنا لعلى الهدى، وأنتم على الضلالة؛ لأنه قال عز وجل: ﴿ودع أذاهم﴾، فكان هدى لحد الإنصاف وجميل القول.

قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]

قال في الكتاب المذكور:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾، فقلت: كيف مكر الليل والنهار، وهل لهما مكر؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنما عنى تبارك وتعالى: مكرهم بالليل والنهار، الذي حاق بهم، ولو كان مكر الليل والنهار الذي حاق بهم: بأنفسهما – لم يجز في العدل أن يؤاخذهم بفعل غيرهم؛ وهذا جائز في لغة العرب؛ يقول الرجل:" أكل الليل يضر بي، وشرب الليل يتعبني، وسهر الليل يعييني "، وإنما المعنى في ذلك كله: أنه يقول: أكلي بالليل، وشربي، وسهري، لا أن لليل فعلا يطالب به الآدمي؛ قالت خنساء الأسلمية، تذكر ناقة فقدت ولدها، وأن جزعها على أخيها صخر كجزع الناقة على ولدها:

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

تقول: إنما الناقة مقبلة ومدبرة؛ فصيرتها: إقبالا وإدبارا، ومثله قول أعشى بكر:

جيادك في الصيف في نعمة ... تصان الجلال وتعطى الشعيرا

يريد: تصان بالجلال؛ فأضمره.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [سبأ: ٣٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾؟

فقال: معنى: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ هو: يوسع على من يشاء في رزقه، ﴿ويقدر﴾ فهو: يقدر لمن يشاء مقدار رزقه وقوته، لا يبسط له من السعة في الرزق - والرزق فهو: المال - ما يبسط لغيره؛ تدبيرا منه سبحانه وتقديرا، ولطفا منه للكل وتدبيرا، وكل قد فعل به من ذلك ما هو خير له وأصلح، في المعاني كلها عاجلها وآجلها.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)﴾ [سبأ: ٤١]

في المجموع المذكور، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن: من أطاع الشياطين في الدنيا واتبعهم، وجرى في إرادتهم، وإفك وساوسهم؛ فأخبر أنهم يقفون من ذلك في الآخرة، ويزعم أنه كان يتولى الله دونهم؛ فأكذب الله قولهم، وأخبر أنهم كانوا يعبدون

الجن من دون الله؛ وعبادتهم للجن فهي: طاعتهم لهم، وطاعتهم لهم فهو: اتباعهم لوساوسهم، وقبولهم لما كانت الشياطين توسوس به لهم؛ لأن من أطاع شيئا فقد عبده؛ لأن أفضل العبادة: الطاعة لله، كانت عبادة العابد له أو لغيره سبحانه من الإنس والشياطين. ومعنى: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ فهو: مصدقون؛ لأن الإيمان هو: التصديق، من صدق شيئا فقد آمن به، ومن أنكر فقد كفر به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾ [سبأ: ٤٥]

وفيه أيضا، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله: بما كان ممن كان قبل قريش، ممن بعث إليه الرسل، فكذب كما كذبت قريش، فنزل بهم من نقم الله ما نزل بهم؛ فأخبر بذلك سبحانه عنهم تخويفا، وإعذارا وإنذارا إلى قريش؛ ليحذروا ما نزل بغيرهم، قبل أن ينزل بهم. فأما قوله: ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ فإنما يريد بذلك: بأن قريشا لم تنل في المقدرة والجدة، وسعة الأموال والطاعة -معشار ما أوتي الذين أخذوا بتكذيب رسلهم. معنى: ﴿فكيف كان نكير﴾ يقول: كيف كان تغييري عليهم، وأخذي لهم على فعلهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)﴾ [سبأ: ٤٩]

وفيه أيضا، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾؟

فقال: معنى: ﴿جاء الحق﴾ فهو: وقع الحق، وحق الوعد. ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾، يقول: ما يبدئ الباطل أمرا ينفع أهله في شيء من أمرهم. ﴿وما يعيد﴾، يقول: ولا يعود نفعه عليهم، ولا ضره على عدوهم.

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [فاطر: من آية (١)]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل عن: قوله: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾؟

فقال: معنى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾، أي: يكون الرجل واحدا، ثم يكونوا من بعد ذلك خمسة أو ستة، أو أكثر من ذلك؛ فهذه الزيادة التي ذكر الله تبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

أي: من كان يريد علم العزة لمن هي؛ فإنها لله تعالى.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

إن سأل سائل ذو حيرة عن: قول الله عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، وتوهم: أن الله تبارك وتعالى ارتفع في مكان دون الأماكن، وعاب من قال: إن الله بكل مكان، وقال: أيصعد من الله إلى الله؛ إذ

قال إنه في السماء، وفي الأرض؟

فجوابنا في ذلك: أن الله تبارك وتعالىٰ في الأماكن كلها، مدبر لها حافظ قائم عليها، لم تحوه ولم تحط به، ولا نقول يصعد منه إليه، فنصفه بالغاية والتحديد، وأنه سبحانه في مكان دون مكان؛ ولكنا نقول: إن الله تبارك وتعالىٰ خلق ملائكته، وتعبدهم بما شاء، فكلف بعضهم نقلة الأخبار من السماء إلىٰ الأرض، ونقلة الأخبار من الأرض إلىٰ السماء، وأنه خلق السماء فأسكنها ملائكته لعبادته، بعضهم ينسخ أعمال الآدميين، ووكل بعضهم رقيبا وحافظا علىٰ الملائكة التي وكلت بنسخ أعمال الآدميين، وكذلك قالت الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤]، أي: ما وكلوا به من صنوف التعبد، وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، معناه في الآية الأخرىٰ: مثل قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إني ذاهب إلىٰ ربي سيهدين﴾ [الصفات: ٩٩]، ولم يبرح الأرض في حال ذهابه إلىٰ ربه، وقد كان الله معه، وقد قال لكليمه موسىٰ وأخيه هارون صلىٰ الله عليهما: ﴿إنني معكما أسمع وأرىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وذهاب إبراهيم صلىٰ الله عليه إلىٰ ربه، في الحالة التي ربه معه فيها، وإنما معناه في ذهابه إلىٰ ربه: توجهه إليه بعبادته، وتشاغله عما سواه. وكذلك توجيه الملائكة بصعود أعمال العباد إلىٰ الموضع من السماء الذي تعبدت به، ولتصعد بأعمال العباد إليه، وإنما توجهت بتلك العبادة إلىٰ الله، كما ذهب إبراهيم إلىٰ ربه، بمعنىٰ: توجهه بعبادته إليه.

ووجه آخر في الصعود هو: القبول لذلك؛ لأنك تقول لا يصعد إلىٰ الله هذا الكفر، ويقال: قد نسخت الملائكة أعمال الكافرين، وصعدت بها إلىٰ الله، وهو لا يقبلها، ولا تصعد إليه أعمالهم، بمعنىٰ: لا يقبلها، وكذلك قال الله عز وجل: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ بمعنىٰ: إنما يقبل الله الكلام الطيب بالعمل الصالح.

فإن لج السائل بالشغب، فقال: أيصعد من الله إلىٰ الله ؟!

قيل له: لا؛ ولكن يصعد الكلم الطيب من المكان الذي لا يخلو منه الله، إلى السماء التي فيها الله.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾ [فاطر: ١٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه: بأن الأمر كله والحكم له وبيده، وأن كل من يدعى من دونه لا يملك قطميرا، والقطمير فهو: الأمر الصغير الحقير، الذي لا يكون له وزن، وهو مثل النقير والفتيل، وقد قيل: إنه أيسر منهما وأخف؛ فأخبر سبحانه: أنهم لا يملكون من الأمر شيئا: لا نصرا لأوليائهم، ولا عونا ولا تفريجا عنهم، ولا عونا يقاس بهذا القطمير، فضلا عن غيره؛ فهذا معنى ما ذكر الله من القطمير ومثله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر: ١٩- ٢٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير (١٩) ولا

الظلمات ولا النور (٢٠)﴾، إلى قوله: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور (٢٢)﴾؟

فقال: هذا أمثال ضربها الله عز وجل للحق والباطل، والدين والكفر؛ فجعل الباطل والمبطل: كالأعمى والظلمات، والحرور والأموات، وجعل الحق والمحقين: كالبصير والنور، والظل والإحياء؛ ليعتبر بذلك المعتبرون، ويميز بين ذلك المميزون. وأما قوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ فهو: إثبات لقدرته تبارك وتعالى على ما يشاء. وأما قوله: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ فإنما هذا مثل مثل الله به الكافرين: أنهم في الإعراض وقلة الاستماع والقبول كأهل القبور.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فهم: أهل الخشية والمراقبة، والحياء والسكينة، كما قال سبحانه: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما (٢٦)﴾ [الفتح: ٢٦]، فقاموا بعلمهم، وبما حكم به لهم وعليهم في أرض الله تعالى، وأدوا إلى عباده الأمر من عنده، فهم النصحاء القائمون بقسطه في عباده وبلاده، كما أمرهم الله في كتابه، وأوجب عليهم في سنة نبيه، وهم الأئمة الهداة بعده من عترته، وأتباعهم من أهل ولايته.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾ [فاطر: ٣٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قال سبحانه: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، فورثة الكتاب: محمد، وعلي، والحسن، والحسين، ومن أولدوه من الأخيار، ثم قال في ولدهم: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾، ففيهم إذ كانوا بشرا ما في الناس، وقال: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾، كما قال في ولد إبراهيم وإسحاق صلى الله عليهما: ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾.

وقال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية:

ففيهم إذ كانوا بشرا ما في غيرهم، من الظالم لنفسه، والمقتصد في قوله وفعله، والمبرز السابق إلى ربه، الذي لا يتعلق به المتعلقون، ولا يدانيه في سبقه السابقون.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...﴾ إلى آخر الآية؟

فقال: هم آل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المؤمنين منهم، فهم صفوة الله وخيرته؛ باختياره سبحانه لأبيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله؛ فأورثوا الكتاب، وجعل فيهم من بعد الإسرائيليين؛ تفضيلا من الله عليهم، وإكراما بذلك لهم. ثم ميزهم، وأخبر الخلق بأخبارهم، ووصفهم لهم بصفاتهم؛ لكي لا يبقى للخلق عليه حجة فيهم، ولأن لا يحمل أحد سواية مسيئهم على محسنهم، ولا يطعن طاعن على مؤمنهم بفسق فاسقهم، فقال: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾، وهو: فاسق آل محمد، ﴿ومنهم مقتصد﴾، وهم: أهل الدين والورع والعلم، منهم أئمة الحلال والحرام، وأهل الورع والإسلام، ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾،

فهم: أئمة آل محمد الطاهرون، أهل السيف المجاهدون، الذين نصبوا أنفسهم لله، وباينوا بالحق في ذات الله، وأخافوا أعداء الله وخافوهم، وجاهدوا في سبيل الله من عند عنهم، وحكموا بكتاب الله وسنة نبيه، وضربوا بالسيف من عند عن دينه، فكملت فيهم صفات الأئمة، فوجبت طاعتهم على الأمة؛ حجة على العالمين، ونعمة منه على المتبعين، ونقمة في الدنيا والآخرة على المخالفين؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (٤٢)﴾ [الأنفال]. ﴿بإذن الله﴾، يقول: بحكم الله، وأمره له بما قام فيه السابق إليه من طاعته. ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾، يقول: الفضل لله الكبير العظيم، في ما أورثناهم من الكتاب الكريم.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ...﴾ الآية، وهل يخص هذه الآية ولد الحسن والحسين عليهما وعليهم السلام، ليس لأحد فيها حق؟

الجواب: اعلم أنا نقول: إنها مخصوص بها آل النبي عليه السلام، من ولد الحسن والحسين دون غيرهم، فلو كان سواهم نزلت فيه هذه الآية لكان تعلق بها منذ حينئذ، كما تعلق ببعض كتاب الله ادعاء لذلك، والكتاب فليس شيء من مدائحه إلا لأهل بيت محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، ولصالحي أولياء الله، وأوليائهم؛ فاعلم ذلك.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فصح أن أهل الصفوة الذين أورثهم الله كتابه هم: الذين أمر الله بمودتهم؛

وهم: علي والحسن والحسين وأولادهما. وقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ فإنه أراد: أنه منهم في النسب، وقد ظلم نفسه، وأخرجها من الطاعة لربه؛ إذ لم يحل بينه وبين ما أراد الله منه إلا نفسه، وهو العاصي لربه، المضيع لحقه. وقوله: ﴿ومنهم مقتصد﴾ يريد: أن منهم من لم يبلغ درجة الإمامة، وهو: من حد العالم الذي لم يدع الإمامة، إلى حد المتعلم المطيع لربه، وكل هؤلاء مقتصد عن درجة السبق، وليس اقتصادهم بسواء، منهم من لم يمنعه من القيام إلا عدم الأنصار، ومنهم من هو دون ذلك. وقوله: ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ يريد: الإمام الذي دعا الناس إلى طاعة ربه، وباين الظالمين، وعادى الفاسقين، فذلك هو السابق، ويبين ذلك ما يتلو هذه الآية، من قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ [فاطر:٣٣]، فوعد المحسنين السابقين، والمقتصدين، وأوعد الظالمين، فقال: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها...﴾، إلى قوله: ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ [فاطر:٣٦، ٣٧]، فبين أنهم الذين عنى بقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾، وذكر الكفر هاهنا هو: يجمع كفر الجحدان، وكفر النعمة، ثم قال بعد ذلك: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾ [فاطر:٣٩]، فبين ما قلنا.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام، بعد ذكره للآية في بيان أنَّ فِسْقَ الفاسق لا يُسْقِطُ وجوبَ الرُّجُوع للمهتدي:

فإن قيل: قد أكثرتم في أمرهم، ونحن نعاين من أكثرهم المعاصي، ومنهم عندكم من هو ضال في الدين، فكيف يسوغ لكم تضيفون إليه أسباب الهدى ووراثة الكتاب؟

قلنا: هذا سؤال من استوضح سلسال فرات الدين من مد بصره، ثم قام هنالك، ولم يزاحم على شرائعه بمنكبيه؛ لأن ما ذكر لا يخرجهم من ذلك، وكيف يخرجهم والله عز من قائل، يقول: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون(٢٦)﴾ [الحديد]، ففسق الفاسق - كما ترى - لم يسقط وجوب الرجوع إلى المهتدي.

وقال عز من قائل: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر:٣٢]، فصرح عز وجل باصطفائه لهم مع أن فيهم الظالم لنفسه؛ لأنه علام الغيوب، وقد ذكره للبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ فقد رأيت تهدم هذا السؤال من كل جانب، بكلام الصادق الذي لا يجوز عليه الكذب، ولا شيء من القبيح، كما قدمنا.

ومن حيث فضلوا وجب عليهم من الاجتهاد في الطاعة أكثر مما وجب على غيرهم، وضوعف لهم الأجر - كما قدمنا - على الطاعة، وضوعف العقاب على المعصية، ولا يعلم بين أحد من علماء آل الرسول عليهم السلام فيما قلنا من: مضاعفة الثواب لمطيعهم، والعقاب لعاصيهم -اختلافا، وفي ذلك ما روينا عن الناصر للحق، الحسن بن علي الملقب بالأطروش -صلوات الله عليه-، في بعض مواعظه، في كلام فيه بعض الطول، انتهى فيه إلى أن قال:" وإن طريق الجنة خشن، وبالاجتهاد يبلغ إليها؛ إني لا أمني نفسي ولا أخدعها بالأماني، ولا أطمع أن أنال الجنة بغير عمل، ولا أشك في أن من أساء وظلم منا ضوعف له العذاب، وأنا ولد الرجل الذي دل على الهدى، وأشار إلى أبواب الخير، وشرع هذه الشرائع، وسن هذه السنن، فنحن أولى الناس باتباعه، واقتفاء أثره، واحتذاء مثاله، والاقتداء به. " هذا كلامه صلوات الله عليه؛ فصرح بما ذكرنا من مضاعفة العقاب، وليس إلا لما ذكرنا من الاختصاص الذي يجب شكره، ولا

يسع كفره، ولهذا قلنا: إن واحدهم عليهم السلام متعبد بما لم يتعبد به واحد غيرهم، من منابذة الظالمين، ومقاتلة الفاسقين، وتجييش الجيوش، وأخذ الأموال ممن وجبت عليه طوعا وكرها، وتعليم الناس معالم الدين، إلى غير ذلك من أعمال الإمامة التي قدمنا ذكرها، وواحد غيرهم إذا انتهى في الفضل تعبد بتعليم ما بينهم، دون غيره.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾ [فاطر: ٤٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

معنى: ﴿هل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ يقول: هل ينظر صاحب المكر السيئ، والمعصية لله العلي، إلا أن يأتيه ما أتى الأولين، الذين كانوا فيما كانوا فيه الأولون من المعاصي، من إحلال النقم بهم، وإزالة النعم عنهم؛ فهذا سنة الأولين، وهذه سنة الله التي لا يوجد لها تحويل ولا تبديل، يريد: حكم الله الذي حكم به في الأولين، وسننه في أهل المعاصي منهم، من إنزاله النقم عليهم؛ فهذا شيء لا يحول من أهل المعاصي والذنوب، فكان ذلك من الله في الزمان الأول على صنوف فيمن عصاه، وهو اليوم في أمة محمد صلى الله عليه وآله على صنوف أخر، تنزل بمن عصى منهم، وتحل بمن اجترأ على ربه، فكان العذاب في الأولين يكون بالمسخ والقذف، والخسف والرجز، وهو في أمة محمد عليه السلام: بالجوع والهلكة، والخوف والسيف، والقتل والموت، ثم يضطرهم إلى عذاب النار؛ وبئس المصير.

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ [يس: ٧-١٠]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله: ﴿لقد حق القول علىٰ أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾، إلىٰ: ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾؟

فالقول الذي حق علىٰ الفاسقين فهو: وعيد الله، وما حكم به علىٰ العاصين، من العذاب المهين، يقول: قد أحق عليهم وعيدنا ما اكتسبوه من معاصي الله، ومعنىٰ قوله: ﴿حق﴾ فهو: وجب ووقع، وصح عليهم فلن يدفع، بإدخالهم لأنفسهم في العصيان، وما به يحق عليهم القول من عذاب النيران. وقوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ فإخبار منه سبحانه لرسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله: باختيارهم لما هم عليه من كفرهم، وأنهم لا يتركون ما هم عليه من شكرهم، لا أن الله فعل ذلك بهم، ولا أدخل شيئا من كفرهم عليهم. وأما قوله سبحانه: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلىٰ الأذقان فهم مقمحون﴾ فقد تقدم شرح مثلها، والقول في هذه كالقول فيها. وأما قوله: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم

تنذرهم لا يؤمنون﴾ فهذا أيضا فإخبار من الله لنبيه صلى الله عليه وعلى آله عن: اختيارهم للكفر، وصدهم عن الهدى والإيمان، وأنهم لا يؤمنون، ولو أكثر من الإنذار، وأطال من الإعذار؛ لما قد غلب عليهم من الحمية والجهل، وداخلهم من الحسد والدغل، لا أن الله أحدث ذلك فيهم، ولا قضاه سبحانه عليهم.
وقال في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)﴾:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان﴾، إلى قوله: ﴿فهم لا يبصرون﴾؟

فقال: هذا رد من الله سبحانه عليهم، وإكذاب لهم في قولهم، حين قالوا: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾، إلى آخر الآية، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله هذه الآية، يريد: أئنا جعلنا في أعناقهم أغلالا، وجعلنا من بين أيديهم سدا، كما قالوا وكما ذكروا: أن على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقرا؟! هذا ما لم يفعله بهم، ولم يجعله على قلوبهم. وكذلك في قوله: ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾، يريد: أئنا جعلنا ذلك بهم كما قالوا؟! هذا ما لم يكن منا فيهم، ولم نحكم به عليهم. ثم قال: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا﴾، يقول: إن كنا فعلنا هذا بهم فلن يستطيعوا أن يخرجوا منه إلى الهدى، ولن يطيقوا دخولا إذا في هذا؛ فلم أرسلناك إليهم، وأمرناك بدعائهم، لو كنا فعلنا ذلك بهم؟! هذا إذا منا عبث واستهزاء، وأمر منا إياك لمغالبة لنا، وأمر منا لك بالدعاء لهم إلى خلاف إرادتنا، وتكليف منا لك ولهم خلاف ما يستطيعون، وأمر منا لهم بما لا ينالون؛ فتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وتقدس تقديسا عظيما.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)﴾ [يس: ٨، ٩]:

نزلت هذه الآية في أبي جهل وأصحابه، حلف إن رأي محمدا يصلي ليرضخ رأسه بحجر، فرآه، فحمل حجرا، فلزق بيده، فعاد إلى أصحابه، فقام رجل من بني مخزوم، فقال: أنا أقتله بهذا الحجر؛ فأعمي الله بصره، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾، فأما قوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾... الآية؛ فقيل: هو في الدنيا، شبه الكفار بمن هو كذلك في تركهم الإيمان. قيل: يكون الكفار كذلك في الآخرة، وهو حقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُم وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ [يس: ١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُم﴾:

أي: والسنن الحسنة والسيئة التي سنوها لمن يقتدي بهم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: ((من سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ومثل وزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزار الناس شيئا))، أو كما قال. وقال عليه السلام: ((كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء، وإذا كان خطأ كان داء))، أو كما قال.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾؟

فقال: فإنه يقول سبحانه: في علم عليم؛ ولا يتوهم أن ذلك إمام من الكتب،

وأن اللوح لوح من خشب، فإنما يراد بها ومثلها، إحاطة الله بعلمها كلها؛ لأن أحفظ ما يحفظ الآدميون، ما يوقعون في الكتب ويكتبون، فمثل الله ذلك لهم من علمه وحفظه بما يعرفون، وأخبرهم أن الذي عنده سبحانه من ذلك وفيه كله على خلاف ما يصفون؛ لفرق ما بينه وبين خلقه في كل صفة، وليعرفوه في ذلك كله من الفرق بما يجب من المعرفة.

قوله تعالى: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿يا حسرة على العباد﴾، فقلت: هل تكون الحسرة إلا من المخلوقين المتحسرين؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: إنه عز وجل لم يقل:" يا حسرتا "، وإنما قال: ﴿يا حسرة﴾ بالتنوين، وإذا كانت بالتنوين فإنما تقع الحسرة على العباد في تفريطهم في أمره عز وجل، ومثل ذلك قول العرب للرجل:" يا تبا لك، ويا ويلا لك، ويا حسرة لك، يا بؤسا لك ".

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، بعد ذكره للآية:

فخاطبهم بما يعرفون؛ والله تعالى لا يتحسر؛ لأنه لا يتحسر على شيء إلا من فاته وأعجزه، والله لا يفوته شيء ولا يعجزه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾ [يس: ٣٨، ٣٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾، إلىٰ قوله: ﴿كالعرجون القديم﴾؟ فقال: معنىٰ قوله: ﴿لمستقر لها﴾ هو: إلىٰ مستقر لها، ومعنىٰ مستقرها الذي تجري إليه فهو: يوم القيامة الذي يكون فيه. ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾، يقول: تدبيره في الشمس، وفعله في قطعها لفلكها، وجريها من تحت الأرض وفوقها. ﴿والقمر قدرناه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم﴾، يقول: دبرناه وقدرناه علىٰ ذلك، وجعلناه حتىٰ صار يكون مرة صغيرا، ومرة كبيرا، بتقديرنا وتدبيرنا، وما جعلنا فيه من أثر حكمتنا. ﴿حتىٰ عاد﴾، يقول: حتىٰ صار من بعد الكبر إلىٰ شبه العرجون القديم، والعرجون فهو: العود الذي يكون فيه ثمر النخل، يكون معوجا منحنيا كانحناء الهلال في آخر شهره؛ فشبه انحناء الهلال في ذلك الوقت كالعرجون المنحني القديم، والقديم فهو: العتيق؛ فأخبر سبحانه بأثر تدبيره فيه، حتىٰ عاد كما ذكر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)﴾ قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾؟

الجواب - أحسن الله عونك -: أن المعنىٰ فيه: والشمس تجري لا مستقر لها؛ فطرح الألف وهو يريدها، وهذا ما لا ينكره عند أهل اللغة واللسان العربي؛ لأن العرب تطرح الألف من موضعها، وتثبتها في غير موضعها؛ استخفافا

للكلام، وميلا إلى الاختصار؛ وهذا أحسن ما يمر في اللغة وأبلغه؛ قال الله جل اسمه: ﴿وأرسلنه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾، فأتت كأنها ألف شك، والله تبارك وتعالى لا يوصف بهذه الصفة؛ إذ هو المحصي لكل عدد، العالم بكل أحد، سبحانه وعظم شأنه، وإنما معنى : ﴿أو يزيدون﴾ فهو: ويزيدون، فأثبت الألف في هذا المكان؛ لمعنى ما ذكرت لك، وطرحها عند ذكر الشمس، فقال: ﴿لمستقر لها﴾، وإنما المعنى: لا مستقر لها، وهذا أمر من الله سبحانه في الشمس وما يعاين منها – فبين والحمد لله ؛ لأنها في الجري دائبة لا تقر وقتا ولا تقف، وإنما هي كما وصفها الله جل اسمه: لا مستقر لها حتى يصرم الله سبحانه أمور الدنيا، ثم له فيها وفي غيرها من خلقه من الأمر ما شاء؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الثالثة عشر: عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾؟

الجواب عن ذلك عندنا – والله أعلم -: أن مستقرها يوم القيامة يبطل حركتها، ويسكنها من حركاتها؛ لإزالة التكليف، وإعادة الخلق للحساب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾ قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: معنى قول الله سبحانه : ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩)﴾؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك اسمه خلق هذا القمر مما شاء كما شاء، وقدره كما أخبر منازل، عدتها ثمانية وعشرون منزلة، فمنها أربع عشرة يزيد فيها، حتى يبلغ أربع عشر ليلة، وينتهي ويتم، ومنها أربع عشرة ينقص في كل ليلة منها، مما كان يزيد سواء، حتى يكون ليلة تسع وعشرون ليلة، ويرجع في النجم الذي بدأ به،

وينتهي في النقص، وعند ذلك يكون كالعرجون القديم، كما شبهه به الله سبحانه، والعرجون فهو: من عراجين النخل المعروفة، فما قدم منها وتناها في القدم كان أشد انحناء مما لم يقدم، ومعنى التقدير من الله جل اسمه للأشياء فهو: التصوير لها والإنشاء، فاعلم ذلك وقيت الأسواء.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [يس: ٤٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام:

وسألت عن: معنى قول الله سبحانه: ﴿وكل في فلك يسبحون (٤٠)﴾؟

الجواب: اعلم أن الله تبارك وتعالى لما ذكر الشمس والقمر، فقال : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ -كل ذلك تعريف من الله لعباده أن الكل من هذين النجمين النيرين، وهذين الليل والنهار الدائبين في فلك يسبحون، والفلك فهو: ما جعل الله من الأهواء الجارية بقدرته في أجواء السماء، وما أحل فيها بلطفه من النجوم التي تعاين وترى، والسبح فهو: الحركة والزوال بالسنين والانتقال، كما جعل الله ذو الجلال؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤)﴾ [يس: ٧٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (٧٤) لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون (٧٥)﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بخطأ المشركين في أنفسهم، واتخاذهم من دونه ما لا ينصرهم ولا ينفعهم، وجعلهم لهم آلهة يعبدونهم من دون إلههم، ثم أخبر أنهم لا ينصروهم، ولا يستطيعون ذلك فيهم ولا في أنفسهم. ثم قال: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾، يقول: الآلهة التي يعبدونها من دون الله لا تنفعهم، ولا تضرهم في شيء من أمورهم، وهم مع ذلك للآلهة جند محضرون، يقول: مجتمعون على عبادتهم، وعلى التذلل والخشوع لهم، كتخشع الجند لمالكهم؛ فشبه اجتماعهم على آلهتهم، وعبادتها من دون ربها، باجتماع الجند لمالكهم؛ فسماهم بفعلهم وتذللهم وتخشعهم للآلهة: جندا، وهم لا يجدون عندهم مع ذلك مضرة ولا نفعا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس: ٨٢]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾، وهو شيء قد كان وفرغ منه؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: من ذلك أن العرب تجعل بدل" يكون ":" كان "؛ جائز ذلك في لغاتها؛ ألم تسمع زياد الأعجم حيث يقول:

فانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخادم وذبائح

يريد: فلقد كان؛ لأنه قد مات.

قول تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس: ٨٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿فسبحان﴾ يقول هو جل وعظم، وتقدس وكرم. ﴿الذي بيده ملكوت كل شيء﴾، وملكوت كل شيء فهو: الله بيده كل شيء وأزمتها، وقدرته جارية عليها بأسرها.

وفي كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام قال:

هذا تفسير لسورة يس للإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يس﴾ قال أبو عبدالله محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين: ﴿يس﴾ - والله أعلم - تفسيرها خفي؛ لأنها من العلم المصون، المخزون المكنون؛ لأن من القرآن: ما نزله الله للناس كافة، كالخبر عن خلق الأرض والسماء وما بينهما، وما ذكر الله من الآيات والعبر بما خلق فيهما، وفي غيرهما، وما ضرب الله فيه من الأمثال، وفرض من الفروض، وحرم من الحرام ، وأحل من الحلال، وغير ذلك مما فيه من التذكير والقصص والأنباء، وما لا يحصى من البركات والخير وأخبار الأنبياء، والوعد والوعيد الموصوفة، وما ذكر الله في الصور يوم القيامة من النفخة. ومن القرآن: ما نزله الله للنبي، وجعل

علمه له خاصة، وهو عن غيره من المؤمنين خفي. وقد زعم بعض من زعم: أن ﴿يس﴾ هي: يا محمد. وهذا فما لا يفهمه من أهل اللسان العربي أحد.

ثم قال سبحانه: ﴿والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣)﴾، فأقسم الله تبارك وتعالى بالقرآن الحكيم صادقا لنبيه، وأنه من المرسلين [١]؛ وكذلك هو صلى الله عليه وآله وسلم يقينا حقا. وذكر تعالى من حكمة القرآن: ما قد بان به من الكتاب أكثر البيان، فالقرآن في الحكمة غاية الغايات، قد جاز [٢] في حكمته وفضله جميع الصفات؛ فأخبر تعالى أن نبيه على المستقيم من الصراط، والصراط: الطريق والمنهاج، المعتدل في الدين ليس فيه ميل ولا اعوجاج.

ثم أخبر سبحانه عن القرآن: بأنه ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾، وكذلك الله فهو: الرحمن الرحيم، الذي جاز [٣] في العزة عز الأعزاء، وفي الرأفة والرحمة رأفة الرحماء؛ إذ لا يكون سواه عزيزا، ملكا عظيما، إلا [و]هو[٤] معرض عمن ملك، قاس عليهم غير رؤوف ولا رحيم، من كبريائه وملكه وعزته -الأعظم المحيط بملك جميع الملوك؛ إذ لا مثل له في ملكه وربوبيته، ولا ند ولا شريك، والله تعالى في جلاله وعظمته، وما هو عليه من كبريائه: أرأف من رؤوف، وأرحم من رحم، بلغ من رأفته بالإنسان ورحمته له ما لا يبلغه الأب والأم.

ثم قال سبحانه مخبرا عن أنه بعث نبيه منذرا: ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾، ففي قوله: ﴿ما أنذر آباؤهم﴾ تذكير لهم بالمنة التي من بها عليهم، من بعثة رسوله عليه السلام بالنذارة إليهم، فبعث صلى الله عليه وآله وسلم فيهم منذرا، وأتاهم وهم في غفلة ساهون عن الآخرة مخبرا، فخصهم في

---

(١)- هكذا في النسخة المنقول منها، ولعله: فأقسم الله بالقرآن الحكيم، مصدِّقاً لنبيه أنه من المرسلين.

(٢) - لعلها: حَازَ. ظناً.

(٣) - لعلها: حَازَ. ظناً.

(٤) - القياس إثبات الواو، ليستقيم الكلام.

إرساله بما لم يمن على آبائهم بمثله.

ثم قال لا إله إلا هو، منبئا عن علمه بكل غيب خبرا صادقا: أنه يملأ جهنم من عصاة الجن والإنس، وأن هذا القول والخبر كان على أكثر أهل الجاهلية متحققا: ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾، فكذلك كان أهل الجاهلية؛ إذ هم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكذبون.

ثم أخبر عن عقابه لهم بكفرهم وتكذيبهم في يوم الدين، ومثله لرقابهم بالأغلال التي جعل بعضها على بعض إلى أذقانهم: ﴿فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون (٩)﴾، وهذا السد - والله أعلم - الذي من بين أيديهم ومن خلفهم هو: ما يغشى الكفار والمنافقين، من الظلام في موقفهم يومئذ، حتى يظلم بغشاوته أبصارهم، وهو حين تنكسف الشمس والقمر، وتطمس النجوم، فيقع الظلام بزوال الأنوار في ذلك اليوم، وحينئذ ما يحتاج المؤمنون إلى النور، فيجعله الله من بين أيديهم وبأيمانهم؛ ليأنسوا به ويبصروا، ويأمنوا ويطمئنوا ولا يرتاعوا ، ويومئذ ﴿يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا﴾، وهم من بين أيديهم: ﴿انظرونا﴾، يعنون: انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾، وحينئذ يقال لهم تبكيتا وتوقيفا على حرمان الله إياهم كل ما يطلبون: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾.

ثم قال سبحانه بعد خبره عن جعل الأغلال في أعناق الكافرين، وملء رقابهم بها إلى الأذقان، حتى هم لرؤوسهم إلى الأذقان مقمحون، والمقمحون فهم: الذين للرؤوس [1]، ونبأ سبحانه عن علمه للغيب، الذي يحيط بما كان وما يكون، فقال: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾، يعني سبحانه: أن الإنذار بأخبار القيامة، وترك الإنذار عندهم سواء؛ لما هم عليه من

(١) - مقمحون، أي: مرفوعة رؤوسهم، لا يستطيعون خفضها. اهـ من تعليقة على النسخة الخطية.

التكذيب للرسول والشك والامتراء.

ثم أخبر عز وجل على أن النذارة إنما تنفع من تاب وآمن، واتبع التذكير والذكر فأيقن: ﴿وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾، والإيمان بالغيب فهو: ما أخبر الله عنه مما يأتي به في الآخرة من البعث والنشور، وما أخبر عنه مما لم يكن بعد من غائب الأمور؛ فقبل الخبر في ذلك المؤمنون، وأمنوا من عصيانهم؛ تصديقا لخبر الله عن الغيب فهم لا يعصون، فشكر الله بالغيب إيمانهم، وذكر تصديقهم لما نبأ به من أخبار الغيوب وإيقانهم.

ثم أخبر تبارك وتعالى عن صدق ما وعد من إحيائه للموتى، وكتابة ما قدموا من أعمالهم وآثارهم في أيام حياتهم التي آثروا، فقال : ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا آثارهم﴾، وكتاب ذلك: حفظه وإثباته – والله أعلم –، وأنه لا ينسى منه صغيرا ولا كبيرا، ولا قليلا ولا كثيرا؛ فأي كتاب أثبت من حفظ الله، والحفظة الكرام من ملائكته لأعمالهم وآثارهم كلها في منقلباتهم، في ليلهم ونهارهم وجميع أيام حياتهم، قال سبحانه: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾، والإمام فهو: المتقن من الكتاب، الذي ليس في حفظه وبيانه شك ولا ارتياب، فهو بين مبين.

ثم ضرب لهم مثلا من تكذيب أصحاب القرية لأنبيائهم المبعوثين إليهم، إذ كانوا لهم في التكذيب مثلا، فقال: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾، يعني سبحانه وهو أعلم وأحكم بـ ﴿عززنا﴾: شددنا ووكدنا؛ لأن الثلاثة في الإنذار أبلغ، وفي التأكيد عليهم للحجة أكبر. ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾.

ثم أخبر سبحانه أنهم قالوا كما قالت قريش والعرب، مكذبين لرسلهم: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾.

ثم أخبر سبحانه عن استشهاد رسله له في رسالتهم؛ إذ هو أعظم الشاهدين شهادة، وأصدق القائلين مقالة: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين (١٧)﴾، معزيا لنبيه عما كان يضيق به صدره، من تكذيبهم له مع علمه بصدقه، وأنه مبعوث بالرسالة من قبل ربه، بإخباره عما لقيت الأنبياء عليهم السلام من قبله، وأنهم كانوا يقولون مثل ما قال قومه لأنبيائهم.

ثم أخبر تعالى عن قول الكفرة لرسلهم فيما كانوا يقولون به كذبا، من التطير والتشاؤم بهم، إذ يقولون: ﴿إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾؛ ليتعزى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على أذى قومه، بما نال المرسلين من قبله، فقال المرسلون عليهم السلام لقومهم، عند تطيرهم بهم: ﴿طائركم معكم﴾، يعنون بطائرهم: ما قسمه الله لهم من أرزاقهم وأعمارهم، وما علموا أنه سيحل بهم من المحبوب والمكروه في ليلهم ونهارهم؛ إذ التطير في لسان العرب هو: ما قسم لكل امرئ وطار له من كل نصيب، في رزق أو مكروه أو موت أو أمر محبوب؛ فأخبروهم أن ذلك معهم، يعنون: أنه مقسوم لهم، لا يزيله مزيل عنهم، يريدون: أن ما قسم الله لهم من الأعمال، والأرزاق والآجال، وما يتصرفون فيه من ذلك، ودوامه وانقطاعه -قد قسمه الله لهم، حتى علم ما يطير منه ويصير لواحدهم وجميعهم؛ فهو كيف ما كانوا محكوم به لهم، طائر ما أعطاهم الله منه إليهم، فهو معهم.

ثم قال المرسلون عليهم السلام لهم: ﴿أئن ذكرتم﴾، يعنون: أمن أجل أن ذكرتم، فأمرتم بطاعة الله وأنذرتم -كذبتم وأسرفتم؛ ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾.

ثم أخبر سبحانه عن الرجل المؤمن، المصدق بالرسل والآخرة، فقال سبحانه: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين (٢٠) اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون (٢١)﴾، فدعا قومه إلى اتباع المرسلين، وأمرهم بطاعة رب العالمين، وأخبرهم أن أنبياءهم لم يأتوا يطلبون منهم فيما

بلغوهم جزاء ولا أجرا، وأنهم مهتدون.

ثم قال إيمانا بربه، وشكرا لنعمته: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾، يعني: الذي اخترعني وخلقني. ﴿وإليه ترجعون﴾، فذكر - رحمة الله عليه - بما يجب عليهم من شكر الله في فطرته لهم، ورجوعهم عند الوفاة إليه.

ثم قال منبها ومذكرا، وعن عبادة آلهتهم وأصنامهم من دون الله زاجرا: ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون﴾؛ لأن الكافرين من المشركين كانوا يقولون: إن آلهتهم التي من دون الله يعبدون -يشفعون لهم عند الله وينفعون، فذكرهم الرجل المؤمن الذي جاء إليهم يسعى: أن آلهتهم التي عبدوا من دون الله -لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا.

ثم قال: ﴿إني إذا﴾، يقول: إن فعلت في كفر ربي فعلكم، وقلت من الكذب قولكم، وعبدت الأصنام من دونه كما عبدتم، ﴿لفي ضلال مبين﴾، والضلال الذي عنى المؤمن - رحمة الله عليه – فهو: الضلال عن الطريق المستقيم، والصراط الذي هدي إليه، والمبين فهو: الظاهر البين العلين.

ثم صدع بالإيمان بالله، والتوحيد والإقرار لعبادته بين قومه، قائلا: ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾، يقول الله سبحانه وتعالى مبينا، ولإيمانه ذاكرا، وله بذلك مثيبا ومجازيا: ﴿قيل ادخل الجنة﴾، ثم أخبر عن المؤمن - صلى الله عليه - إذ دخل الجنة، ورأى كريم الثواب والنعيم، وصار إليه، وعن قوله إذ يقول متمنيا، لأن يكون من أكذبه من قومه بما وهبه الله من الغفران والجنة عالما: ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾، وأي مكرم أجل قدرا في الكرامة وأعظم تكريما، ممن أدخله الجنة، ومن عليه بثوابها ونعيمها خالدا فيها مقيما؛ ويشبه - والله أعلم - أن يكون قوله إذ قال لهم هذه المقالة، وأعلمهم بما هم عليه وآباؤهم في عبادة من عبدوا من دون الله من الضلالة،

قتلوه فأكرمه بالشهادة، إذ قال: ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ -قال عز وجل: ﴿قيل ادخل الجنة﴾، وعاجل الله قومه بالعقوبة في تكذيب الأنبياء المبعوثين إليهم، وتكذيب المؤمن الداعي إلى الإيمان لهم.

ثم قال سبحانه لقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مذكرا، ولنبيه عن عقاب أصحاب القرية مخبرا: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين (٢٨) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون (٢٩)﴾، يخبر تبارك وتعالى على: أن هلكة هذه القرية المكذبة إنما كانت بصيحة أنزلها الله عليهم، واحدة ليس لها ثانية، فخمدوا هامدين، وخروا موتى خامدين.

ثم أخبر لا إله إلا هو عن: حسرة العباد، في يوم المرجع إليه والمعاد، بغفلتهم في حذر ما حذرتهم الرسل في الدنيا في يوم بعثهم، وما يقع عليهم، ويحل بهم في الآخرة من التحسر والندم والحسرة؛ إذ رأوا صدق ما كانوا يكذبون فيه الرسل من أمر الآخرة، فقال: ﴿يا حسرة على العباد﴾، يعني سبحانه بقوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾: أن الحسرة على العباد واقفة، وقول الله: ﴿يا حسرة على العباد﴾: كلمة من وعيد الله منبية، عن شدة الوعيد مفزعة؛ لأن العرب إذا أخبرت عن الأمر المفزع المخوف العظيم، فلم يفهمه من تخبره عنه، أو كذبت -قالوا في التنبيه بأبلغ الوعظ والتكليم:" يا حسرة عليك، ويا ندامة لك، إذا ما حل بك ما كذبت به، مما حذرناك فرأيته بالمعاينة "، وإذا قالت العرب في لسانها، وما هو غاية الإفهام في لغتها وبيانها، للتي تصفه من الخير والشر؛ ليفهم عظمه وكبره:" يا كذا وكذا "، يدعون ما يعظمون صارخين باسمه -فذلك في لسانهم غاية الإفهام لعظمه، فإذا ظنوا أن شرا من البلاء واقع، أو خيرا وسرورا يأتيهم لهم نافع، قالوا عند الخير:" يا خير بني فلان "، فذلك عندهم غاية الإفهام والبيان، في عظم ما يصفون من فضل الخير الصائر إليهم ، أو قالوا :" يا بؤس بني فلان، وخزيهم " ، وذلك بعينه غاية الإفهام لعظم الخزي والبلاء الواقع عليهم؛ فأراد

الله سبحانه: أن يفهم خلقه وعباده، إذ أسمعهم في كتابه ذكر حسرتهم يوم القيامة لها مسميا، وإنما عنى الله بقوله: ﴿يا حسرة﴾ – والله أعلم – أي: حسرة هي في العظم لما بلغ أهلها من التلهف على ما فاتهم من تصديق الأنبياء عليهم السلام، واستهزائهم في دار الدنيا للشقوة، إذا رأوا في الآخرة صدق ما كانوا يخبرونهم من خبرها، وتحقق قولهم، فحينئذ يتحسرون نادمين، وتقع الحسرة التي أخبر الله عنها يومئذ عليهم، فيبقون محسورين، حسرة على العباد كما قال الله ثم، يا حسرة على العباد عليهم ثم يا حسرة حين عاينوا صدق وعيد الله في الآخرة، فندموا وتحسروا حين لا يقالون، ولا تقبل معذرتهم فيعتذرون؛ فأي حسرة أكبر، وأي ندامة أفظع للقلوب وأنكر، من حسرة من لا يقال عثرة، ولا تقبل منه معذرة، ومن هو خالد في أليم العذاب والعقوبة، ومن قد أيس من أن يقبل الله منه توبة، فيالها حسرة حازت الحسرات، ولكفى بقول الله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ فيها بليغة من الصفات.

ثم قال جل ثناؤه، وخزيت بمعصيته أعداؤه، وفاز بخشيته أولياؤه، وهو يخبر المنذرين من قوم النبي عليه السلام، عمن أهلك بذنبه من القرون: ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾، فذكر سبحانه من هذه العبر بما لا ينكرونه، إذ كان من أهلك وأمات من الهالكين غير راجعين، ودلهم على أنهم مملوكون مربوبون؛ إذ كانوا مكرهين في الموت والهلاك دفعا، ولا يملكون لأنفسهم فيما يحبون من البقاء نفعا، خلقوا حين خلقوا وهم لا يشعرون ولا يعقلون، وأنشئوا بتربية الله لهم ورزقه وهم غافلون، وفهموا إذ عقلوا من المضار والمنافع ما كانوا يجهلون، وأنعم عليهم بالنعم التي لا يحصون، وكل هذا وما صرفوا فيه منه فهم به مصرفون، وعلى المنعم الصانع لهم بذلك مدلولون، وله معروفون، وبالرق والعبودية موسومون موقوفون، فمن صنع منهم وخلق فهو شهيد بلسانه أنه لنفسه غير صانع، ومن أميت فهو مقر أنه للموت عن نفسه غير دافع، وأنه ليس

بقادر على عودة إلى دنياه، ولا لاقيا من يحب فيها ولا راجعا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾.

ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المنذرين ، ومن مات من القرون الماضين، ومن يموت من القرون المتأخرين: كل جميع لديه محضرون، و ﴿لما﴾ هاهنا: تمام للبلاغة، وصلة في اللسان العربي للكلام، وإبلاغ في التنبيه من الله والإفهام ، يعني سبحانه بإحضار البعث يوم القيامة: لمن مات أولا وآخرا، من الكبار والصغار.

ثم قال لا إله إلا هو، لما يحيي من موات الأرض وبعثة الموتى ذاكرا، وعلى إحيائهم منبها، ومحتجا على العباد بإحياء الأرض الميتة، وممثلا لذلك بنشرهم ومشبها: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾؛ وأي أعجوبة أعجب، أو مثل في إحياء الله الموتى أقرب، من إحياء الأرض بالمطر بعد مواتها، ويجد من خضرتها بعد يبس أشجارها، وارفتاتها وخمودها واقشعرارها، ثم تعود الأرض عند حياتها إلى ما كانت عليه قبل موتها، من بهجتها واخضرارها، وخروج حبها وثمارها، ونبات مراعيها وأشجارها؛ فمن أحمق أو أجهل، أو أغفل أو أضل، ممن جهل قدرة الله القدير المحمود، على إحياء الميت البالي المفقود، وهو يرى كيف يحيي الله الأرض بعد الموت، واليبس والخمود؟! والمحمود فهو: الله الخالق الإنسان، والمنشئ لبدنه بعد إذ لم يكن، وكذلك فهو القادر على رد ما بلي بالموت من أعضاء البدن، وهو سبحانه الذي أخرج الحب منه ليأكله، وكلما نشأ من نعمة فيه كانت وهي له.

وهو كما قال لا إله إلا هو: الجاعل في الأرض جنات النخيل والأعناب، والمفجر فيها للعيون، وبه كان جميع ما أخرجت من الثمار أو يكون، فهو الذي أنعم بذلك كله علينا، ورزقه وهيأه وأخرجه لنا وخلقه، لولاه سبحانه لم نقدر عليه، ولم يكن لنا ولا لمحتال حيلة فيه.

ثم قال: ﴿ليأكلوا من ثمره﴾، أي: ما طعمنا من ثماره وأكله، ضروبا مختلفات أنشأها لنا بكرمه وفضله، فواكه مفكهة كفانا سبحانه تدبيرها، وغذاها بالأنهار والعيون التي فجرها وأجراها، حتى أكمل إصلاحها وملكناها، وهنأنا أكلها واغتذائها، وأجراها حتى إذا تم صلاحها، قال سبحانه: ﴿وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾، وما عملت ذلك - كما قال سبحانه - أيدينا؛ بل هو الذي صنعه وفطره ومن به علينا، وما ذكر الله من هذا كله فتقرير منه وتوقيف لخلقه على نعمه وفضله، وكل الأولين والآخرين جميعا والكافرون -فهم له سبحانه بصنع هذا كله مقرون، ولما عرف منه وذكر لا ينكرون. ثم قال تعالى إلى الشكر داعيا، إذ لم يكن بالكفر لعباده راضيا: ﴿أفلا يشكرون﴾.

وذكر ربنا وإلهنا عجيب ما خلق وصنع معرفا، في خلق الأزواج كلها للحكمة فيها واصفا: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾؛ فأي أعجوبة أعجب، أو عبرة في لطيف تدبيره أقرب، مما أنشأ وخلق من الإناث والذكران، في النبات جميعا وكل الحيوان، من الإنسان وغير الإنسان، فجعل ما خلق من ذكرانها وإناثها، سببا لنمائها وصلاحها وانبثاثها. ثم قال جل وتقدس: ﴿مما لا يعلمون﴾، فأخبر: أن الأزواج من الذكران والإناث في أشياء أخرى، لم يطلعوا عليها ولم يحيطوا بها خبرا، كالنجوم التي لا يشك من يعلم بعض ما علم الله من خبرها: أن فيها ذكرانا وإناثا، معروف ذلك من أمرها، وقد ذكرها تبارك وتعالى بذلك فيما نبأ به من أنبائها، فذكر بعضها وأنث بعضها في أسمائها، فقال في القمر: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾، فذكره، وقال في الشمس: ﴿والشمس وضحاها﴾، ﴿وترى الشمس إذا طلعت﴾، والشمس والزهرة فأنثيان، والمشتري والقمر فذكران، وكذلك النجوم الثمانية وعشرون الأخرى، هي للشمس والقمر منازل ومجرى، فهي بغير شك ذكران وإناث، ليس بين أهل

الألسنة من العرب والعجم في ذلك اختلاف؛ وكذلك فمن الحديد والحجارة، وجميع ما في المعادن المذكورة: ذكران وإناث، وكل هذا فمما علمنا الله ودلنا عليه، ومن الذكران والإناث - كما قال الله سبحانه - ما لا نعلمه؛ إذ لم يذكره، ولم يهدنا إليه، إلا أن الله سبحانه قد أخبرنا عن أهل سماواته، ومن عنده من مكرم ملائكته: أنهم ذكران لا إناث؛ إذ أنكر قول المشركين بالتأنيث لهم فيهم، ورد ضلالهم مكذبا لهم عليهم؛ إذ يقول تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون (١٩)﴾[الزخرف]، وقال تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون﴾ [النساء : ١٧٢]، ولو كانوا إناثا لقال: ولا الملائكة المقربات؛ ولكنه ليس فيهم ولا منهم أنثى؛ ولذلك قال: ﴿المقربون﴾، دليل على أنهم ذكران مذكورون.

ثم قال لا إله إلا هو منبها على ما في الليل والنهار ومن آياته، وما فيهما على الخلق من عظيم نعمته: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨)﴾، فأي آية أكبر وأعظم عند من يعقل ويفهم، من اختلاف الليل والنهار، وما يقدر الله بهما وفيهما من عجائب التدبير والأقدار، بينما الناس في ضوء شمسهم ونهارهم، مقبلون ومدبرون في معايشهم وأمورهم، والشمس تجري في فلكها عالية من فوقهم، قد قدر الله بها وبجريها ما نعلمه - لكثرة عبره - من تدبير مصالحهم ومرافقهم، إذ قطعت الفلك بأمر ربها وربهم، فتصوبت للغروب، وأقبل الليل منسلخا منه النهار؛ وانسلاخه منه - والله أعلم -: انسلاخه عنه، وعنه ومنه مقامهما في هذا مقام واحد؛ فحينئذ يبدوا سواد الليل طالعا، فكلما انسلخ النهار مدبرا، ومضى بين يديه عنه مستأخرا -ظهر وازداد اسودادا، حتى إذا نحن بعد النور والبرهان مظلمون، وعن الإقبال والإدبار لما كنا نقبل له نهارا أو عن أكثر

ذلك ممسكون، وإلى الهدوء والراحة مائلون، وعن النشاط والقوة بكرى النوم رائكون، ومن اتعابنا ولغوب دوابنا في نهارنا مستريحون، وعن الإبصار كما كنا نبصر به نهارا ممنوعون، لا نملك لشيء من هذا كله عن أنفسنا دفعا، ولا نستطيع ردا ولا منعا؛ دلالة من الله سبحانه على أنه هو المصرف لنا في جميع أحوالنا، وعلى عجزنا من الامتناع في تدبيره بنا، ونظرا منه تبارك وتعالى لنا، فنكون مسبوتين نياما في ليلنا، حتى إذا بلغ الليل ما أراد سبحانه أن يبلغه من الميقات، في سراه ومسيره إلى غاية ما قدر الله عليه من الساعات -ظهر الفجر ساطعا، وأقبل النهار طالعا، فكلما انسلخ منه النهار مدبرا، ومضى بين يديه فتحرك حينئذ جميع الحيوان الذي هدأ في ليله وسكن -لما يريدون من المعاش والشأن، قد حمو من التعب واللغب براحة الأبدان، ففي هذا من مر الليل والنهار وغيره آيات عظام، وفضل من الله على خلقه وحسن نظر وإنعام. ثم أخبر تقدس اسمه وجل أمره: عما تولى للخلق من النعيم في جري الشمس، لما في جريها من صلاح الدنيا وحياة كل من في الأرض من ذي نفس، وإذ بالشمس وضوءها تبصر العيون، وينتشر الناس وينحون، ويذهبون ويعملون في صناعاتهم وأرفاقهم ما يعملون، وبجريها يكون كثير من صلاح أبدانهم، وعامة معاشهم، وعمارة بلدانهم، وعلم عدد سنينهم وشهورهم، وما يصلح الله بها من زرعهم وثمارهم، وما يكثر عن أن نحصيه؛ لصغرنا عن علمه، وذكر سبحانه: أن الشمس في عظمها، وما هي عليه من عجيب أمرها، في دورها وجريها -إنما تجري لمستقر لها، ومستقرها - والله أعلم -: يوم القيامة؛ ففكر يا هذا وافهم.

ثم ذكر سبحانه النعمة على خلقه، بالقمر وما قدره له من المنازل إلى وقت محاقه، فذكر تعالى نعمة عظيمة من عظائم نعمه، لما قدره بالقمر من صلاح كثير من معايش الناس وتمامه؛ إذ بالقمر تعرف الشهور والأيام، وهو في الليل سراج لجميع الدنيا، فيبين في الظلمة للناظرين، ويضيء لمن سافر من المسافرين، وبه

وبطلوعه وغروبه قدر الله مدد البحار وغزرها، وزاد بزيادته في أول الشهور مياه الأرض فأصلح أشجارها، وأربى بطلوعه خضرها وثمارها، وما فيه من الآيات والعبر، فيكثر عن أن نحيط به علما، وحسبك ما فهمك الله منه في كتابه إن كنت فهما؛ وما ذكر الله من تقديره له منازل: فقد يراه كل ذي عين في كل ليلة مثالا زائدا، النور في أوله عند نزوله منازله، وهي ثمانية وعشرون منزلة من النجوم، حتى إذا بلغ أربعة عشر منها نقص نوره في كل ليلة عند نزول كل منزلة ممتحقا، حتى يعود بدقته في العيون دقيقا، كما قال سبحانه: ﴿كالعرجون القديم﴾، والعرجون فهو: العود الذي يخرج من قلب النخلة حاملا في شماريخه لثمره، وهو أعوج مقوس منحنيا، يشبه ما للقمر في آخر الشهر من الانحناء والدقة، وهو إذ كان قديما أدق منظرة.

ثم ذكر سبحانه أعجوبة أخرى، يدل بها على سرعة سير القمر إذا جرى، فقال: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾، والقمر فمن أسرع النجوم كلها جريا، وهو يقطع الفلك في كل شهر من أوله إلى آخره دورا، والشمس تجري في الفلك إلى أن تقطعه عاما، وأن الليل غير سابق النهار؛ إذ هما جميعا في الزيادة والنقصان على مثال ومقدار، فقال : ﴿كل في فلك يسبحون﴾، وإنما يعني بسباحتهم في الفلك - والله أعلم- : أنهم فيه يجرون ويدورون.

ثم قال لا إله إلا هو، لبعض نعمه على الناس ذاكرا، لحملهم في الفلك ولهم على شكرهم فيها منبها وعنها مخبرا، ولعجيب آياته فيهم معرفا، لذلك تعالى وجل واصفا: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (٤١) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤٢) وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون (٤٣) إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين (٤٤)﴾، وكذلك الله الذي حمل البشر في الفلك والبحر، وعلى مثل ذلك من الدواب الحاملة لهم في البر، وقد قيل في الخبر: إن الذي مثل بالفلك هي الإبل، وقد تسميها العرب سفن البر، ولشبهها بها ما

قرنها الله عز وجل بالسفن في ذكرها، فقال: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ [المؤمنون : ٢٢]، فهذا فيما ذكر الله من قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾، وما نرى - والله أعلم - أن الله أراد بقوله : ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾: إلا ما حمل وأقل من الدواب كلها، الإبل وغير الإبل، غير أن للآبال ما لها في الحملان من الفضل. ثم قال سبحانه ﴿في الفلك المشحون﴾ فهو: المملوء المثقل، وهو الله المنعم المفضل، الحامل لذرياتهم؛ والذريات - والله أعلم - فهي: الذرء والمذروء المكثر من جماعتهم؛ قال سبحانه: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ [المؤمنون : ٧٩] ، يعني يذرأكم (١): كثركم ونشركم، وكذلك إذا قيل: ذرية فإنما يراد: جماعة مكثرة مذرية، والواحد من الجماعة المكثرة المذرية: ذرية، والثنتان ذريتان، والثلاث ذريات؛ فكان هذا - والله أعلم - دليلا لمن يعقل فيفهم على أن الذريات هي: الجماعات منكم، المذريات المكثرات؛ لأنه لو كان مخرجها في الذكر إنما يراد بها: الذراري دون الآباء -لكنا نرى كثيرا ممن يركب السفن إنما هم الأكابر، لا الذراري الأصاغر الضعفاء؛ ولكن الذريات. وإن تأول متأول، أو قال قائل: إن الذريات الأطفال، وإن حملهم في الفلك دعة وسكون ومرفق على أبدانهم؛ لضعفهم وصغرهم، وقلة تحريك الفلك لهم -قيل: هذا تأويل يجوز في المعقول، وليس في التأويل بأصل ثابت ولا يزول؛ لأنه ربما كان من زعازع البحر في كثرة الأمواج، وما له عند عصف الريح من شدة الحرة والارتجاج -أشد على راكب الفلك خطرا، وأهول أمرا، من ركوب أصعب صعاب الدواب، التي تجمح بركبانها غاية الجماح، حتى لا يبقى راكبها؛ لشدة تكفتها وقلقها عند زعازع الأمواج لها؛ ولكن التفسير الأول فيما ذكر الله للذريات من الحمل في الفلك أشبه – والحمد

(١) – هكذا في المنقول منها، ولعله:" يعني بـ﴿ ذرأكم﴾: كثركم ونشركم ".

لله – وأوجه . ثم قال عند ذكر الفلك المشحون، فدل بقوله: ﴿المشحون﴾ على التذكير بالنعمة في حمل ما يحملون من معايشهم وأمتعتهم وتجاراتهم، والفلك عند شحنها أعظم ما يكون خطرا، وأخوف ما يكون أهلها للغرق عليها خوفا، إذا كانت الشاحن أقرب إلى العطب؛ لثقلها ورسوخها في الماء.

ثم قال سبحانه عند هذا الذكر بعينه، ما تولى من سلامتهم مذكرا: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾، يعني: لا مغيث في لجج البحار وأمواجها، يصرخهم ويغيثهم عند غرقهم؛ لهيجان موجها وارتجاجها، يقول الله الرؤوف الرحيم، بخلقه الكريم: ﴿إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين﴾، يعني: أن سلامتهم لم تكن وإن كانت الفلك قد وصلوها وأتقنوا من بنائها وجعلوها كما جعلوها، إلا بحملان من الذي ذكر، والحملان هاهنا المذكور ليس هو إقلال عيدان الفلك وألواحها وحده؛ ولكنه تسليم الله وحمله بالسلامة في هول البحار عبيده، إذا عظم ما رأى ونظر من عظيم الفلك والسفن الكبار، مع عظيم البحر وكبره وعتو أمواجه كالذباب الصغير الطائر، الذي يمر طائرا حقيرا في سعة الصحارى والقفار؛ فبرحمة الله القدوس جل وتعالى نجوا، وبحملانه لهم بالخروج من البحر ظفروا، وإلى حين ما موقوت من آجالهم ما امتنعوا بالحياة (١) وأخرجوا؛ لقول الله سبحانه بعد ذكرها ما ذكر به العباد، من هذه النعم وهو يخوفهم – لا إله إلا هو – العقوبة فيما خلفهم من الذنوب، ومحذرا لما بين أيديهم إن لم يتقوه من الخطايا والحوب: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾، يعني سبحانه: فلا تعاقبون إذا تبتم واتقيتم، إذا جزتم من ماضي الذنوب، فخلفتم وراءكم إذا تبتم. ﴿وما بين أيديكم﴾: فالاتقاء للذنوب فيما يستقبلون، التي ترديهم. ﴿وما خلفكم﴾ فهو: ما مضى في الخطايا وفات منهم؛ والتوبة التي

(١) – لعل الكلام: وإلى حينٍ ما موقوتٍ من آجالهم تمتعوا بالحياة وأخرجوا.

هي الاتقاء فهي: التي تتقى بها الخطايا فيما خلفهم وبين أيديهم، فلما انتهى الخبر إلى قوله سبحانه: ﴿لعلكم ترحمون﴾، ولم يذكر عنهم جوابا ولا طاعة -علم أنه إذ لم يذكرهم بالرضى ساخط عليهم؛ لإغفالهم اتقاء ما بين أيديهم وما خلفهم؛ وهذا من مفهوم الكلام عند العرب وأبلغ الاختصار، والمعقول بالمعنى الظاهر منه باطن الإضمار.

ثم ذكر سبحانه إعراضهم عن الآيات، التي نزلها على نبيه، وما يريهم منها في آفاق السماوات، فقال: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾، وذكر - لا إله إلا هو -بخلهم عن الإنفاق مما رزقهم، فقال: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾، فأجابوا فيما دعاهم الله إليه من إطعام الفقير والإنفاق، جواب اللئام البخلاء الجاهلين مثلهم، واحتجوا على النبي ومن دعاهم إلى ذلك من المؤمنين بما لا حجة لهم فيه، فقالوا: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾، وجهلوا أن ما دعاهم الله إلى إطعام الفقراء محبة لهم بذلك واختبار وبلوى؛ ليجزيهم الله في إطعامهم والإنفاق في ذلك مما رزقهم الجزاء الأوفى، الذي هو أطيب وأعظم مما أنفقوا وأزكى وأكبر، وقد علم النبي عليه السلام والمؤمنون، إذ هم لهم إلى الإنفاق داعون: أن الله أقدر القادرين، على إطعام الفقراء المعسرين؛ فذكر الله ما كان من ترك الإنفاق، من جواب الكافرين؛ ليكون المؤمنون لمثل معصيتهم فيما أقروا به حذرين.

ثم قال تبارك وتعالى مخبرا عما كان الكافرون عليه من التكذيب بيوم القيامة ووعدها، بإنكار الكفرة للبعث وجحدها، فقال: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾، يقول الله سبحانه، وهو يخبر أن الصيحة تأتيهم، وهم بالغفلة والتكذيب عنها من الساهين: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾، يعني تبارك وتعالى - وهو أعلم وأحكم - أنها تأتيهم بغتة وهم في

غفلة يتخاصمون في معايشهم وأمورهم فلا يدرون ، حتى تهجم الصيحة عليهم وهم في غفلة مغترون، ﴿فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾، والتوصية هاهنا: الوصية، عندما يعاينون من التلف والمنية. ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾؛ لأن ذلك يهجم على أكثرهم وهم مقبلون، ومدبرون في أسواقهم ومعايشهم غافلون.

ثم أخبر تبارك وتعالى عما يكون بعد الصيحة، عند النشور في الصور من النفخة، والصور هاهنا - والله أعلم -: جماع الصور التي ينفخ فيها الأرواح، فتحيى للبعثة والنشر، فقال : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾، وحينئذ يخرجون من أجداثهم - وهي القبور - ينسلون، والنسلان في المشي: السرعة التي هي دون العدو.

وقال جل وتعالى عن الكفار مخبرا بغفلتهم، عن طول ما مر من الدهور بهم وهم في قبورهم، قبل حياتهم ونشرهم، ونشأتهم عند قيامهم لموتهم وحشرهم؛ لما كان من سرعة بعثهم، حتى توهموا إذ لم يحيوا بتجديد الله لما بلي من رسمهم، فيعلموا أنهم كانوا في رقدة، إذ لم يدروا بطول ما مر بهم من الأمد والمدة، ثم ذكروا أنهم كانوا ميتين، فقالوا عند الذكر فزعين مرتاعين، واتصل بفكرهم إذ أيقنوا ببعثهم ونشرهم جميع ما وعدوا به من الوعيد، فنزل بهم عند الفكر في ذلك هائل الكرب الشديد الوبيل، فدعوا من الويل بما ذكره الله في التنزيل، وقالوا: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾، يقول الله سبحانه مخبرا عما يكون من سرعة إحضارهم ذاكرا: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾.

ثم أخبر سبحانه بكرمه وفضله، من حكمه يومئذ بين عباده بعدله: أنه لا يظلم في ذلك اليوم نفسا، ولا يجزي كل عامل إلا بما كان من عمله، فقال: ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعلمون﴾.

ثم أخبر لا إله إلا هو عن: أصحاب الجنة، وما يمن به عليهم في ذلك اليوم من المنة: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾: مبكتا ومحسرا للعصاة الكفرة؛ إذ هم لنعمه كافرون بما أعطى الأبرار، من النعيم والنجاة من النار، ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾؛ فخبر سبحانه عن شغلهم الذي شغلهم، والشغل المذكور فيما ذكر الله من هذه الصفة: كلمة تقولها العرب عند الخلوة من الرجل لجماع زوجته معروفة؛ فأخبر تبارك وتعالى عن إقبال أهل الجنة آمنين، على التي لا كنساء الدنيا، بهن وبخلوتهن مشتغلين، عاكفين عليهن، في الأرائك متكئون، وما ذكر الله سبحانه هاهنا من الظلال فهي فيما نرى: القباب، ونحوها من الحجاب؛ إذ فضل هذه الظلال المذكورة، على ظلال الدنيا على قدر فضل الآخرة؛ لأن فضل نعيم الجنة في الكمال -فضل فائق لنعيم الدنيا في كل حال، لا يخطر اليوم لعظمه وكبره بالبال: كيف كنه مبلغه، إلا أنه قد يعلم من فهم صغر الدنيا عند الله ونقصها: أن الله سبحانه لم يفضل الجنة حين ذكرها معظما لقدرها، وواصفا لكبر أمرها، إلا وهي التي لا يلحق شيء من نعيم الدنيا بها.

ثم أخبر سبحانه عما لأصحاب الجنة فيها من الفواكه المفكهة المعجبة، فقال: ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾، وتأويل: ﴿ما يدعون﴾ هاهنا - والله أعلم - هو: ما يدعون به ويتمنون.

ثم ذكر جل ثناؤه ما لأهل الجنة من السلامة؛ إذ هي عليهم من أعظم النعم، عند تسليم الله لهم مما يعاينون يوم القيامة من أهوال النقم، ولعظم السلامة يومئذ وقدرها -ما ذكر الله: أنها - من قوله في الجنة عند ذكرها - ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾، فجعل تحيته لهم بالسلامة التي هي من السلام من أعظم التكريم؛ لأن السلام في نفسه إذا قيل في الدنيا والآخرة فإنما معناه: السلامة بغير ما شك ولا مرية، سواء قيل: السلام عليكم، أو قيل: السلامة.

ثم أخبر جل وتقدس عما يقال للمجرمين في ذلك اليوم من الأمر لهم

بالامتياز، الذي تأويله - والعلم عند الله -: التنحي عن المؤمنين بالعزلة والانحياز، فقال سبحانه: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾.

ثم ذكر قوله - تعالى من قائل وتقدس - يوم القيامة لبني آدم، وهو يوقفهم على ما ترك ما أمر به إليهم، وما نهاهم عنه في الدنيا من عبادة الشيطان التي ترديهم: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾، والمبين من الأعداء: الذي قد أظهر العداوة غاية الإظهار والإبداء.

ثم ذكرهم - لا إله إلا هو - به من عبادته وأمرهم، فقال: ﴿وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾، والمستقيم: المعتدل الذي لا اعوجاج له القويم.

ثم بكتهم جل وتقدس، وأنبأهم بما أضل الشيطان من القرون الكثيرة منهم، فقال: ﴿ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾، وأهل اللسان فلا يمترون أن الجبل: القرون، وفي قوله: ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ تفهيم منه لهم: أن العقول من حججه عليهم، وأنهم إذا عطلوا عقولهم، غير معذورين باتباع عدوهم الذي يغويهم.

ثم قال سبحانه لهم بعد التقرير والتوقيف، والتبكيت بذنوبهم والتعريف: ما ذكر من إيجاب المعاقبة عليهم بالنار في المقالة الكبرى، التي زال بها عنهم عند معاينة جهنم الشك والتكذيب والامتراء: ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون (٦٣) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾، فحينئذ وقعت عليهم الحسرة، وصاروا إلى غاية العقوبة، التي وعدوا بها في الآخرة، إذا صلوا نار جهنم، وندموا وتحسروا ولات حين مندم.

ثم أخبر جل ثناؤه عما يريهم يومئذ من آياته العظام، باستشهاد أعضائهم عليهم فيما ارتكبوا من المعاصي والخطايا والآثام، وإصمات ألسنتهم من الشهادة والكلام، فقال: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما

كانوا يكسبون﴾؛ ليروا من آياته سبحانه وعدله، وحكمه على كل ظالم إن سخط عليه في ظلمه -آية عظيمة من آياته؛ إذ شهدت جوارح الخاطئ منهم عليه بخطئه، فأراهم آية بينة من الآيات التي لا شك فيها، واستشهد من أعضاء أبدانهم شهودا عليهم تعلمهم، لا تهمة عندهم عليها، ولا ينكر من عرف قدرة الله وفضلها - إذ هو الذي أنطق اللسان - أن ينطق ما شاء من الأعضاء كلها؛ لأن اللسان إنما هو عضو من البدن، ولولا أنه أنقطه لم ينطق ولم يبن. وقد يمكن - والله أعلم - أن تكون شهادة الأعضاء عليهم: توقيفهم على كل خطيئة عملتها جوارحهم، مما مشوا إليه بأرجلهم، وبسطوا فيه بأيديهم، فلا ينكرون عند توقيفهم على خطاياهم ما له من النعم والامتنان عليهم.

﴿لينذر من كان حيا﴾، يريد تعالى بالحياة: حياة العقل والنفس في قبولها للهدى وتذكرها؛ لأن من كان لا يتذكر بالقرآن فهو كالميت الذي لا حياة فيه ، لا يبصر نور القرآن المضيء كضوء الشمس، لولا تعامي الكافر عما أهدي به إليه. ومعنى قوله: ﴿ويحق القول﴾ أي: يقع الوعيد ويجب العذاب على الكافرين.

ثم رجعت القصة والخبر إلى مثل ما ذكر الله في أول السورة، ونبه عليه من شكر النعم، فأخبر سبحانه عن تمكينه لهم الأنعام؛ إذ جعلهم لها مالكين، يفعلون فيها ما يشاؤون، فقال - لا إله إلا هو - منبها ومذكرا: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون﴾؛ تفهيما منه سبحانه لعظيم النعمة في الأنعام، والأنعام فهي: ما جعل الله تبارك وتعالى وخلق من الآبال، وهي من نعم الله على الناس العظام الكبار، فملكهم إياها، وهو الذي ابتدعها وأنشأها. والأيدي هنا: القدرة، وما لله على صنع ما أراد من القوة؛ تقول العرب:" أنا فعلت بك ما فعلت بيدي من الخير "، ولعل إحسانه إليه إنما كان بالأمر واللسان، وكيف يتوهم من عقل ما لله من العظمة والجلال: أن ما ذكره الله من اليد فيها فعل وخلق

إنما هي يد لا كالأيدي، والله لا شريك له يجل ويعز ويتعالى عن الأعضاء والأوصال؟! وهو يقول في كتابه المحكم المبين، ما يدل في هذا المعنى على إكذاب من توهم في اليد تشبيها من المشبهين، إذ يخبر عز وجل كيف يخلق ما أراد خلقه بقدرته، فقال: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠]، فهو سبحانه يخبر أن جميع ما أراد خلقه -بلا معاناة يدخل فيه بتكلف يتكلفه، وإنما يكون ما أراد صنعه بكلمة، أسرع الكلام في المعقول والأفهام، كسرعة لمح الطرف من الأبصار، وهو:" كن "؛ فسبحان من جل وتقدس، وعلا عن أن يكون له شبه، أو يضرب له مثل به مثلا، أو يتوهم محتاجا لعظمته إلى أن يزاول بيد أو بنان عملا، جل وتقدس عن الأعضاء الموصلة من اليد والبنان، وعن شبه من لا يعقل - جل جلاله وعظمته - له بالإنسان.

ثم أخبر سبحانه عن تمليكه لهم الأنعام، إذ جعلهم لها مالكين، يفعلون فيها ما يشاؤون، وذكر تذليله لها، مع عظم خلقها، وشدة أسرها وأوصالها، وغلبتها لما هو أعظم قوة ضعافا من الإنسان، فأمن غضبها وصيالها، وذللها سبحانه مع هذا كله من أمرها للإنسان، فبلغت في الذل والذلة، والإقبال والتصرف لضعف الصبيان، يقول الله سبحانه عند ذكر تذليله لها: ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾، والركوب للإبل فهي: الراحلة، فمنها لعمري - كما قال الله سبحانه - ركوبهم التي يركبون، وبها وبركوبها على أسفارها البعيدة يقوون؛ لأنها في الأسفار من أفضل ما به يتبلغون، وغيرها من الدواب وإن ركب لا يقوى على ثقال الأحمال، ولا يصبر في السفر على طول المدة من انقلاب الأيام والليالي على مثل ما يطيقه ركوب الآبال، والركوب في عربي اللسان من الإبل -فهو: ما ذل وركب وحمل، وكذلك الحلوب التي تسميها العرب فهي: المحلوبة التي تحلب. ثم قال الله الجواد الكريم، الذي لا يبلغ جوده وكرمه ورحمته جواد ولا رحيم: ﴿ومنها يأكلون﴾، فهي لعمري عند العرب من أفضل ما يأكلون، وأطيبه لحما،

وأجزاها في النحر والجزاء أعظمها عظما.

ثم ذكر ماهم فيها من المنافع الكثيرة التي يعملونها، ويرفقون بها من الجلود والوبر، فذكر ما فيه منه من ذلك من منة ومعتبر، وذكر سبحانه عظيم النعمة في لبنها السائغ المشروب، فلا يذكر تعالى أبدا ولا يعجب بعجيب، فأي لبن الإبل في فضله وصحته، وجودة غذاءه في الأبدان ومنفعته، وما لشاربه بشربه من عجيب الزيادة في قوته. تقول العرب قولا واحدا، تجمع عليه من بلدانها، مع أنه لم يدخل الأجواف شراب قط أصح صحة، ولا أنفع منفعة، ولا أبين في الأبدان أثرا، أطيب لريح الأجساد طيبا، ولا أنقى لكل آفة وداء، ولا أصفى للألوان صفاء، وألطف للبطون مع شدة العصب البدن لطفا -من ألبان الإبل . ويقال: إن ما في عرب البادية من صفاء الألوان، ولين الأسنان، وقوة البطش في الأبدان إنما هو لما يشربون من ألبان الإبل؛ فمتى ذكر الله سبحانه المنة بنعمة بينة لها ما من على الناس من النعم -فليفهم من عقل وفكر وتفهم: أن في المذكور خبرا عجيبا من الأمور، وقد أجمع الأطباء: أن ألبان الإبل لكبار من الأسقام أصح الدواء، وهو بعد من أطيب ما يشرب من اللبن، وأنفعه في الغذاء. وقد يقول من يشرب المسكر المحرم، من مجان العبر وشطارها: إن لبن الإبل يجدونه أصح - إذا شربوه - من المسكر، لما يجدون به من القوة، ويصفي من الألوان ، ويلين من أبشارها؛ قال الله سبحانه وتعالى منبها على الشكر لفضل ما جعل من الأنعام، من النعم الكبار العظام: ﴿أفلا يشكرون﴾.

ثم رجع القصص والخبر إلى ما في أول السورة، من تنبيه المنذرين الذين ذكر الله سبحانه أنه بعث إليهم رسله للتذكير والنذارة، فذكر ضلالهم في أصنامهم، وما يقولون به كذبا ويموهونه باطلا في عبادتهم من النصرة: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾.

ثم أخبر الرحمن الرحيم: أن آلهتهم لا يستطيعون نصرهم، وأنهم جند لهم

محضرون.

ثم عزى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عما يجد من الحزن بقولهم والغم، الذي يعزيه رحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم لعشيرته من النار، وحزنا لما يكذبونه فيما أنذرهم وأخبرهم من صادق الأخبار، فقال تعالى: ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

ثم قال سبحانه على الكافرين محتجا بالحجة والبرهان، وموقفا ومنبها لغفلة هذا الإنسان، فيما استعظم من التجديد بعد البلى لميت الأبدان: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾؟! أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة مذرة، خارجة من قذاة النجاسة، فإذا هو خصيم مبين، فذكر الإنسان بما لا ينكر ولا يقدر على جحده؛ بل هو مقر من خلقه من نطفة؛ والنطفة في اللسان: القطرة الصغيرة، القليلة عند العرب من معروف البيان، وقد يدور ذلك بينهم كثيرا، ويقول القائل إذا ظمئ وعطش، وقل الماء في السفر إذا طلب ماء يسقاه من رفيق أو غير رفيق، وكان الماء عزيزا غير موجود:" يا هذا اسقني نطفة قليلة "، يريد : قطرة من الماء حقيرة غير كثيرة، وكذلك تقول العرب في وصف ما في السقاء والوعاء، إذا ذهب ماء القربة أو الوعاء، فلم يبق منه إلا الصبابة القليلة:" ما بقي في القربة أو غيرها إلا نطفة "، يريدون: قطرة، في التقليل قليلة؛ فذكر الله الإنسان، بعجب عجيب من الشأن، في قدرته على خلقه من أقل القليل، من النطفة والماء المهين الذليل، مبتدئا له ومخترعا؛ والنطفة فهي: النطفة في بنيتها، وضعفها ووهنها ومهانتها، لا روح فيها ولا حياة، ولا أعضاء ولا صورة مهيأة، ثم أخرج منها مع ضعفها وقلتها: بدنا وأعضاء عجيبة في تأليفها وترصيفها فيها، مع ما فيها من الحواس الخمس، من البصر والسمع والشم والمذاقة واللمس، وما هو أعجب من ذلك كله، مما لا تحس هذه الحواس إلا به، من النفس والعقل، وما صارت تلك النفس إليه من العقل، فبينما هي نطفة لا

تعقل، إذ صارت إنسانا خصيما يقبل ويدبر، ويسمع ويبصر، ويشم ويذوق، ويلمس وينطق، ويخاصم مبينا في خصومته؛ فأي آية أدل لهذا الإنسان على قوة الله وقدرته، على إحيائه وتجديد رميم عظامه بعد موته، وما أراده من عجيب آلائه، والدلالة على قدرته في خلقه من النطفة، وما قدرها وفيها من صورته، فالله الذي خلقه بعد إذ لم يكن -هو القادر على تجديده ما بلي له بعد الموت من البدن؛ لأن عمارة الخراب من الأشياء، وتجديد ما بقي لها من البقايا -أقل من المعقول المعروف، وأهون من الاختراع لها والابتداء.

ثم قال - لا إله إلى هو - للذكر الجاهل، التائه في ضلالة الغافل، الذي لم يفهم قدرة ربه القدير ولم يعقل: ﴿وضرب لنا مثلا﴾، وهذا مثله الذي ضرب، وسمي مثلا، لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل، وهي إنكاره قدرة الله على إحياء الموتى. ثم قال: ﴿ونسي خلقه﴾ أي: ترك خلقه أن يستدل به، أو شبها على الاعتبار به، أي: مثل لنا مثلا ونسي ابتداء خلقه، وما هو حجة عليه، وهو أن الله ابتدأه، واخترعه من نطفة ولم يكن شيئا حتى صوره وهيأه، وقدره كما قدر سواه، وأن إعادته بعد البلاء -أقل من الإنشاء والابتداء، وذلك حين قال الإنسان الضال الذميم: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾؟! استبعاد أن يعود خلقا جديدا؛ فأمر الله تعالى نبيه أن يجيبه بما فيه دليل لأولي الألباب، فقال سبحانه: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ في الدنيا، أي: من قدر على إنشائها أول مرة من غير شيء -فهو قادر على إعادته في النشأة الثانية من شيء، ثم قال سبحانه: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾، يريد: أن الله عز وجل عالم من وجود الخلق بما لا يعلمه إلا هو، فهو عالم كيف يخلق مبتدئا إذا خلق، وكيف يخلق البدن بعد بلائه خلقا ثانيا إذا بلي وتمزق، كل هذا من الخلق وغيره من وجوه خلق المخلوقات، التي خلقها بين الأرض والسماوات -فهو فيه بكل خلق عليم، هو عند من كان ذا فهم وعقل يفكر في قدرته -قادر على إحياء العظام وهي رميم؛

والرميم: اسم لما بلي من العظام، غير صفة كالرمة والرفات، فلذلك لم يؤنث حين أخبر به عن المؤنث، فلا يقال: لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث، ولا هو فعيل بمعنى: فاعل أو مفعول، وفيها دليل على أن الحياة تحل العظام.

ثم زاد تبارك وتعالى من نظر واعتبر آية أخرى، وهي من آياته ودلائل قدرته الكبرى، ومكذبة لمن كان بجهله لإحياء الموتى منكرا، فقال - لا إله إلا هو - مذكرا ومعبرا: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾، والشجر الأخضر فهو: الرطب المخضر، إذا قدحت بعيدانه النار مع خضرته وندوته؛ فجعل الله النار المحرقة في عيدانه آية مسكتة غير محرقة، لما هي فيه من العيدان لا يراها راء ببصر ولا عيان، حتى يخرجها الله بالقدح من العود للإنسان؛ فأي أعجوبة أعجب، أو آية في التنبيه على قدرته أقرب، من هذه الآية؛ إذ يخرج الله النار الحارة المحرقة، من عيدان الشجر الباردة الخضراء المورقة، ويقال: إنها والله أعلم شجرة المرح، وهي شجرة من أسرع الشجر عند القدح للنار إبراء، وهي أبدا في القحط والخصب خضراء، وهذه آية عظيمة من عظام الآيات بغير ما شك ولا امتراء، يقول الله سبحانه : ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾، أي: من الشجر الأخضر.

ثم ذكرهم بما هو أعظم في الحجة على قدرته عظما، وأفهمهم لمن ينتبه على ترك الغفلة فهما، في خلق السماوات والأرض، فقال: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾، أي: مثلهم في الصغر والقلة بالإضافة إلى السموات والأرض، أو يعيدهم؛ لأن المعاد مثل المبتدأ، وليس به؛ قال الله الصادق الكريم: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾، فذكرهم بالعظيم الجليل من قدرته، من خلق أرضه وسماواته، ونبههم على أنه إذا قدر على أن يخلق العظيم الكثير من ذلك، أو اقل منه في قدرته إحياء رميم عظام كل ميت هالك، لأن من خلق جميع بني آدم من أول الدنيا إلى آخرها -أقل من خلق الأرض

كلها، فضلا عن السماوات التي هي أضعافا من الأرض وعظمها وكبرها.

ثم مثل تعالى سرعة فعله من خلقه وصنعه، بقوله عز وجل: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾، خبر من الله جل جلاله وإفهام لعباده، وتبيين أنه لا يعاني من أدنى خلقه من الخلق والصنع والأمور بمعاناة كلفة، ولا مزاولة كف ولا بنان؛ إذ هو متعال عن أن يوصف بأعضاء وغير شبيه بالإنسان، وأن أمره إذا أراد خلقا أو شيئا، أن يقول له في أسرع من لمح البصر:" كن " فيتمثل كائنا، يقول الله سبحانه منزها: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾؛ فسبحان هاهنا وفي جميع القرآن فإنما معناها: بعدان، يريد الله سبحانه: أنه بعيد عما قال به الجاهلون، وأنكره من قدرته على إحياء الموتى الكفرة الذين لا يعقلون.

وأما قوله تعالى: ﴿الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ فمعناه - والله أعلم -: الذي في ملكه وقدرته ملكوت كل شيء، واليد عند العرب وأهل الفصاحة منهم فهي: القدرة، لا اختلاف في ذلك بينهم؛ ولذلك ما يقول الله عز وجل في تنزيله، عند الصداق في النكاح وذكره: ﴿إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾، فعقدة النكاح ليست: بعقد حبل معقودة، ولا هي في يده وقبضته ترى كالعقد معاينة موجودة، وإنما هي في يده بملكه لها وولايته إياها، فكذلك الله: فبيده ملكوت كل شيء؛ إذ يقول: الله المالك للأشياء كلها الذي خلقها وابتدأها؛ والملكوت في اللسان فهو: الملك كله جميعا في البيان، وكذلك الجبروت فهو: التجبر والتعظم، الذي لا يجوز لغير الله، وهو كله لله معا.

وقوله سبحانه، وجل وتقدس وعظم عن أن يضرب في شيء مثلا: ﴿وإليه ترجعون﴾ -فأصدق القول؛ إذ الخلق جميعا إليه مرجعهم عند الموت والوفاة، وحين يبعثون.

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)﴾ [الصافات: ١ – ٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال محمد بن القاسم عليه السلام: سألت أبي – رحمة الله عليه ورضوانه – عن قول الله سبحانه: ﴿والصافات صفا (١) والزاجرات زجرا (٢) فالتاليات ذكرا (٣)﴾؟

فقال: ﴿الصافات صفا﴾ فيما أرى – والله أعلم –: أنها الملائكة التي وصف الله بذكره، وهي واقفة وقفا. ﴿والزاجرات﴾ هن: الذاكرات التي يعلن بالذكر، ويزجرن فيه بالزجر، والزجر فهو: الرفع للصوت والإعلان فيه بالرجات؛ لأن الصوت الشديد ربما صدع من صخر الجبال ما صلب؛ واسمع لذلك وفيه، ومن الدلالة عليه: ما يقول الله سبحانه في تسبيح الملائكة: ﴿تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ [الشورى:٥]، خبرا عن رفعهم للأصوات وتسبيحهم، ويتفطرن فهو: يتصدعن، وفوقهن فهو: ظهورهن وذراهن، وهو: ما يلي الملائكة صلوات الله عليهم من أعلاهن، يدل على أن الملائكة عليهم السلام الصافات صفا، وأنهم هم الموصوفون بما ذكر من هذه الصفة وصفا، بقولهم صلوات الله عليهم: ﴿وإنا لنحن الصافون (١٦٥) وإنا لنحن المسبحون (١٦٦)﴾ [الصافات].

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والصافات صفا (١) فالزاجرات زجرا (٢) فالتاليات ذكرا (٣)﴾؟

فقال: الصافات فهي: الملائكة، وذلك قوله سبحانه: ﴿وإنا لنحن الصافون (١٦٥) وإنا لنحن المسبحون (١٦٦)﴾ [الصافات]، ومعنى صافات فهو: وقوف صفوفا لله عابدون. ﴿والزاجرات زجرا﴾، فالزاجرات فهي: الملائكة أيضا، الزاجرات للخلق عن معاصي الله الخالق، بما تنزل به من أمر الله ونهيه، ومؤكدات فرضه. ﴿فالتاليات ذكرا﴾ فهن: الملائكة أيضا، التي تتلوا وحي الله على أنبيائه، وتنزل بزواجر آياته لأنبيائه.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)﴾ [الصافات: ١١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾؟

فقال: معنى ﴿استفتهم﴾ فهو: سلهم. ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنا﴾، يقول: من الملائكة والجن وغير ذلك ممن خلقنا، يريد: إن الذي خلق من الملائكة والجن وغير ذلك ممن خلقناهم -أشد خلقا، وأعظم أمرا، وأبين في المقدرة من خلق الإنس. ثم أخبر سبحانه بالذي خلق منه الإنس، من هذا الطين اللازب؛ فهو: الطين العلك الشديد الملتصق.

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)﴾ [الصافات: ٢٤]

قال في كتاب ينابيع النصيحة:

قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسئولون (٢٤)﴾، يعني: عن ولاية علي بن أبي طالب. ذكره أبو الأحوص عن أبي إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)﴾ [الصافات: ٢٧-٢٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٧) قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩)﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن تساؤل أهل النار وتلاومهم، فقال التابعون للمتبوعين: بل كنتم تأتوننا عن اليمين، ومعنى تأتوننا عن اليمين فهو: تأتوننا عن الأمر الميمون المبارك، الذي فيه لو اتبعناه اليمن والنجاة؛ كنتم تأتوننا دونه، أي: تغووننا في تركه؛ فهذا معنى إتيانهم إياهم عنه، أي دونه، يصرفونهم منه، وينأون بهم عنه؛ فقال المتبعون للتابعين: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾، أي: لم تكونوا مهتدين، ولا بالذي كذبنا به مصدقين.

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾؟

والمعين هاهنا فهي: خمر الجنة، المباركة الطيبة. ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾: يصف حسنها وصفاءها، ويخبر أنها بيضاء يلتذها كل من شربها، ويستطيب طعمها. ﴿لا فيها غول﴾، يقول: لا فيها أمر يغتال عقولهم، ولا يزيل أفهامهم، ولا يضعف أبدانهم؛ بل هي تشد أعضاءهم، وتحسن حالهم. ثم أخبر أنهم لا ينزفون عنها، والنزف فهو: ما ينزل بشراب الخمر في الدنيا من القيء الذريع، وغير ذلك مما يكون منهم من الفضائح الشنيعة، والأمور القبيحة؛ فأخبر سبحانه أن خمر الآخرة بريئة من كل غول وبلاء، أو آفة أو ردى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)﴾ [الصافات: ٥١-٥٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين (٥١) يقول أإنك لمن المصدقين (٥٢)﴾، إلى قوله: ﴿في سواء الجحيم (٥٥)﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن مخبر يريد خبرا عما كان فيه أهل الدنيا من

الكفر والتكذيب؛ فأخبر عن هذا المخبر: أن المؤمن سيقول هذا القول، يخبر به عن قرينه الذي كان يصده عن التصديق بوعد الله ووعيده، وبعثه لخلقه من قبورهم، بعد موتهم وزوالهم؛ فأخبر أنه كان يقول: أإنك لتصدق بما يقول به محمد، من أنك تبعث بعد موتك، هذا ما لا يكون، لن تبعث بعد الموت، ولن تدان؛ ومعنى ندان فهو: نجازا على أعمالنا ونحاسب؛ فكان المؤمن مصدقا بما كذب به الكافر، غير مطيع له في قوله، ثم ذكره في الآخرة، فأحب أن يدري أين صار، فأطلعه الله على أمره، وأراه موضع محله من النار، وسوء القرار والدار، وذلك قوله عز وجل: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم (٥٥) قال تالله إن كدت لتردين (٥٦)﴾، يقول: كدت أن تهلكني، بما كنت تغويني به في الدنيا، وتأمرني أن أكفر بربي، فلولا رحمة الله لي لكنت من المحضرين في العذاب معك، غير أن رحمة الله تخلصني مما أوقعت فيه نفسك؛ إذ كنت بوعيد الله من المكذبين، وكنت أنا بوعيده من المصدقين.

قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)﴾ [الصافات: ٨٨ - ٨٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله تبارك وتعالى في إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿فنظر نظرة في النجوم (٨٨) فقال إني سقيم (٨٩)﴾؟

فقال: معنى ذلك: أن قومه كانوا يعبدون النجوم السبعة، فلما نظر إلى جهلهم، وما هم عليه من عبادتهم، لما هو مخلوق مربوب، يدخل عليه الزيادة والنقصان، وأنه آفل زائل، منتقل حائل -فقال: إني سقيم؛ معنى قوله: ﴿إني سقيم﴾ أي:

سقيم القلب؛ لما أنتم عليه من عبادة هذه المخلوقات المحدثات، وانصرافكم عن الله في كل الحالات، وقلة نظركم، وتدبيركم وفكركم في عظمة خالقكم، وجهلكم في عبادة أصنامكم، واجتنابكم عن طاعة ربكم وإلهكم، وخالق هذه التي تعبدون؛ ونظره في النجوم فإنما هو: فكره وتدبره فيما هم عليه من عمايتهم، وقلة نظرهم لأنفسهم؛ لا كما يقول الجاهلون من أنه كان منجما، وأنه كان يستعمل النجوم، ويحسب بها، وليس ذلك، ولا يجوز على نبي الله شيء من ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [الصافات: ٩٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول إبراهيم صلى الله عليه: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾؟

فالله خلقكم وحجارة الأصنام التي كانوا يعبدون، وكما قال صلى الله عليه: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾، وسواء قوله: ﴿وما تنحتون﴾، وقوله: ﴿وما تعملون﴾.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾؟

قال: الذي عنى بذلك سبحانه فهي: الحجارة التي ينحتونها أصناما، ويعملونها لهم آلهة، وما أشبه ذلك من الأنصاب التي يعبدونها؛ فهذا معنى: ﴿وما تعملون﴾، فالله خلقهم ومفعولهم، ولم يخلق سبحانه فعلهم، والمفعول فهو: الصنم الذي ينحتونه من الحجارة، وفعلهم فهو: الحركة التي كانت منهم، من الرفع والوضع والنحت، فالله خلق الحجر الذي عملوه صنما، ولم يخلق الفعل الذي كان منهم في نحت الحجر.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿الله خلقكم وما تعملون﴾: فالمراد بذلك: وما تعملون فيه

خلاف مراده، كنحتهم لأصنامهم وعبادتها؛ فكأنه قال تعالى: هو الذي خلقكم وخلق الخشب والحجارة الذي صنعتموه، وجعلتموه ربا لكم من دون خالقكم، فبئس للظالمين بدلا، وإلا لو كان خلق العبادة والنحت في الخشب والحجارة -لما نهى عنه وذم عليه.

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

معناه: خلقكم والحجارة التي تعملونها أصناما لكم؛ بدليل أول الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩)﴾ [الصافات: ٩٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

يريد: سيهدين: يزيدني بمهاجرتي إليه من هداه فيقويني، فهداه في هجرته سبيله، وجعله بهداه له خليله، فلم يزل صلى الله عليه وسلم مهتديا، حتى قبضه الله على هداه ورشده رضيا، فأجزل له في الهدى والهجرة الثواب والرحمة، وجعل في ذريته من بعده النبوة والبيان والحكمة، وأعطاه برحمته وفضله الله رب العالمين -ما سأله أن يجعله له من لسان صدق في الآخرين، فبقي في الغابرين بالصالحات ذكره، وآتاه بذلك في الدنيا أجره، كما قال أرحم الراحمين: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت: ٢٧]؛ فنسأل الله الذي أجزل له في الدنيا والآخرة من الخير أن يجعلنا له برحمته من صالح الأبناء، وأن يهبنا بطاعته له وعبادته، شكر ما أنعم به علينا من ولادته.

وقال في كتاب التبصرة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام:

أي: إلى حيث أمر ربي.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

أراد: إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي؛ وقد روي هذا التفسير عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ابن عباس وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾[الصافات: ١٢٣، ١٢٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥)﴾؟

فقال: كان إلياس صلى الله عليه نبي مرسل عاتب قومه وزجرهم عن عبادة هذا الصنم الذي يعبدون من دون الله، الذي اسمه بعل، فقال صلى الله عليه: ﴿أتدعون بعلا﴾ أي: صنمكم هذا، فمعنى تدعون هو: تعبدون وتطيعون هذا المعبود من دون الله، الذي لا ينفع ولا يضر، تدعونه إلها لكم، وتذرون أحسن الخالقين، الذي هو رب العالمين، الله إله الأولين والآخرين. ومعنى قوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ فهو: أحسن الفاعلين والصانعين؛ والعرب تسمي كل من فعل شيئا: خالقه، تقول:" خلق فلان ثوبا "، أي: خيطه، " وخلق فلان جدارا "، أي: بناه، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت ... وبعض الناس يخلق ثم لا يفري

يريد: يعمل، ثم لا يتم.

قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)﴾ [الصافات: ١٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾، فقلت: كيف ساهم؟ وما كان سببه؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: كان يونس صلى الله عليه عندما كان من غضبه على من كان بينهم، وانصرافه عنهم -ركب في السفينة، ومضى مع أهلها، فلما وسطوا في لجج البحر، وصاروا في ظلمته -وقفت السفينة بهم، ولم تحول من موضعها، فأرادوا العمل في مضيها فإذا بها غير زائلة، فتراجع القوم بينهم، فقالوا: إن فيكم لرجلا ذا خطية، فتساهموا بنا، فمن وقع عليه السهم رمينا به في البحر. فضربوا السهام على الرمي به، فخرج فيهم يونس، ثم ضربوه ثانية، فخرج سهم يونس، ثم ضربوه ثالثة، فخرج سهم يونس، فقال صلى الله عليه: ((أنا صاحب الخطية))، فتلفف في كسائه، ثم رمى بنفسه، فالتقمه الحوت كما ذكر الله سبحانه. ومعنى المدحضين فهم: المغلوبون الذين لم تقم لهم دولة، ولم تثبت لهم حجة؛ والعرب تسمى كل مهلك وتارك للرشد: مدحضا، ودحض، يقول:" فلان دحض في الخطية "، أي: وقع فيها، ويقول:" دحض في البلاء "، أي: توسط ونزل به.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة السابعة عشر عن: قوله: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾: ما سببه ؟

الجواب عن ذلك: أن هذه في قصة يونس عليه السلام، وذلك أن قومه لما كذبوه ضاق ذرعه، ودعا عليهم بلا إذن من الله سبحانه له بذلك، ثم خرج منهم كعادة الأنبياء عليهم السلام، فلقي سفينة، فركب فيها، فلما توسطوا لجة -تغطط [1] بهم

---

(١) – قال في القاموس المحيط: غَطْغَطَ البَحْرُ: عَلَتْ أمْواجُه، كتَغَطْغَطَ. اهـ

البحر، واصطكت أمواجه، وأحلكت عليهم الظلمة، فقالوا: هذا لأن فينا مذنب. فقال عليه السلام: ((أنا ذلك المذنب، فأمروا بي، ولا تهلكوا بسببي.))، وقد كانوا شاهدوا صلاحه عليه السلام، فقالوا: ما نرجوا النجاة إلا بك؛ ولكنا نساهم بيننا، فمن خرج سهمه كان إياه. فساهم عليه السلام، فخرج سهمه، فرموا به في البحر، فالتقمه الحوت، وكان من أمره ما قصه الله سبحانه وتعالى؛ وذلك بإذن من الله سبحانه، أو كان يجوز في شرعه عليه السلام [أن] يعرض الإنسان نفسه للهلاك عند المعصية؛ فاعلم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)﴾ [الصافات: ١٤٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

فقال: أو يزيدون؛ فأثبت الألف وهو لا يريدها، فخرج لفظ الكلام لفظ شك، ومعناه معنى إيجاب وخبر، أراد سبحانه: وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون على مائة ألف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)﴾ [الصافات:١٥٨]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

يقول: لقد علمت الجنة إنهم لمعذبون، ثم استثنى المؤمنين منهم، فقال: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾؛ و" محضرون " هاهنا بمعنى: معذبين؛ قال الله تعالى: ﴿قال تالله إن كدت لتردين (٥٦) ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين (٥٧)﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون (١٢٧) إلا عباد الله

المخلصين (١٢٨)﴾[الصافات].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾[الصافات: ١٦١-١٦٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فإنكم وما تعبدون (١٦١) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢)﴾، إلى قوله: ﴿وإنا لنحن المسبحون (١٦٦)﴾؟

فقال: هذا من الملائكة صلوات الله عليهم تخبر الآدميين: أنهم وما يعبدون مما[1] هم عليه فاتنين لمن يفتنون، فأخبرت: أنهم لا يفتنون في دينهم، أي: لا يدخلون معهم، فأخبرت عليها السلام: أنه لا يطيعهم على شركهم، ولا يدخل معهم في عبادة غير الله ربهم، إلا من هو شريك في الضلال والعذاب معهم. ثم أخبرت: أنها - صلوات الله عليها - وجميع الخلق لهم كلهم مقام معلوم، أي: موقف ومحشر مفهوم، يحشر فيه الخلق، من: ملك أو جني أو إنسي، ثم أخبرت: أنهم هم الصافون، وهم المسبحون؛ ومعنى الصافون فهم: الوقوف صفوفا في عبادة الله يجتهدون، وعلى طاعته بالتسبيح والتهليل والتكبير والتعظيم والتقديس يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣)﴾: قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

---

(١) - هكذا في النسخة المنقول منها، والصواب:" ما هم عليه فاتنين لمن يفتنون ".

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢) إلا من هو صال الجحيم (١٦٣)﴾؟

فقال: تقول الملائكة: ما أنتم عليه بغالبين، ولا إليه بجارين، إلا من هو صال الجحيم، يقول: لا يحببكم إليه، ولا يرضى قولكم فيه، إلا من هو أهل النار والعذاب الأليم.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

قوله عز وجل في سورة الصافات: ﴿إنكم وما تعبدون (١٦٢) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٣)﴾، يعني: ما أنتم عليه بمضلين من أحد، ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾، يعني: إلا من عمل عملا يصلى به الجحيم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤)﴾: قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قالت الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾، أي: ما وكلوا به من صنوف التعبد.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)﴾ [الصافات:١٨٠]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

المعنى: سبحان ربك العزيز؛ وقد تكون العزة لله اسما وحكما غيره، تنفي عنه اسم الذلة وحكمها، كما قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون:٨].

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)﴾ [ص: ٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: العزة: العتو والتعزز بالقسوة، وفي ذلك قوله سبحانه: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)﴾ [ص: ٣]

قال في المجموع المذكور:

قوله عز وجل: ﴿ولات حين مناص﴾.

يعني سبحانه: ولا حين انفلات ولا نجاة، ولا خلاص.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥)﴾ [ص: ١٥]

قال في المجموع المذكور:

قوله عز وجل: ﴿ما لها من فواق﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: يعني بالفواق: الرجوع والانفطار.

قول تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)﴾ [ص: ٢١ - ٢٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾، إلى قوله: ﴿وخر راكعا وأناب﴾؟

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عما نبه به نبيئه داود صلى الله عليه، في أمنيته من نكاح امرأة " أوريا "، وذلك أنه لما سمع الطير أشرف به الطير على رأس جدار، فأشرف داود ينظر أين توجه الطير، فوقعت عينه على امرأة " أوريا " وهي حاسر، فرأى من جمالها ما رغبه فيها، فقال: ((لوددت أن هذه في نسائي))، ولم يكن منه غير هذا التمني. وكل ما يروى عليه صلى الله عليه من سوى ذلك فهو باطل كذب، فلما أن تمناها نبهه الله عز وجل وعاتبه في السر، وقد أعطاه أكثر من حاجته، فبعث إليه ملكين، فتمثلا له في صورة آدميين، فتسورا عليه من المحراب وهو يصلي، فدخلا عليه، ففزع منهما، وظن أنها داهية قد دهته، وعدو قد هجم عليه في محرابه في وقت خلوته، فقالا له: ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط﴾، يريدان: ﴿لا

تشطط﴾، أي: لا تمل إلى أحدنا، فتشطط على الآخر. ومعنى ﴿تشطط﴾؛ فهو: تشدد على أحدنا في غير حق. ﴿سواء الصراط﴾، وسواء الصراط فهو: معتدله ومستقيمه، ووسطه وقيمه. والصراط فهو: طريق الحق ها هنا وأوضحه. وكان لداود صلى الله عليه تسع وتسعون منكحا من الحرائر والإماء، وكان لأوريا هذه المرأة وحدها، فمثلا أنفسهما لداود بداود وأوريا، فقال أحدهما: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾، ومعنى: ﴿أكفلنيها﴾ فهو: أتبعنيها وردنيها إلى نعاجي، ﴿وعزني في الخطاب﴾، يقول: شطني في الطلب، وألح في تمنيها وطلبها؛ وذلك أنها لم تكن تسقط من نفس داود من يوم رآها، يتذكرها ويتمناها؛ فقال داود صلى الله عليه: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾؛ فلما قال هذا لهما تغيبا من بين عينيه، فإذا به لا يبصرهما ولا يراهما، فعلم عند ذلك الأمر كيف هو، وأنهما ملكان، وأن الله بعثهما إليه لينبهاه من غفلته، ويقطعا عنه بذلك ما في قلبه، من كثرة تذكره مرأة " أوريا " صاحبه، فأيقن أنها فتنة من الله، والفتنة هاهنا فهي: المحنة. ومعنى: ﴿ظن داود أنما فتناه﴾ فهو: أيقن داود بذلك من الله، ﴿فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾ إليه من ذلك التمني والذكر لهذه المرأة، فلم يذكرها بعد ذلك اليوم، حتى زوجه الله إياها حين أراد تبارك وتعالى، بعد أن اختار لأوريا الشهادة، فاستشهد وصارت إليه، فمن بعد ذلك زوج الله داود مرأة أوريا، وبلغه أمله، وأعطاه في ذلك أمنيته، فجاءه ذلك وليس في قلبه لها ذكر، ولا إرادة ولا تمن.

ولم يكن لداود صلى الله عليه في أوريا ولا قتله شيء مما يقول المبطلون، من تقديمه في أول الحرب، ولا ما يذكرون من طلبه وتحيله في تلفه بوجه من الوجوه، ولا معنى من المعاني؛ كذب العادلون بالله، وضل القائلون بالباطل في رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا تفسير الآية، ومخرج معانيها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١)﴾ [ص: ٣١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: إن الله سبحانه ذكر ما آتى سليمان نبيه صلى الله عليه، من عظيم ملكه الذي لا ينبغي لأحد أن يملكه من بعده، فذكر أنه آتاه الرياح، غدوها شهر، ورواحها شهر، وذكر ما آتاه من صفد الجن، واستعمالهم فيما أحب من الأعمال؛ لفضل قوتهم، ولما لهم من لطيف الاحتيال؛ فذكر في ذلك سبحانه ما ذكر من القصص والأخبار، وذكر ما آتى الله سليمان من الصافنات الجياد، وهي: الخيل الكريمة الفاضلة العتاق. ثم أخبر بهوان شأن الخيل، وهي من كريم ما آتاه الله من الملك وجماله، وآلته وفضله، فذكر عرضه لها بالعشي؛ والصافنات من الخيال: القيام الكرام، التوام في القوم والطول والأجسام؛ وكان سليمان صلى الله عليه يذكر الله سبحانه قبل غروب الشمس في كل عشية، ويسبحه قبل تواريها بالحجاب، فلما عرضت عليه الخيل الصافنات الجياد بالعشي تشاغل بها، وبكثرة ما عرض عليه منها، وكان بهذا إعجاب، حتى توارت الشمس غاربة في الحجاب، بنظره إليها، حتى فاته ما كان أعز وآثر، وأكرم من أمر الدنيا وما فيها، من ذكر ربه وتسبيحه، والإقبال على ذلك دون غيره، فاغتم صلى الله عليه عند فوات ذلك له، وعلم أن العارض له دونه الإعجاب بالخيل، فأراد أن يؤدب نفسه ويعاقبها، بإتلاف ما أعجبها وشغلها، عما هو أعظم نفعا لها من تلك الخيل، فأمر بردها وإحضار كلما عرض عليه منها، ثم أمر بمسح أعناقها قتلا بالسيوف، وسوقها : عرقلته لعراقيبها؛ ليعلم الناس أنه فضل تسبيح الله وذكره، وآثر طاعته وأمره، على ما يؤثرون من

محبوب دنياهم، وأن ذلك لا يساوي أكبر كبيرة، وأكبر ما يعظمون من عظمته شيئا من ذكر ربهم، وطاعة مولاهم ، وأراد تأديب نفسه إذ غفل ساعة واحدة بالخيل عن ذكر ربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)﴾ [ص: ٣٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿فتنا سليمان﴾، يقول: امتحناه، وإنما كان ذلك من أجل ما سألته ملكة سبأ، من طلبها حين طلبت منه قربانا تقرب به، على ما كانت تفعل في قديم أفعالها، فسألته صلى الله عليه أن يأذن لها في بقرة فلم يجبها، ثم سألته شاة فكره ذلك عليها، ثم طيرا فأعلمها أن ذلك لا يحل لها، فوقعت في صدرها جرادة، فقالت: فهذه الجرادة ائذن لي فيها. فتوهم وظن أنها مما لا إثم عليها فيها؛ إذ كانت مما لا يقع عليه ذكاة، فسكت ولم يمنعها عن ذلك، فقطعت رأس الجرادة، وأضمرت أنها قربان؛ فلما خرج صلى الله عليه يريد أن يتطهر على جانب البحر، نزع خاتمه من يده، وكان لا يتطهر حتى ينزع الخاتم من يده، وهذا الواجب على كل متطهر، إذا أراد أن يتطهر من جنابة أو غيرها للصلاة: أن ينزع خاتمه، أو يديره في إصبعه؛ حتى يصل الماء إلى البشر الذي يكون تحته، وينقى من الدرن ما حوله. فلما نزع الخاتم، ومضى لطهوره -خرج حوت من البحر، فابتلع الخاتم، وذهب في البحر، فلما فرغ سليمان من طهوره -نظر إلى الموضع الذي كان وضع فيه خاتمه، فلم يجده، فعلم أن ذلك لسبب قد أحدثه، وأن الله سبحانه

أراد بذلك فتنته، فدعا الريح فلم تجبه، ثم دعا الطير فلم تجبه، ثم دعا الجن فلم تجبه؛ لما ذهب عنه الخاتم، وإنما كان الخاتم سببا من الله لملكه، قد جعله الله فيه، وبه كان يطاع؛ فعلم سليمان أن العقوبة قد وقعت، ووثب العفريت الملعون على سريره عند ذلك، وهو ملكه، فكان يتكلم على شبه كلام سليمان عليه السلام، وهو من وراء حجاب، لا يظهر ولا يرى له شخص، ودعا فلم يجبه إلا الإنس، ومضى سليمان باكيا نادما على فعله، وجعل يتبع الصيادين على سواحل البحر يخدمهم ويعينهم، وهم لا يعرفونه، ولا يعلمون أنه سليمان، فأقام على ذلك وقتا اختلفت فيه الرواة، فقال بعضهم: أقام أربعين يوما. وقال آخرون: بل مكث خمسين يوما. وقال قوم: سبعين يوما. وهذا أكثر ما قيل فيه؛ فجعل يتبعهم ويعمل معهم، ويعطونه في كل يوم حوتين، فيبيع أحدهما، فيشتري به خبزا، ويشوي الآخر فيأكله. فلما علم الله منه التوبة والرجوع، والإنابة والخضوع -أراد أن يرد عليه نعمته، فانصرف ذلك اليوم ومعه الحوتان اللذان عمل بهما يومه ذلك، فشق بطن أحدهما على ما كان يفعل، فإذا بالخاتم قد خرج من بطن الحوت، فعرفه عند ذلك، فأخذه وشكر الله، وحمده على ما أولاه. ثم دعا الريح فأجابته، وكان قد أبعد من بلده، فأمر الريح، فاحتملته من ساعته إلى موضعه، وهرب اللعين العفريت لما رآه. وقال بعض الرواة: إنه كان حبسه، ورد الله على نبيه ملكه، ورجع إليه ما كان الله قد أعطاه، فدعا الطير والريح والجن فأجابته، ودامت نعمته.

قلت: فما الجسد الذي ألقي على كرسيه، هل كان جسما يظهر ويرى؟

قال: لا، إنما كان الذي يظهر إليهم منه ما يسمعون من كلامه، وكان مستترا عنهم، فكانوا يظنون أنه سليمان. وإنما احتجب عنهم بسبب أمره الله به، أو فعل فعله من نفسه، فلو ظهر لهم لبان أمره عندهم؛ ولكن تمكن منهم بالتمويه عليهم، والمكر لهم.

قلت: فهل نال من الخدم [١] منالا، أو وصل إليهم بسبب من الأسباب؟

قال: معاذ الله أن يكون نال شيئا من ذلك أو فعله، غير الذي شرحته لك من كلامه فقط.

قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)﴾ [ص: ٣٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه: هذا في أسراء الجن المصفدين، الذين ذكر الله أنهم في الإسار مقرنين، فأخبره تبارك وتعالى بأنه قد ملكه إياهم، فإن شاء من عليهم وخلاهم، وإن شاء أمسكهم، بغير حساب من الله يخافه فيهم.

قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١)﴾ [ص: ٤١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول أيوب صلى الله عليه: ﴿إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿مسنى﴾ فهو: ما كان من كلامه ووسوسته له؛ وذلك: أن أيوب صلى الله عليه قد كان جعل ضيافة أضيافه إلى امرأته، فأتاه إبليس اللعين، فقال: يا أيوب إن امرأتك قد فضحتك اليوم في أضيافك. فأتاها، فقال: ((ما

(١) – في نسخة: من الحُرَمِ.

الذي حملك على أن تفضحيني في أضيافي؟ أقسم لأضربنك مائة ضربة بالعصا)). فلما هم بالذي أقسم به من ضربها -أتاه الملعون إبليس، فقال: يا أيوب سبحان الله، أيحل لك أن تضرب امرأة ضعيفة، لم تجرم جرما، ولم تأت قبيحا، ولم تفعل أمرا تستحق به منك ضربا، وليس لها قوة على ضربة واحدة، فكيف مائة ضربة، فلا تهلكها، وتأثم بربك في أمرها؟! فلما تركها وكف عنها -أتاه من موضع آخر، فقال: يا أيوب سبحان الله، كيف يحل لك أن تقعد عنها، وقد حلفت لتضربنها، ولا ترجع عن يمينك، ولا تأثم بالله ربك؟! فلما رجع إليها ليضربها -أتاه بالوسوسة على مثل ما أتاه أولا، فلم يزل يفعل كذلك حتى دخله الغم، وعظم عليه الأمر، فانقلب على ظهره، وجعل يفكر وينظر، وخالطه من الوسوسة ما غلبه على أمره، فلم يزل كذلك حتى تقرح ظهره، ولزمه المرض العظيم، واشتد به الأمر، وتمادت به العلة، وذهبت ماشيته، وافترق ماله، ومات أولاده، ومرضت المرأة من الغم والحزن، فلما رأى ذلك من كان معه في المنزل - أخرجوه صلى الله عليه إلى ناحية منه على خط الطريق، وليس يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا، واشتد به البلاء، وهو مع ذلك صابر محتسب، فلما كان يوما من الأيام مضى به نفر، فلما رأوه ونظروا إلى ما هو فيه من عظم البلاء وشدة النتن -قالوا: والله لو كان هذا وليا لله لأجابه، ولكشف ضره، ولما أصابه شيء من هذا؛ فلما سمع ذلك من قولهم: ﴿نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾؛ فجاز أن يقول: مسني الشيطان، لما أن كان ذلك من وسوسته، وكيده وسببه؛ فاستجاب الله له، فقال: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص: ٤٢]، ولم يقدر أن يرفع يدا ولا رجلا؛ فضرب بعقبه، فانبثقت عليه عين؛ ففارت وارتفعت، حتى كانت أكبر من جلسته، فجعلت تنسكب عليه وهو يغتسل بمائها، وهي تقلع عنه كل ميت، وتنقي عنه ما كان به من الأقذار، وتميط عنه الأذى، وجعل يشرب منها، ويخرج ما في جوفه من العلة، حتى نقي بدنه،

ورجع إلى أفضل ما كان عليه أولا، ورد الله عليه أهله وماله، وأمره أن يأخذ ضغثا، فيضرب المرأة؛ كفارة اليمين التي حلف، فقال بعض الرواة: إنه أخذ من هذا الذي يكون فيه التمر، فجمع منه مائة غصن، فضربها به ضربة. وقال بعضهم: إنه ضربها به ضربتين. واختلف في ذلك، غير أن الصحيح من ذلك: أنه قد جمع ضغثا، فضربها به.

قلت: فإبليس كيف كان إتيانه إلى أيوب صلى الله عليه؟

قال: لم يره عيانا، وإنما سمع كلامه، ولم ير شخصه. وقد قال بعض الجهلة: إنه تصور له في صورة غير صورته، وليس ذلك كما قالوا، وكيف يقدر مخلوق أن يغير خلقته، ويحول نفسه صورا مختلفة؟! وليس يقدر على ذلك إلا الله رب العالمين، الذي خلق الصور والأجسام، ونقلها من حال إلى حال؛ فسبحان الله رب العرش عما يصفون، ولا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه لسلام:

المراد بالنصب والعذاب هاهنا: الوسوسة، ففزع إلى الله تعالى؛ ليعرف حكم الحادثة؛ لأنه لما أقسم ليجلدن امرأته مائة جلدة، كان إذا أجمع [١] صلوات الله عليه على ذلك –وسوسه: بأن نبيا من أنبياء الله يجلد امرأة مؤمنة مائة جلدة في غير حق الله سبحانه؛ هذا لا يجوز. فإذا أضرب عن جلدها –ولم يكن من شرعه صلوات الله عليه الكفارة، لولا ذلك كفر، ولم ينصب إليه شيء من الله – [وسوسه: بأن نبيا من أنبياء الله] يحلف بالله على إمضاء أمر يقدر على إمضائه ولا يمضيه، فبقي في غاية النصب والعذاب، ففزع إلى خير مفزع، وهو الله سبحانه، فأمره بأمر أبر فيه قسمه، وتحلل من أليته، ولم يؤذ المؤمنة وقوعه؛ فهذا أكبر ما

(١) – قال في مختار الصحاح: أجمع على الأمر: إذا عزم عليه.

يبلغ إليه كيد الشيطان، ويدخل تحت مقدوره.

فأما تلك الآلام والأجسام، التي حدثت فيه عليه السلام -فلا قادر عليها إلا الله سبحانه؛ بالآثار والدلالة، وقد روينا للإمام الناصر لدين الله، أبي الفتح بن الحسين الديلمي صلوات الله عليه في كتاب البرهان في علوم القرآن: أنه -عليه السلام- لما نزلت به الحادثة في النفس والمال والولد قال صلوات الله عليه: ((اللهم الآن ما [1] أنعمت علي الإنعام كله، كنت بالنهار يشغلني حب الدنيا، وبالليل يشغلني حب العيال، والآن أفرغ لك بسمعي وبصري))، فوفى صلوات الله عليه لربه من إفراغ السمع والبصر بما قال، ولو انتهينا إلى غاية معنى هذه الآية لخرجنا إلى الإسهاب. ويشهد بصدق رواية الناصر -عليه السلام- عن أيوب -عليه السلام-: ما روينا بالإسناد الموثوق به، إلى أبينا علي بن أبي طالب -عليه السلام-: أنه قال في بعض مفرداته في حمد ربه:

عطيته إذا أعطى سرورا .... فإن سلب الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أجل قدرا .... وأعظم في عواقبها إيابا؟

أنعمته التي أهدت سرورا .... أم الأخرى التي دخرت ثوابا!؟

واعلم - وفقك الله تعالى - أن من جهل نعمة الله في المكاره، ولم يعرفها إلا في اللذات والمشتهيات -فقد جهل شطر الحكمة.

(١) - " ما " زائدة، أو مُدِّيَّة. تمت من هامش نسخة.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩)﴾ [ص: ٤٥ - ٤٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧)﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ فهو: اذكر فعلهم وصبرهم فينا ولنا، فاقتد به. ومعنى: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ فهو: أهل الأيدي، و﴿الأيدي﴾ فهو: الحسنات المقدمات التي ابتدؤوها إلى أنفسهم، من طاعة ربهم، والعمل لمرضاة خالقهم، فكانت أفعالهم الحسنة، من طاعة الله والإخلاص له -أياد قدموها لأنفسهم إلى الله؛ وعلى ذلك يخرج معنى قول الله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، يريد: أفعاله الحسنة، وأياديه إلى خلقه الجميلة. ومعنى ﴿الأبصار﴾ فهو: الاستبصار في أمر الله، والمعرفة والعلم به؛ وعلى ذلك يخرج معنى قول الله عز وجل في نفسه: ﴿سميعا بصيرا﴾، يريد: عليما خبيرا. ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾، يريد: إنا اختصصناهم بخاصة، وجعلناها لهم وفيهم. ﴿ذكرى الدار﴾ فهو: بقاء ذكرهم في دار الدنيا، بما ذكرهم به في كتابه، فبقي ذكرهم باق في ذريتهم وغير ذريتهم إلى يوم القيامة؛ وذلك سؤال إبراهيم صلى الله عليه لربه، حين قال: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾، يريد: اجعل لي

ذكر الخير في الآخرين، يقول: من بعدي، من أهل هذه الدار إلى يوم الدين؛ فأجابه الله، وأخبر بما جعل له من الذكر الباقي في هذه الدار. ثم أخبر أنهم عنده في الدار الآخرة الباقية -أعظم منهم ذكرا في الدار الفانية، فقال: ﴿إنهم عندنا﴾، يريد: في آخرتنا، ودار ثوابنا، ﴿لمن المصطفين الأخيار﴾. ثم قال: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾، يقول: اذكرهم بأنهم ممن جعلنا لهم الذكر في دار الدنيا، وفي الآخرة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ ألا ترى كيف قال:﴿هذا ذكر﴾، يقول: ذكرنا له في هذه السورة ذكر باق لهم كما سأل إبراهيم ربه، إلى يوم الدين. ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾، يقول: لحسن مأوى ومرجع، عند حشرهم وإيابهم إلى ربهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾ [ص: من (٦٧)، إلى (٧٢)]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل هو نبأ عظيم (٦٧)﴾، إلى قوله: ﴿أنا نذير مبين (٧٠)﴾؟

فقال: يقول سبحانه: إنما أنبأهم به من هذه الأخبار، ومن أخبار الملائكة عليهم السلام -﴿نبأ عظيم﴾، يقول: علم غيب عظيم. ﴿أنتم عنه معرضون﴾، يقول: أنتم عن تفهمه غافلون. ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾، والملأ الأعلى فهم: الملائكة، ومعنى ﴿يختصمون﴾ فهو: يتحاورون ويجيبون ويجابون،

وذلك حين قال الله لهم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، يريد عز وجل: آدم عليه السلام، فـ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، فـ﴿قال﴾ سبحانه: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠)﴾ [البقرة]، يقول: إني أعلم من بركته وبركة ما يخرج منه من المطيعين -ما لا تعرفونهم، ولا تفهمونهم منهم، من لولاه ما خلقته، ولا خلقت الدنيا، محمد صلى الله عليه وآله، السراج المنير، البشير النذير؛ ألا ترى كيف قال: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢)﴾، ومعنى ﴿فقعوا له ساجدين﴾ فهو: قعوا من أجل ما أظهرت فيه من عظيم صنعي ساجدين؛ فلما أن كان السجود من سبب آدم جاز أن يقول: قعوا له، وإن كان الوقوع والسجود لله من دونه؛ ولكن هذا على مجاز الكلام، كما قال: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾، والقرية لا تسأل، وإنما يسأل أهلها، فلما كانت القرية من سبب أهلها، قال: سل القرية.

قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

أي: توليت أنا خلقه بغير أبوين، كقوله:" يداك عملت هذا ": أنت فعلته، ولم تعالجه بيدك، و" أنت عملت هذا بيدك "، ولعله إنما قال بلسانه، ولم يعمل شيئا بيده.

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام، في سياق كلام:

وأما قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، وقوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾، وقوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾، وقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ -فالعلاقة: المشاكلة في القول؛ عبر عن قدرته تعالى في

الأولى بقوله: ﴿بيدي﴾؛ لتشاكل كلمة اليد المقدرة الخاطرة بذهن المخاطب عند سماعه لقوله تعالى: ﴿خلقت﴾؛ لما كان المخاطب لم يشاهد مزاولة صنع إلا باليدين. ونظيره: ﴿صبغة الله﴾ كما مر... (إلى آخر كلامه عليه السلام).

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

قال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قوله عز وجل: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، فقلت: ما معنى هذا القول؟

قال أحمد بن يحيى عليهما السلام: هذا من الكلام الذي يجوز فيه الإضمار، والمعنى فيه: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾؛ فأضمر قول الكافرين، وقطعه من وسطه؛ ومثل هذا كثير في القرآن، مثل قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾، ومثله قوله عز وجل: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾، ثم قال: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾، ولم يذكر جواب: ﴿ولو أن قرآنا﴾، والمعنى فيه: لكان هذا القرآن؛ وهذا كثير في القرآن [1]؛ قال الشاعر:

وإذا ما الظلال كن نعالا ... واجتلبن الحميم أي اجتلاب

---

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، ولعله: وهذا كثير في اللغة. تمت. (جامعُهُ).

فقال:" وإذا ما الظلال "، ولم يذكر بعده خبرا يدل على ما أراد بالظلال، فأضمره وقطعه، وإنما المعنى فيه أنه قال: وإذا ما الظلال قلص ولصق كان الإبل في حرارة تلك الشمس نعالا لهم، واستغنوا عن النعال؛ فافهم هذا الباب، ومن ذلك قول امرئ القيس بن حجر:

لعمرك لو شيء أتانا رسوله ... سواك، ولكن لم نجد لك مدفعا

وكان يجب أن يكون:" لو أتانا رسوله لكان منا كذا وكذا "، فأضمره، وأجزاه ذلك، وعرفت العرب ما أراد من الإضمار.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ(٦)﴾[الزمر:٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾؟

فقال: النفس الواحدة: آدم صلى الله عليه، وخلقه منها زوجها فهو: خلقه من آدم حواء، وقد قيل: إن حواء خلقت من بعض آدم؛ فهذا معنى قوله: ﴿خلق منها زوجها﴾، وقد يكون خلقه لها منه: قبل نفخه فيه الروح، إذ هو صورة من طين ملقاة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألتم عن: قول الله سبحانه: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد

خلق في ظلمات ثلاث﴾، فقلتم: ما معنى ﴿خلقا من بعد خلق﴾؟ وما الظلمات الثلاث؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أما قوله عز وجل: ﴿خلقا من بعد خلق﴾ فهو: ما ينقلهم تبارك وتعالى فيه: نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، ثم يكسوها كما قال سبحانه لحما، ثم ينفخ فيه الروح، فإذا هو حي سوي، متحرك قوي، وهو قوله عز وجل: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤)﴾ [المؤمنون]، فأخبر سبحانه بما قدر من خلق الإنسان، وما أبان فيه من القدرة والامتنان، وما نقله فيه من حال إلى حال، حتى صار إلى أتم خلق وأكمل كمال، دل بذلك على حكمته، وتبيين قدرته لجميع عباده، القادر على ما أراد، لا يحتاج إلى تحيل جل عن ذلك ذو العظمة والأياد؛ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له:" كن "، فيكون. ومعنى ﴿في ظلمات ثلاث﴾ فهي: ظلمة الماسكة، وهي: المشيمة التي يكون فيها الولد، وظلمة الرحم، وظلمة البطن؛ فهذه الظلمات الثلاث.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)﴾ [الزمر: ١٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه في سورة الزمر: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: صدق الله العظيم: إن الخاسرين الذين خسروا ما ذكر، من أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، خسروا بتفريطهم فيما ينجيهم، وتركهم

النظر لأنفسهم، فيما يحييها، ومن عذاب ربها ينجيها، حتى خسروا أنفسهم، وصاروا إلى جهنم؛ وبئس المصير، ومعنى: ﴿وأهليهم﴾ فهو: ما جعله الله سبحانه لهم على الطاعة، من الحوريات والخلد والنعيم، الذي جعله لجميع المخلوقين؛ ثوابا على طاعتهم، فلما أن عصوا الله عز وجل، وآثروا دنياهم، واختاروا حلاوة فسقهم -خسروا أنفسهم وأهليهم. ثم قال سبحانه: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾، تأكيدا في الخسران، وتقريعا على التقصير؛ لأنه خسران لا يجتبر؛ إذ كل خسران في الدنيا يستلحق ويدرك ويستعاض، إلا من خسر بتقصيره نفسه، فأوردها جهنم، وترك ما أعد الله عز وجل على طاعته، مما ذكر سبحانه للمطيعين من الجنان، والرضى والرضوان، والحور الحسان؛ وذلك الفوز العظيم، والمحل الكريم، ولمثل ذلك فليعمل العاملون، وله فليقصد الطالبون.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)﴾[الزمر: ٢٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾؟

فالقاسية هي: الممتنعة من قبول حق الله، الكارهة لما أنزل الله، ومعنى قوله: ﴿من ذكر الله﴾ فهو: عن ذكر الله، غير أن " من " قامت في مقام " عن "؛ لأنهما من حروف الصفات، يخلف بعضها بعضا، ويقوم بعضها مقام بعض، في ذلك ما يقول الله سبحانه، فيما يحكي عن فرعون اللعين: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾، وإنما أراد: على جذوع النخل، والصلب لا يكون في الشيء، وإنما يكون عليه، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

شربن بماء البحر ثم ترفعت... لدى لجج خضر لهن نئيج

فقال:" لدى "، وإنما أراد: على.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)﴾

[الزمر: ٢٣، ٢٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾، إلى قوله: ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾؟

قال: كذلك الله سبحانه نزل أحسن الحديث، ومعنى أحسنه فهو: أحكمه، والحديث فهو: الخبر من توراة أو إنجيل، أو زبور أو فرقان. وأخبر أنه أحكم الكتب وأقومها، وأفضلها لديه وعنده، وهو كتاب محمد صلى الله عليه وآله. ومعنى قوله: ﴿متشابها﴾ فهو: متشابه التنزيل، محكم التأويل، ﴿مثاني﴾ فهو: مكرر الإعذار والإنذار، والأمر والنهي؛ لإثبات الحجة، وتمام النعمة. ﴿تقشعر منه...﴾، يريد: تقف منه؛ هيبة وإجلالا، وتصديقا وتعزيزا عظيما -جلود الذين آمنوا واتقوا ربهم، وخشوا وعيده، وطلبوا وعده، ﴿ثم تلين﴾ من بعد الفزع والهيبة، ومعنى ﴿تلين﴾ فهو: تطمئن قلوبهم وتخفض؛ ثقة بوعد الله. ثم أخبر سبحانه: بما يؤتي من كان كذلك من الهدى؛ جزاء على ما اختار من التقوى،

ومعنى قوله: ﴿ومن يضلل الله﴾ فهو: من يخذل الله فما له من مرشد، ولا هاد مسدد. ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾، يقول: من عمل في الدنيا عملا يستوجب به العذاب يوم القيامة، ويصلى بوجهه له. ثم أضمر هنا شيئا، وهو معنى مثل:" فهو من الهالكين "، " فهو من الخاسرين "، أو مثل ذلك. ومعنى: ﴿وقيل للظالمين﴾ فهو: قول الملائكة لهم خزنة جهنم، وغيرها: ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ في الدنيا، وتجحدون البعث، ولا توقنون بالحساب والعقاب، الآن فذوقوا شر العذاب.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المراد بذلك عند أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم: أن بعضه يشبه بعضا في باب الحكمة، وجزالة الألفاظ، وصحة المباني.

وقال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

معنى متشابها: يشبه بعضه بعضا في جزالة الألفاظ، وجودة المعاني، وصحة المباني، لا ما يتوهمه المبطلون، ويظنه الجاهلون، والله بعد ذلك أعلم.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)﴾ [الزمر: ٢٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾؟

فقال: هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للذين يعبدون مع الله غيره، ويشركون في أنفسهم من لم يخلقهم، فمنهم من كان يزعم أنه يتقرب بذلك إلى الله، ومنهم من كان يفعل جهلا لله، فضرب الله هذا المثل لهم، يعلمهم فيه: أن من أخلص العبادة لله، ولم يجعل في نفسه شريكا لله -خلاف من يجعل مع الله في نفسه شريكا، وأن المخلص لله، المفرد لعبادته، الذي لم يجعل له في نفسه شريكا يعبده معه -أفضل وأعظم ممن جعل نفسه لاثنين. ثم أخبر سبحانه: أن مملوكا لرجل سلما له -أفضل عنده ممن يشرك مملوكا بين اثنين؛ فهذا ما أراد الله سبحانه بهذا المثل تبارك وتعالى، أراد بذلك تنبيههم على إفراد العبادة له، وترك ما يعبدون من دونه ومعه.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾[الزمر: ٤٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، إلى قوله: ﴿لقوم يتفكرون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بقدرته على قبض أرواح العالمين، في كلتا الحالتين: حالة الموت، وحالة المنام؛ فأخبر سبحانه: أنه يتوفى نفس الميت عند انقضاء أجله، وفناء عمره، ويتوفى نفس النائم عند نومه، ومعنى توفيه لنفس النائم فهو: بما ركب سبحانه وجعل وقدر، من خروج روح الإنسان عند نومه، حتى يبقى بدنه ميتا لا روح فيه؛ فأخبر عز وجل: أن الروحين خارجان في هذين

الوقتين، وأنه يحبس روح البدن الذي قضى عليه الموت عن الرجوع إلى بدنه، ويرسل روح النائم الذي لم يقض عليه الموت، فيرجع ﴿إلى أجل مسمى﴾، يقول: إلى وقت معلوم، كما كان للآخر، فإذا جاء الوقت لم يرجع الروح بعد خروجه من البدن. ثم أخبر: أن في ذلك لآيات للمتفكرين، ودلائل على الله للمستبصرين؛ وأي دلالة أو أية أدل على الله، من روحين يخرجان من بدنين، فيمسك أحدهما، فيذهب روحه عن بدنه، ويصير إلى موته، ويرجع الروح الآخر إلى مكانه إلى يوم مفهوم، وقدر عند الله معلوم؟! وهذا ما لا يجهل دلائله من فعل الله إلا أعمى جائر عن الله، أو مشرك جاحد لآيات الله.

وقال عليه السلام في موضع آخر منه:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾؟

هذا إخبار من الله سبحانه: بأنه القابض للأرواح، المخرج لها، وأنه لا يقبضها ويتوفاها غيره عند وقت وفاتها، وبلوغ مدى موتها. وقوله: ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ فهو: ما يورد عليها من النوم المزيل للروح من البدن؛ لأن النائم عند نومه يخرج روحه من بدنه، وتبقى نفسه في جسده؛ فأخبر: أنه يتوفى الروح عند الوفاة، وعند المنام، وهو الجوال في البدن، فلما أن كان كل ذلك من الله وبه -جاز أن يقول: يتوفاهما بخروجهما في وقتهما هذين: عند الموت، وعند النوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

المراد به: مع التوبة؛ لأنه ذكر عقيب هذه: الإنابة، بقوله: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب﴾، فشرط التوبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾؟

فالإنابة إليه هي: الرجوع بطاعته عليه، وإسلامهم له هو: سلوكهم سبيله؛ فلم ينب إليه سبحانه من تولى عنه، ولم يسلم له - جل ثناؤه - من تبرأ منه؛ فالإنابة إليه هي: الاعتصام، والإسلام له هو: الاستسلام، ولم يعتصم به قط من آثر غيره، ولم يسلم له من خالف أمره.

قوله تعالى: ﴿يَاحَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]

قال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام، في سياق شبه المشبهة والرَدِّ عليها:

معنى قوله: ﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ أي: في أمر الله، لا يدفع ذلك دافع، من: عقل، ولا من لغة، ولا من إجماع، وعليه يدل قول الشاعر:

خليلي كفا واذكرا الله في جنبي ... فقد نلتما في غير إثم ولا ذنب

ومثله مروي عن علماء التفسير؛ فإن بعضهم قال: معنى قوله تعالى: ﴿ما فرطت في جنب الله﴾، قال: المراد في طاعة الله، كما يقال: ما نالني في جنب الله فهو راحة. وعن ابن عباس: أن معناه: في ذات الله وأمره وحقه. وهذا المعنى حسن عندنا، وقد قال من يوثق بمعرفته من الشعراء، وهو ابن دريد الشاعر: ما يلائم ذلك، حيث قال:

فكلما لاقيته مغتفر في ... جنب ما أسأره شحط النوى

وليس هناك عضو يتصور؛ يقال: هذا ما أصابني في جنب فلان، أي: في ذاته

وحقه، وهذا ظاهر. وعن مجاهد: ﴿في جنب الله﴾، أي: في أمر الله. وقيل: ﴿في جنب الله﴾، أي: في قربه وجواره، وهو الجنة، ومنه: ﴿الصاحب بالجنب﴾، أي: بالقرب. وقيل: في طريق الله التي أمر بها. وعلى هذا: الجنب: الجانب، أي: الجانب الذي يؤدي إلى رضى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾ [الزمر: ٦٢]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾؟

معنى ذلك: أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء من فعله، لا من أفعال غيره؛ فأفعاله بائنة من أفعال خلقه، وأفعال خلقه بائنة من فعله، وأفعال الله في خلقه بائنة متلاحقة، يلحق آخرها أولها، ويثبت أولها لآخرها، وأفعال الخلق فغير متلاحقة؛ بل هي أعراض متباينة متفاوتة، لا يلحق آخرها أولها، ولا يدخل في ثاني منها إلا بعد انقضاء الأول؛ فهذا الفرق بين أفعاله وأفعال خلقه، والله - كما قال سبحانه - خالق كل شيء موجود متلاحق، بريئ من خلق ما لا يتلاحق؛ فما كان متلاحقا فهو فعل الله، والله خلقه، وما كان غير متلاحق لا يلحق أوله آخره فذلك فعل غيره، لا فعله، تبارك وتعالى عن فعل أفعال المخلوقين؛ وكيف يخلق أفعالهم أو يفعلها، وفيها الغشم والظلم والجور، والله بريئ عن فعل ذلك، متقدس عن أن يكون كذلك؛ فلو جاز أن يكون خلق ما يفعلون -كان فاعلا لكل ظلم فعلوه، أو جور أحدثوه، أو عظيمة جاؤوا بها، ولكان هو الفاعل له دونهم؛ إذ كان الموجد له لا هم؛ فافهم - هديت - ما ذكرنا، وقس كل ما أتاك من هذا كما شرحناه. ﴿على كل شيء وكيل﴾، والوكيل هو: المحاسب الرقيب،

الحفيظ لأفعال من هو عليه وكيل.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ فالمراد بذلك: مما لم يقدر عليه العباد؛ لأن الآية وردت مورد التمدح، ولا يجوز إدخال أفعال العباد في ذلك؛ لأن في أفعالهم: قبيح لا يجوز أن يفعله تعالى، كسب أنبيائه عليهم السلام وقتلهم، وتكذيب رسله، والفرية عليه، كما قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ [الزمر:٦٠]، ومن أفعالهم: حسن يجب إثابتهم عليه؛ فلو كان من فعله لما استحقوا عليه ثوابا، كما لم يستحقوا على صورهم وألوانهم؛ فهذا ما تيسر من الجواب، فتفهمه موفقا أرشدك الله.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿مقاليد السماوات والأرض﴾؟

فالمقاليد هي: المفاتيح، ومفاتيح الغيب فهي: المقاليد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ أي: بقدرته، وكذلك: ﴿قبضته يوم القيامة﴾، أي: في قبضته وملكه، وكقولك: هذا في يدي، أي: في ملكي، ولست

قابضا عليه؛ أما سمعتم قول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أي: بالعزة والقدرة. وقال عدي بن زيد:

فردته فضعف ما أتاها ... ولم تعقد على المال اليمينا

وقال حسان بن مرة:

يديان بيضاوان عند محلم ... قد يمنعانك بينهم أن تهضما

وإنما المعنى: النعمة.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته أيضا عن: قول الله سبحانه: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾؟

إنما يريد سبحانه: قدرته عليهن، ونفاذ أمره وقضائه وحكمه جل ثناؤه فيهن؛ لأن كل ما كان من الأشياء مطويات في يمينك -فأنت عليه أقدر منك على غيره من جميع شأنك، ومن كان في يديه شيء مطوي كان على حفظه كله قويا. ولا يتوهم: أنهن مطويات في يمينه كطي الثياب، إلا عمي جهول لعاب، وما في ذلك - لو كان كذلك - من الإكبار، ومن القوة والاقتدار؟!!

وأما قبضته وإحاطته وقدرته -فذلك أنه يقال لمن كان محيطا بشيء وقادرا عليه، إذا سئل عنه من يعرفه: هل له قدرة فيه؟ قال: نعم، والله ما هو إلا قبضته، وفي يده. وليس يريد بذلك إذا قاله قبضة الكف، والله لا شريك له متعالي عن أن يوصف من أوصاف الإنسان بوصف.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ فإنما أراد تبارك وتعالى: أنها تطوى يومئذ - مع عظمها وكبرها - بقوته وقدرته؛ تمثيلا بما يطوى باليمين،

فيكون مطويا بلا عون معين؛ أخبر سبحانه عن قدرته، وقهره لكل ما أراد بقدرته.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾؟

وهذا - رحمك لله - مثل ضربه الله لهم، مما تعرفه العرب وتمثل به؛ وذلك: أن العرب تقول لمالك الشيء:" هو في يده "، وهو في يمينه، وهي تريد بذلك تأكيد الملك له؛ لأن كل ما كان بيد المالك فهو أقدر ما يكون عليه؛ واليد في كلام العرب هي: الملك؛ ألا تسمع كيف يقول العرب:" بلاد كذا وكذا في يد فلان، قرية كذا وكذا في يد فلان "، وتقول العرب:" بنو فلان في يد فلان "، يريدون: في طاعته وملكه، لا بين أصابعه ولا في كفه؛ فأرادوا بذلك الملك، ونفاذ الأمر فيهم، لا القبض بالأصابع، والضم لها عليهم؛ فأخبر الله تبارك وتعالى: أن مقدرته على ما ذكر من السماوات المطويات فوق مقدرتهم على ما هو في ملكهم؛ فأما قوله: ﴿مطويات بيمينه﴾ فإخبار منه لهم: أن السماوات مطويات في ملكه، متصرفات في أمره، مجموعات في حكمه، كما يجمع الشيء المطوي جامعه، ويحوزه ويضم عليه طاويه؛ فمثل لهم أمر نفاذ حكمه في السماوات، وقدرته عليهم: بما يعرفون من مقدرتهم على ما يطوونه وينشرونه، من كتب أو صحف، أو غير ذلك من المطويات المملوكات؛ فهذا ما عنه سألت، من قول الله سبحانه في السماوات: أنهن مطويات.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

ومعنى قول الله: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾، يريد: بقدرته، ومثل ذلك موجود في لغة العرب، قال الشاعر، وهو الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

يريد: بالقوة.

وقال في كتاب ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين عليه السلام:

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، أي: ما عظموه حق عظمته، ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾، يعني: في ملوكته، ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾، أي: في ملكه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٧٥)﴾ [الزمر: ٧٤، ٧٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وأما قول الله – لا شريك له –: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ – فقد يحتمل ﴿حافين﴾ أن يكون: مكبرين مجلين. ويحتمل أن يكونوا: بأمره عاملين؛ لأن الإحفاف قد يحتمل ذلك في لسان العرب أبين الاحتمال؛ لأنهم يقولون:" إن قوم فلان لمحفون به " في الإجلال.

فإن قال قائل: فما وجه قوله فيما ذكر من إحفافهم به من حوله؟

فقد يكونون حافين، وإن كانوا من تحته، كما يقال:" إنهم بفلان لحافون "، وإن كان من علالي منازله بحيث لا يبصرون، ذلك كقوله سبحانه فيما أرى، لاما توهم في: حمل، وأحف، واستوى: ﴿وانشقت السماء فهي يؤمئذ واهية (١٦)

والملك على أرجائها﴾ [الحاقة:١٦]. فإذا انشقت السماء للفناء والبلاء -تحوزت الملائكة - لشقها - إلى الأرجاء، وهي: النواحي، وصارت حينئذ حافة حول العرش الباقي، والعرش فإنما هو: السقف الأعلى؛ والأسفل ففناؤه قبل فناء الأعلى؛ فليعقل هذا من المعنى -من أراد حقيقة ما عنى، وليعلم أن سقف أعلى ما فيه الملائكة من السماوات، غير مسكون بشيء من البريات.

فإن قال قائل: أفيكون مكان غير مسكون ؟!

قيل: نعم، سقف ما تناهى من بناء السماوات العلى؛ لأنه لا يكون سفل أبدا إلا بأعلى، فأما أن العرش هو: السقف فموجود في اللسان، كثير ما يتكلم به بين العرب والعجمان.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده...﴾ إلى آخر السورة؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه عن قول المؤمنين في يوم الدين، وعند مصيرهم إلى كرامة رب العالمين؛ فأخبر: أنهم يقولون عند ذلك: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾، يقولون: الذي أنجز لنا ما وعدنا من ثوابه، وأكمل لنا ما وعدنا من كرامته. ﴿وأورثنا الأرض﴾، يريد: أرض الآخرة، وأرض الجنة. ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾، يقول: حيث نحب ونريد. ﴿فنعم أجر العاملين﴾، يقولون: الجنة أفضل جزاء العاملين، في الطاعة لرب العالمين. معنى: ﴿حافين من حول العرش﴾ فهو: محدقون بكل أهل الحشر في ذلك اليوم، والعرش فهو: الملك، وحفوفهم بالملك فهو: قيامهم فيه وبه في ذلك اليوم. ﴿وقضي بينهم﴾، يقول: بين الخلق. ﴿بالحق﴾: الذي لا ظلم فيه، والحق:

العدل الذي لا جور فيه. والقائل: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فهم: الملائكة المسجون، والمؤمنون الناجون، المخصوصون بالكرامة المثابون.

وقال في كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

معنى قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ -مجاز، عبر الله سبحانه عن تعظيم الملائكة صلوات الله عليهم له أبلغ تعظيم، بقوله تعالى: ﴿حافين﴾، حيث كان لا يعرف المخاطب التعظيم البالغ في الشاهد إلا للملوك عند الحفوف بها، وهي على أسرتها؛ فعبر الله تعالى عنه كذلك.

سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]

قال في شرح الرسالة الناصحة للإخوان للإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام:

الطول هو: اتساع القدرة، وتمكن البسطة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦)﴾ [غافر: ٦]

قال في كتاب المجموعة الفاخرة، في جواب سؤالٍ لابن الحنفية:

وأما ما سأل عنه من: قول الله سبحانه: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾، فقال: خبرونا عن قول الله: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾، فقال: هل يستطيع هؤلاء أن يطيعوا، وقد حق عليهم من الله القول والأمر، ووقع الحكم والخبر؟ فتوهم الحسن بن محمد؛ لقلة علمه، وكثرة جهله: أن الله تبارك وتعالى حكم عليهم بما أدخلهم فيه، وجبلهم عليه، فظلم نفسه، وكفر بربه.

وليس ذلك على ما قال، ولا على ما ذهب إليه من المحال، وسنفسر ذلك من قول الله تبارك وتعالى، فنقول: إن الكلمة التي حقت هي: حكمه على من كفر من الخلق بالنيران، من الجنة والإنسان، فإن الله تبارك وتعالى علم بما سيكون منهم من

العصيان والإحسان، فأوجب للمحسنين الثواب، وعلى المذنبين العقاب.

فأما ما سأل عنه من قوله: هل كانوا يستطيعون أن يطيعوا الله جميعا فلا يعصوه؟

فكذلك نقول: إنهم كانوا يستطيعون طاعته، كما يطيقون معصيته؛ ولكنهم افترقت بهم الأهواء، فمنهم من اختار الإيمان والتقوى، ومنهم من اختار الضلالة والعمى؛ والله تبارك وتعالى إنما حكم بالنيران -على من اختار من الثقلين العصيان، وكره ما أنزل الرحمن؛ فعلم الله وقع على اختيارهم، وما يكون من أفعالهم، ولم يدخلهم في صغيرة، ولم يخرجهم من كبيرة، ولو علم أنه إذا دعاهم، وبصرهم وهداهم؛ أجابوه بأسرهم، وأطاعوه في كل أمرهم -إذا لأخبر بذلك عنهم، كما أخبر به عن بعضهم، وكذلك لو علم أنهم يختارون بأجمعهم المعصية -لحكم بالنار عليهم كلهم، كما حكم على الذين كفروا منهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١)﴾ [غافر: ١٠، ١١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾، إلى قوله: ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾؟

فقال: معنى ذلك: أن الله يخبر عن أهل النار، وما يكون من مقتهم لأنفسهم؛ ومعنى مقتهم فهو: بغضهم لأنفسهم، وبغضهم لها في ذلك اليوم فهو: على ما تقدم منها، من المعاصي في الدنيا، حتى أهلكتهم بذلك في الآخرة، فلما أن

صاروا إلى النار بغضوا أنفسهم، وتمنوا أنها كانت في التراب هالكة، كما كانت بالية فانية، فنادتهم ملائكة الله عند ذلك، فأخبرتهم أن مقت الله لهم في هذا الوقت أكبر من مقتهم لأنفسهم، فردوا على ملائكة الله ما تسمع من هذا القول، من قولهم: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾، يقولون: جعلتنا في أصلاب آبائنا ماء مهينا مواتا؛ فهذه: الموتة الأولى، ثم أمتنا من بعد الحياة الأولى والإيجاد، فصيرتنا إلى القبور؛ فهذه: اثنتان، وأحييتنا الحياة الأولى، التي جعلتنا في بطون أمهاتنا أجساما وأرواحا، من بعد أن كنا نطفة وعلقة ومضغة مواتا، لا حياة فينا، ثم أحييتنا الحياة الثانية، وهي نشرك لنا من القبور بعد الفناء، وإخراجك إيانا بعد الفناء والبلاء، من أجداثنا أجساما متجددة أحياء؛ فهذه الحياتان والميتتان. ثم قالوا: ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾، يقول: هل إلى رجعة إلى الدنيا من سبيل، فنعمل صالحا غير الذي كنا نعمل؛ إذ قد رأينا وأبصرنا، وعاينا وشاهدنا، واعترفنا بذنوبنا. ومعنى ﴿اعترفنا﴾ فهو: أقررنا بها، وشهدنا على أنفسنا بما كان منها.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ [غافر: ١٥، ١٦]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله سبحانه: ﴿ذو العرش﴾ فتأويله: ذو الملك، لا يتوهم ذلك: كرسي منصوب، لقوائمه في جوانبه ثقوب.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿لينذر يوم التلاق (١٥) يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (١٦)﴾؟

فقال: معنى: ﴿لينذر يوم التلاق﴾ فهو: ليحذر ما يكون من العقاب، في يوم التلاق؛ ويوم التلاق فهو: يوم الاجتماع، يوم يلتقي الخلق كلهم إلى موضع واحد، وهو يوم الحشر، ويوم الميقات، ويوم الميعاد. معنى ﴿بارزون﴾ فهم: ظاهرون، غير مستترين بدار ولا جدار، قد برز بعضهم لبعض، وعاين بعضهم بعضا، لا يخفى على الله منهم شيء. معنى: ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ هو: لا يخفى على الله من سرائرهم شيء، ولا من أعمالهم، ظاهرا كان أو مستترا من أفعالهم. ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾، يخبر سبحانه: أنه يوم قد انقطع فيه ملك كل ملك، وأثر كل متملك، إلا الله سبحانه الواحد القهار، النافذ أمره، الماضي في ذلك اليوم حكمه، المذل فيه للملوك الجبارين، المعز لأوليائه المؤمنين. الواحد فهو: الذي ليس معه في الحكم في يوم الدين أحد يحكم ولا يأمر. القهار فهو: الغالب الجبار.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾ [غافر: ١٨، ١٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾، إلى قوله: ﴿وما تخفي الصدور﴾؟

فقال: الآزفة فهو: الهاجمة الواقعة، السريعة الهجوم والنزول بأهلها، وهي:

يوم القيامة والساعة الهاجمة على الخلق. ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾، يقول: من شدة الهول والأمر العظيم الذي يعاينون، قد ارتفعت قلوبهم حتى قاربت حناجرهم من الفزع المفزع، والروع المفظع. كاظمون فهو: سكوت كاظمون، والكاظم فهو: الصامت الذي لا ينطق، يقلب عينيه، ويسمع لهول ما فيه قد وقع. ﴿ما للظالمين من حميم﴾، يقول: ما لهم من ولي ولا قريب ينفعهم، لا طفل في طفولته، ولا أحد مؤمن ينتسب الظالمون إليه، يطمعون في ذلك اليوم عنده بمنفعة، ولا يطمع هو لهم بخلاص من النقمة؛ فهؤلاء هو الحميم، يريد: القريب المناسب. ﴿ولا شفيع يطاع﴾، يقول: ليس في ذلك للظالمين شفيع يجيب الله دعوته، ولا يجيز في الظالمين شفاعته، فهذا معنى: ﴿يطاع﴾، أي: يعطى أمنيته فيهم ويجاب، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾. ﴿خائنة الأعين﴾ معناها: ما تشير به الأعين، وتومي به؛ فأخبر سبحانه: أنه يعلم ذلك من الأعين قبل كونه، وقبل كونها به. ﴿وما تخفي الصدور﴾ فهو: غيب الصدور، من خفي أمرها، ودقيق ضميرها، مما لم يظهر في شيء من الجوارح عنها.

قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

وبالإسناد: حدثنا محمد، قال: حدثني عبد الله، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلاء، قال: سمعت رجلا سأل زيدا عليه السلام، عن قول الله عز وجل: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، فقال: قد رأيناه يدعا شيئا لا يستجيب فيه.

قال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: الاستجابة إنما تكون على الدعاء الجائز لصاحبه؛ ألا ترى أنه لو دعا بمعصية لم يجز الإجابة له، فإذا دعا بدعوة ، وهي تفي، فلم يعطها -فقد استجيب له؛ لأنه يعطى بها عوضا، وكان

أصلح له -ما يعوض من دعوته تلك، ويدخر له منها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)﴾ [غافر: ٨٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون﴾؟

فقال: المعنى في ذلك: أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وعلى آله بخبر هؤلاء الذين جاءتهم رسلهم بالبينات، فكذبوا بها وفرحوا بما عندهم من العلم، والعلم الذي فرحوا به فهو: ما كان عندهم، من أخبار من كان قبلهم، ممن عصى الله من آبائهم، ممن تحل به نقمه، وإخزاء الله لأعدائه به، فقالوا لرسلهم: قد جاء غيركم آباءنا بمثل ما قد جئتم به، فلم ينزل بهم إذ عصوهم ما تعدوننا أنتم: أنه ينزل بنا إذا عصيناكم، ففرحوا بما عندهم من علم سلامة من سلم من آبائهم، من علم من وقع به العذاب من أوائلهم، ففرحوا بسلامة السالمين، وطمعوا بمثلها، ولم يخافوا ما نزل بالمعذبين، فيتوقعوا أكبر منها، حتى جاءهم ما كانوا به يستهزئون، من هذا الوعيد الذي وعدهم به ربهم من العذاب؛ إذ لم يزالوا به مكذبين مستهزئين، حتى حاق بهم ما كانوا به يستهزئون. ومعنى: ﴿حاق﴾ فهو: وقع ونزل.

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦-٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت: عن قوله: ﴿وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة﴾؟

فهي: البر والأمور المرتضاة، ومنها: زكاة الأموال، وصالح عمل العمال، الذين يعملون لله، ويسعون في مرضات الله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾ [فصلت: ١١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿استوى إلى السماء﴾ فهو: صار حكمه إلى تدبير السماء وخلقها، وهي إذ ذاك دخان في الهواء، فخلق من ذلك الدخان هذه السموات العلى؛ فهذا معنى: ﴿استوى﴾، أي: صار حكمه وفعله إلى خلق السماء، من بعد خلق الأربعة الأشياء الأصلية، وهي: الهواء، والماء، والريح، والنار؛ فهذا معنى

قوله: ﴿استوى﴾، لا أنه تبارك وتعالى انتقل إليها من الأرض، ولا كان في الأرض دون الهواء، هو محيط بكل الأشياء، مستغني عن الأمكنة والأشياء، تبارك وتعالى ذو الجلال والبقاء. ومعنى قوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ هو: أراد أن يأتيا فأتيا، وليس ثم قول، وإنما هذا مثل يخبر سبحانه: أن سرعة نفاذ إرادته، ومضي مشيئته أسرع من قول القائل:" كن ". و معنى: ﴿ائتيا﴾ هو: كونا، ولم يكن ثم أمر منه لهما؛ لأنهما في ذلك الوقت دخان وحراقة، وإنما هو مثل مثل بالأمر، وإنما معنى: ﴿ائتيا﴾ أي: أراد فجعل، وشاء كونهما فكانتا؛ فإيجاده لهما: مراده لهما، ومراده لهما هو: إيجاده إياهما، لا تسبق إرادته موجوده، ولا موجوده إرادته، إذا شاء شيئا كان، بلا تكلف ولا إضمار، ولا استعانة بأعوان. ومعنى: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾: هذا أيضا مثله في الطاعة والاستواء، أراد سبحانه: أنهما عند إرادته لإيجادهما كانتا، لم يمتنع عليه من أمرهما ممتنع، ولم يعسر عليه في خلقهما عسير، ولم يؤده من تدبيرهما صغير ولا كبير؛ فهذا معنى: ﴿أتينا طائعين﴾.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام، بعد ذكره الآية:

والأرض فليس تكلم ولا السماء، وإنما أخبر الله عز وجل: بكون ما أراد من إنفاذ أمره، وأنه لا يمتنع عليه شيء من خلقه؛ لأن العرب تعرف في لغتها: أن كل ما لا بد من إتيانه طوعا أو كرها -أنه شيء لا حيلة فيه ولا مرد له، وهو حتم نافذ؛ فجاز أن يقول: ﴿طوعا أو كرها﴾؛ إذ هو جائز في اللغة، موجود في الكلام والمخاطبة.

وقال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وقول الله عز وجل: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض

ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١)﴾؛ فنقول لمن خالفنا: أخبرونا متى خاطبها الله: أقبل أن يكونا أو بعد ما كانتا ؟!

فإن قالوا: قبل أن يكونا.

قلنا لهم: فكيف يخاطب الله عز وجل شيئا لم يكون، ولم يخلق ؟!

وإن قالوا: خاطبهما بعد ما كانتا.

قلنا لهم: فكيف يخاطب الله سبحانه شيئا قد كان، وخلقه؛ فيقول له: "ائت وكن"، وقد جاء وفرغ؟! فلا يجدون حجة يدفعونا بها، وإنما هذا على معنى: أن الله عز وجل خلقهما، وحيث أرادهما - فجاءتا كما أراد ، وليس ثم كلفة ولا اضطرار، ولا قول: " كن "؛ لأنه الغني لا يحتاج إلى شيء واحد من جميع الأشياء كلها، ولو احتاج لشيء واحد لا غيره بطل قوله: ﴿هو الغني﴾؛ لأنه غني عن عباده على الحقيقة، لا على المجاز.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، بعد أن ذكر الآية:

المراد به: ثم اقتدر على السماء؛ والقول من الله هو: الفعل، لا غير، والقول من السماء والأرض هو: الإذعان لله والذلة [له].

قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

معناه: خلقهن وأتم خلقهن.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)﴾ [فصلت: ١٣]

قال في كتاب الرد على مسائل المجبرة للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

جاء هاهنا: أن الفريقين إنما هلكا جميعا بالصاعقة، بعد ما قال: أنهما هلكا بالريح والرجفة؛ هذا من عجائب العربية؛ لأن الريح عند العرب: الصاعقة، وكل عذاب هو عندهم: صاعقة، لا يشكون في ذلك؛ لما يعوا في كلامهم وخطابهم، والدليل على ذلك: أن الصعق القيسي كان يقرئ أضيافا له، واشتدت عليه الريح مآذنة؛ فدعا عليها؛ فسلطها الله عز وجل عليه؛ فأهلكته؛ فمات منها؛ ولذلك لا يعرف هو ولا ابنه في قيس إلا: بعمر بن الصعق؛ قال الشاعر:

وإن خويلدا فابكي عليه ... قتيل الريح في البلد التـهامي

فسموه " الصعق "، ورثوه بأنه: قتيل الريح، وأن الصعق عندهم هو: الريح؛ فافهم هذا الباب إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)﴾ [فصلت: ٢١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكر الآية:

معنى: ﴿أنطقنا الله﴾ أي: جعل فينا استطاعة ننطق بها، وأذن لنا بالنطق فنطقنا، وشهدنا حينئذ بما علمنا؛ ولو كان الله الذي فعل الكلام بعينه، وولي قوله بنفسه دون غيره -لقالت جلودهم: نطق الله علينا فيكم، وشهد هو لا

نحن عليكم، وتكلم علينا بما علم منكم؛ تعالى الله عما يقول المبطلون، ويضيف إليه الملحدون. وليس انطاقه إياها في الآخرة، إلا كإنطاقه للألسنة في الدنيا والآخرة، وليس إنطاقه للألسنة إلا كإسماعه السمع، فلما جعل في السمع استطاعة على أن يسمع سمع، وكذلك العين واليد والرجل؛ فالعين: الله خلقها، والنظر إلى الأشياء فعل العبد، واليد: الله خلقها، والإنسان يبطش بها، والرجل: الله خلقها، والإنسان بها مشى؛ فمن الله سبحانه خلق الأدوات، وإيجاد الآلات في الأبدان، وما تفرع منها فمن أفعال الإنسان؛ وذلك - ولله الحمد، ذو المن - بين الشأن، لمن عرف الله على حقيقة العرفان.

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)﴾ [فصلت: ٢٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله عز وجل: ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾، إلى قوله: ﴿كانوا خاسرين﴾؟

فقال: معنى ﴿قيضنا﴾ هو: خلينا وأمهلنا، ولم يحل بين هؤلاء القرناء وبين من اجترأ علينا، والقرناء فهم: قرناء السوء، من شياطين الجن والإنس؛ فلما أن كان الله تبارك وتعالى قادر على أن يصرف عن أعدائه هؤلاء كيد هؤلاء القرناء، فلم يفعل؛ جزاء على فعلهم، وخذلانا بكفرهم -جاز أن يقول: ﴿قيضنا﴾، يريد: تركنا وأمهلنا، حتى زينوا لهم. معنى التزيين فهو: التحسين، بما يبسطون لهم من الأمل في الدنيا، ويمنونهم من المغفرة في الآخرة التي تبقى؛ فهذا معنى: ﴿فزينوا

لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾. معنى: ﴿وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم﴾ فهو: أغووهم، حتى حق عليهم ما نزل بالأمم من قبلهم، على مثل فعلهم. معنى ﴿خاسرين﴾ فهو: منتقصون، وانتقاصهم فهو: فوت ما ظفر به المؤمنون، من الثواب الذي حرمه العاصون، وانتقصوه بمعصيتهم، وفاتهم بترك الطاعة لربهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾ [فصلت: ٢٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسئل عن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾؟

فقال: المضلان للكافرين، اللذان سألوا ربهما أن يريهم إياهما فهو: مضلي الإنس والجن ومغوياهم؛ لأن كل ضال بالضلال مضل فلم يضل إلا بإطغاء شيطان ووسوسته، أو إطغاء جبار من الإنس دخل في طاعته؛ فجبار الإنس المضل لأتباعه، والشيطان الموسوس بالمعصية لأوليائه -هما المضلان للضالين، وهما اللذان سألوا أولياؤهما وأهل طاعتهما في الدنيا رؤيتهما في الآخرة؛ تعسفا وغضبا عليهما؛ لينالا في العذاب بعض ما تشتفي به منهما صدورهم، ويخف غيظهم؛ ولا يرجى - ولله الحمد - لأحد من أهل جهنم في ذلك سلو - لو كان - ولا غيره.

وقال يحيى بن الحسين رضي الله عنه: قوله عز وجل: ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩)﴾: المعنى في ذلك: أن هذا السؤال من الكفار الضالين -طلب إلى الله أن

يريهم من أضلهم وأغواهم، من جبابرة الآدميين، ومغويهم من فراعنة الشياطين، الموسوسين بالمعصية لهم، المزينين لما في صدورهم. ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾، يقولون: تحتنا في النار، ونطأهم ونذلهم كما أهلكونا. معنى: ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ فهو: ليكونا تحتنا في العذاب المهين؛ وذلك أن جهنم ﴿ظلل من فوقها ظلل﴾؛ معنى: ﴿ظلل﴾ أي: درجات متفاوتات؛ فأشد عذابها أسفلها، فكل ما كان أسفل فهو أشد عذابا ممن هو فوق، فأراد هؤلاء: أن يكون المغوون لهم أسفل منهم، في الدرجة التي هي أنكى عذابا، وأشد نكالا وأشقى.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت: ٣٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

الولي هو: القريب الرحم، المحب المشفق.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت: ٥٤]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

لقاؤهم لربهم فهو: مصيرهم ومرجعهم إليه، وليس بلقاء: رؤية ولا عيان، ولا يمكن شيء من ذلك فيه؛ لبعده سبحانه في ذلك وغيره من مماثلة الناس وغير الناس، وبقدسه وتعاليه عن أن ينال أو يدرك بحاسة من الحواس. وإنما تدرك معرفته وتنال - له القدس والكبرياء والجلال - بما بين من الدلائل والآيات لقوم يعقلون، كما قال سبحانه: ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ [البقرة: ١١٨]؛ فليس بعد تبيين الله بيان، يكون به معرفة ولا إيقان.

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ [الشورى: من (١)، إلى: (٥)]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قوله سبحانه: ﴿حم (١) عسق (٢)﴾، إلى قوله سبحانه: ألا إن الله هو الغفور الرحيم (٥)﴾؟

فقال: ﴿حم (١) عسق (٢)﴾: حروف تولى الله علمها، لم يبينها لأحد من خلقه؛ إذ ليس له فيها أمر ولا نهي، ولا فرض ولا أمر تعبد به عباده، يحتاجون إلى علمه ومعرفته. ﴿كذلك يوحي إليك﴾: إخبار من الله تبارك وتعالى: أنه الذي يوحي إليه، وإلى جميع الأنبياء الذين كانوا قبله. ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾، معنى ذلك: إجلالا وإعظاما، وإكبارا وألما؛ لما فعل المكذبون بآيات الله ووحيه، ووعده ووعيده، وما نزل من جميع أخباره؛ فيقول سبحانه: لو كان في السموات تمييز وفهم لما قالوا، وبه كذبوا -لتفطرن؛ إجلالا لله وإعظاما، وإكبارا لما جاء به المشركون من تكذيب قول الله، والصد عن آيات الله. ثم أخبر

بطاعة الملائكة، وإعظامها أيضا لما يأتون به، فقال: ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾، يقول: لما أن فعل المشركون ما فعلوا -سبحته الملائكة وهللته وعظمته؛ إجلالا له عن قولهم، وتقديسا له عن شركهم. ثم أخبر بفعل الملائكة في المؤمنين، المصدقين بما كذب به الكافرون، المسلمين لما جحده المشركون، المصدقين بوعد الله ووعيده، الموقنين بحشره وثوابه وعقابه، يقول: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾، يريد: لمن فيها من المؤمنين، المصدقين المتقين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ [الشورى: ٧]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾؟

فقال: أم القرى هي: مكة؛ ومن حولها من القرى فهي: أعمال مكة، وما قاربها من الحجاز كله. ومعنى ﴿تنذر أم القرى ومن حولها﴾، وإنما ينذر أهلها، وأهل القرى التي حولها؛ فلما أن كان الأهل من سبب القرى -طرح الأهل، وأثبت القرى، وإنما يريد: الأهل، كما قال في قوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾، يريد: أهل القرية، وأهل العير. ومعنى قوله: ﴿وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾ فهو: أيضا على هذا المعنى، أراد: وتنذر العذاب الذي يكون في يوم الجمع، فطرح: العذاب، وأقام: يوم الجمع مقامه، كما فعل في: أم

القرى؛ ويوم الجمع فهو: يوم القيامة، الذي يجتمع فيه الخلق إلى موضع الحشر. ﴿لا ريب فيه﴾، يقول: لا شك أنه سيكون. ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾، يخبر: أن ذلك اليوم يوم يصير فيه فريق من الناس في الجنة، ويصير فريق منهم في السعير. والإنذار فهو إلى: أم القرى ومن حولها، وإلى جميع أهل الأرض، غير أنه خص أم القرى بالذكر؛ لعظيم ذكرها، وأنها كانت المبتدأ في الإعذار والإنذار، ثم يبلغ إعذاره صلى الله عليه وآله جميع شرق الأرض وغربها، وشامها ويمنها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾.

قال محمد بن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه : نعم، الله الحاكم فيه عليكم، والفاصل فيه بينكم، فيما اختلفتم فيه حكمت، وما لم يأمرني أن أحكم فيه بينكم لم أحكم وأمسكت، وما لم أجر الحكم فيه بينكم إلى يوم القيامة كان مؤخرا، حتى يحكم فيه سبحانه يوم البعث، وفصل الحكومة .

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

أراد بقوله: ﴿فحكمه إلى الله﴾: أن يردوا ما اختلفوا فيه إلى من أمرهم الله برده إليهم، حيث يقول تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء:٨٣].

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:

أي: مردود إلى ما جاء عن الله، في محكم كتابه تعالى، وعلى لسان رسوله صلى

الله عليه وآله، وذلك دليل علمي يقضي بصحة القياس، من حيث أنه رد إلى النصوص من الكتاب والسنة؛ لا ينكر ذلك إلا ألد مكابر، وما قضى بصحته المعلوم كان معلوم الصحة، خارجا من حيز الظن إلى حيز القطع، وإلا انتقض.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى: ١١]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

وبالإسناد قال: حدثنا محمد، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني عمارة، قال: حدثني عبيد الله بن العلاء، قال: سمعت رجلا يسأل زيدا عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، قال: إنه لم يقل: ليس هو شيء؛ فما المثل هاهنا، وهو لا مثل له؟

قال الإمام زيد بن علي عليهما الصلاة والسلام: المعنى في ذلك على: ليس كـ هو شيء؛ فأدخل " المثل " توكيدا للكلام، مثل قوله عز وجل: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾، كأنه قال: الجنة التي وعد المتقون؛ فأدخل المثل توكيدا للكلام.

قال الرجل: وهل تعرف العرب هذا؟

قال: نعم؛ قال لبيد العامري:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقال أوس بن حجر:

وقتلى كمثل جذوع النخيل ... يغشاهم سيل منهمر

وإنما هو: كجذوع النخيل، والبيت الآخر: أي: ثم السلام عليكما.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول سبحانه: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾؟

فقال: معنى: ﴿فاطر السموات﴾ فهو: مبتدعها ومبتدؤها، ومعنى قوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ فهو: خلق لكم من أنفسكم رجالا ونساء، يتزاوجون ويتناسلون، وكذلك قوله: ﴿ومن الأنعام﴾ أي: خلق أيضا من الأنعام إناثا وذكورا تتناسل. ومعنى قوله: ﴿يذرؤكم﴾ فهو: ينبتكم ويخرجكم، ويخلقكم ويصوركم ويكثركم.

وقال في الجواب الرائق في تنزيه الخالق للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، في الاحتجاج على إبطال الجسمية شرعاً:

ووجه الاحتجاج بهذه الآية هو: أنه تعالى نفى أن يكون له مثل على جهة الاستغراق، ولو كان جسما لكان له مثل؛ لما قدمنا من أن الأجسام كلها متماثلة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: ﴿مقاليد السماوات والأرض﴾ [الزمر: ٦٣، الشورى: ١٢]؟

فالمقاليد هي: المفاتيح، ومفاتيح الغيب فهي: المقاليد.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)﴾ [الشورى: ١٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾؟

فقال: يقول: إن الذين يحاجون في الله، أي: يدافعون عن تصديق الله، ويكذبون ما جاء عن الله. ﴿من بعد ما استجيب له﴾، يقول: من بعد ما قد تبينت حجته، فظهرت دلالته، وقبلها المؤمنون، واستجابوا لربهم، وآمنوا به؛ فأخبر: أن حجتهم حجة من أنكر ما قد وضح وبان. ﴿فحجتهم داحضة عند ربهم﴾، يقول: لم يبق لهم حجة، يصرف بها عنهم العذاب، ولا يجب تبيينها لهم، ولا يلزمنا بها تأخير العذاب عنهم؛ قد بينا وأوضحنا واحتججنا، حتى شهدت عقولهم بأن ذلك هو الحق، ثم كابروا، فليس مكابرتهم بعد المعرفة حجة عند الله يجب بها تأخير العذاب، كما يجب من قبل ثبات الحق عندهم، وظهوره لهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام:

المسألة الرابعة عشر عن: قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى...﴾الآية: ما يريد بالأجر؟

الجواب عن ذلك: أن هذه الآية خاصة لآل محمد صلوات الله عليهم، والخطاب

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأجره: مودة أهل بيته عليه وعليهم السلام؛ لأن كل نبي قوله: ﴿لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على رب العالمين﴾، إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الناس من أوفاه أجره، ومنهم من ظلمه، وفي الحديث: أنه سئل صلى الله عليه وآله وسلم: من قرابتك الذين أمر الله سبحانه بمودتهم؟ قال: ((فاطمة وولدها))، فخصت الآية، وبين الحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أخبر: أن التعدي في المكافأة ظلم، وأن أشرف العفو وأصل العدل أن يكون إذا عصى الله عبد ألا تعصي الله فيه، ولا تراده بكلام يخرجك إلى ذلك؛ بل تكظم غيظك، وتكف لسانك، وتستعمل حلمك، وتخاف إن أضعت ذلك إسخاط ربك، وإن آثرت الاقتياد على العفو -كنت كما قال الله: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين (١٩٤)﴾ [البقرة: ١٩٤]، اتقوه أن تجاوزوا من ذلك إلى ما ليس لكم في قول ولا فعل ولا نية، ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾،

إلى قوله: ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ يقول: والذين إذا أصابهم الظلم في دينهم لم يقروا به، وانتصروا ممن بغى في دينهم، أو في أموالهم، أو في دمائهم، حتى يثبتوا الحق، ويزيلوا الباطل؛ فأخبر: أن نبيه لم يثبت باطلا، ولم يترك حقا. وأما قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فذلك في: ما يجوز المكافأة به من السيئات، لا في شيء من المحرمات، وإنما ذلك في: القتل والجراح والمال؛ فيجوز أن يكافأ من فعل شيئا من ذلك بمثل ما فعل، فأما في ما لا يجوز فعله، مثل ظلم بريء، أو فعل فاحشة يأتيها فاسق دنيء إلى حرمة مسلم، فلا يجوز للمسلم أن يأتي مثل ذلك في بريء ولا حرمة؛ فافهم الفرق بين هذين المعنيين، وقف على وجه هاتين الحالتين.

وقال في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: البغي فهو: في الدين، يجب على المسلمين أن يحاموا عن دينهم، ويجاهدوا مع الأئمة على إقامة أحكام الكتاب وإظهار السنة؛ لأن من بغى على الله عز وجل، وعلى رسوله، وعلى ما افترض من دينه –فقد أوجب الله عز وجل قتله وقتاله؛ ومن البغي أيضا: الظلم والتعدي، مثل: قوم يعمشون [١] قوما يريدون أخذ أموالهم، وهتك حريمهم، فقد جعل الله عز وجل لهم السبيل إلى الدفع عن أنفسهم، والقتال للباغي عليهم، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه، فقال سبحانه: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات:٩]، وكل من بغى وظلم فقد جعل الله سبحانه السبيل إلى الانتصار منه بما أنزل سبحانه من حكمه، ففي ما حكم الله

(١) – كذا في النسخة المنقول منها، ولعل الصواب: يغشون. (جامعُهُ)

عز وجل به على الظالمين من أحكامه كفاية للمكافين، ولا يجوز لأحد أن يتعدى إلى المكافئة، وما جعل الله سبحانه من الحكم، ومن فعل ذلك كان من الظالمين، وكل تعد فهو بغي وظلم.

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل بـ﴿سيئة مثلها﴾: مما حكم به سبحانه منها، مثل رجل يقتل رجلا، فحكم الله عز وجل عليه بمثل فعله، فقال تبارك وتعالى: ﴿النفس بالنفس﴾ [المائدة:٤٥]، ومثل رجل يقطع يد رجل ظلما، فيقطع يده، وآخر يقلع عين إنسان، فيقلع عينه، كما قال سبحانه: ﴿والعين بالعين﴾ [المائدة:٤٥]، ومن جرح جرح، كما قال الله سبحانه: ﴿والجروح قصاص﴾ [المائدة:٤٥]، فهو من المعتدي ظلم وابتداء، وهو من المستنصف حكم وجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)﴾ [الشورى: ٤٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل﴾، إلى قوله: ﴿في عذاب مقيم﴾؟

فقال: هذه صفة الكافر في يوم الدين؛ أخبر الله بما ينزل بهم فيه من الذل والخزي، ومعنى: ﴿ينظرون من طرف خفي﴾: ينظرون بطرف خفي، والطرف الخفي فهو: الطرف الذليل، الخاشع العي؛ وقد يدرك ذلك في من نزل به بلاء في

الدنيا، ويرى ذلك في طرفه ظاهرا لا يخفى، إذا قارب من يهابه من الجبارين، أو واجه من يخشى منه من السلاطين؛ والخاشع فهو: المطأطئ الرأس، المنكس إلى الأرض. ومعنى: ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ فهو: من ذهبت منه نفسه بالعذاب، وحصلت بسوء فعله في العقاب. ﴿وأهليهم﴾ فقد يخرج على معنين:

إما أهله الذي كان يعرفهم في الدنيا، ويألفهم فيها، فخسرهم بمفارقتهم: إما بمصيرهم إلى عذاب أليم، وإما بمصيرهم إلى ثواب كريم؛ ففي كلا المعنيين قد خسرهم الكافر.

والمعنى الأول[1] فقد يخرج على: أن الأهل هم حوريات الجنة، اللاتي جعلهن الله ثوابا للمؤمنين، وخلقن أهلا للمتقين؛ فكان من عمل بغير الهدى، وجنب عن التقوى خاسرا للأهل الذين جعلوا للمتقين، فخسرهم الفاسقون؛ بفعلهم ما لا يجب الحوريات لمن فعله، ولا يناهن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى: ٥١، ٥٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾؟

---

(١) - كذا في النسخة المنقول منها، والصواب:" والمعنى الثاني "؛ تأمل. (جامعُهُ).

فقال: ليس يتوهم عاقل أن احتجاب الله: بإرخاء ستر ولا بإغلاق؛ ولكنه – كما قال سبحانه – لعجز الأبصار عن دركه بالرؤية والعيان؛ إذ يقول سبحانه: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣]، وهذا فهو أحجب الحجب، وما لا يكون إلا الله تبارك وتعالى.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾، إلى قوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾؟

فقال: الوحي الذي ذكر الله هاهنا فهو: وحي النوم، كما أوحى إلى أم موسى عليه السلام فيما أمرها به من إرضاعه، فإذا خافت عليه القتل ألقته في اليم، ومثل وحيه إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه إسماعيل صلى الله عليهما. ﴿أو من وراء حجاب﴾: يخلق صوتا يسمعه السامع، كما كان فعله في موسى، خلق له صوتا في الشجرة، فسمعه موسى؛ والحجاب فمعناه: أن يأتي الصوت، ولا يرى له مصوتا؛ فهذا الحجاب الذي بين الصوت وبين السامع. ﴿أو يرسل رسولا﴾ معناه: الملك الذي كان يأتي إلى الأنبياء بوحي من الله، وهو جبريل صلى الله عليه. ومعنى قوله: ﴿روحا من أمرنا﴾ فهو: أمر يحيي به العباد، ومعنى حياتهم به فهو: إيمانهم به؛ لأن من آمن فقد حيي، ومن كفر فقد مات، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾. ومعنى: ﴿من أمرنا﴾ فهو: قبلنا وعندنا.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

وأما قوله تعالى: ﴿أو من وراء حجاب﴾ أراد: أو كلاما يسمعه العبد من غير ناطق مشاهد، كما سمع موسى –صلى الله عليه– الكلام من الشجرة. وليس بين الله وبين خلقه حجاب؛ لأنه لو كان بينه وبين خلقه حجاب لكان مشابها لخلقه،

ولكان غائبا عن المحتجب منه؛ تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا. وقد روي عن الحارث، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام: أنه دخل السوق، فإذا هو برجل مول ظهره، يقول: لا، والذي احتجب بالسبع. فضربه علي عليه السلام علىٰ ظهره، ثم قال: ((من الذي احتجب بالسبع؟)) قال: الله، يا أمير المؤمنين. قال: ((أخطأت، ثكلتك أمك: إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب؛ لأنه معهم أينما كانوا)). قال: فما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: ((الله معك أينما كنت)). قال: أطعم المساكين؟ قال: ((لا، إنما حلفت بغير ربك)).

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥)﴾ [الزخرف:٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾؟

فقال: معنى ذلك من الله سبحانه على: معنى الاحتجاج عليهم، والتقريع لهم؛ لما هم عليه من إسرافهم، يقول: أإذا كنتم قوما مسرفين -أيجوز لنا أن نضرب عنكم الذكر بذلك، أي: نتركه ونصرفه عنكم، ولا نقيم به الحجة عليكم، هذا ما لا يكون من فعلنا؛ لأن مع إسرافكم نزول النقم عليكم، والنقم منا فلا تنزل إلا على من ثبتت عليه حجتنا؛ فكيف نضرب عنكم الذكر صفحا بإسرافكم، وقلة قبولكم، ونحن فلا ننزل النقمة بكم إلا من بعد ثبات الحجة عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥)﴾ [الزخرف: ١٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله سبحانه بكفر من جعل لله شريكا في العبادة، فعبد من دونه شيئا من خلقه، كمن عبد الملائكة من دون الله، وكذلك كل من أطاع كافرا في ما يأمره به من معاصي الله، وترك أمر الله، فقد عبد من أطاعه؛ لأن أكبر العبادة هي: الطاعة، ومن أطاع عبدا من عباد الله في معصية الله فقد جعل له جزءا من عمله؛ بل قد أخلص العبادة لغير ربه، إذ أخلص الطاعة لمن هو مستسلم في يده، من أعداء الله ربه وخالقه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧]

قال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

يقول: إن أحد هؤلاء الكفار إذا بشر بالأنثى اغتم وتعب، وإذا بشر بالذكر فرح واستبشر؛ فهل يكون الله اختار لهم الذكور، ويأخذ الإناث له؟! وقد عابهم بقوله: ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ [الزخرف:١٨]؛ عز الله عما يقول الكافرون.

قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)﴾ [الزخرف: ١٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾؟

فقال: هذا تقريع من الله تبارك وتعالى للمشركين في قولهم، وإثبات الحجة

عليهم؛ إذ زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن الملائكة إناث، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (١٦) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم (١٧)﴾ [الزخرف]، يريد سبحانه: إن كان قولهم في ما زعموا من أن الملائكة إناث، وأنهم لله بنات - فقال: كيف يصفيكم أنتم بالبنين، ويتخذ هو البنات لنفسه، فلو كان كما تقولون إذا لم يتخذ إلا البنين؛ إذ البنون أفضل من البنات؛ فكيف تنسبون إلى الله ما تكرهون، وتجعلون له ما منه تنتفون، من البنات اللواتي إذا بشر بها أحدكم ظل وجهه مسودا، وهو كظيم مستحيي، خجلا منهم، واغتماما بولادتهن؟! ثم قال سبحانه: ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾، يريد: أومن كان هكذا في الصفة كالبنين الذكور -أهل البيان في الخصام، وأهل الخير والتمام؟! لا يكون ذلك كذلك أبدا. فأضمر الذكور؛ لعلم المخاطب به، فقال: ﴿أومن ينشأ في الحلية﴾، والذي ينشأ في الحلية فهن: البنات اللواتي يزين به في الحلي، ويتزين به، وكذلك فهن اللواتي قال الله: ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾، يقول: في الخصام غير قائم بحجته؛ لضعفهن، وقلة معرفتهن بما لهن وعليهن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾[الزخرف: ٢٦-٢٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (٢٦)﴾، إلى قوله: ﴿لعلهم يرجعون (٢٨)﴾؟

فقال: هذا قول من إبراهيم صلى الله عليه لقومه، تبرأ فيه من كل ما يعبدون من دون الله، وثبت التولي منه لرب العالمين الذي فطره. ومعنى قوله: ﴿سيهدين﴾ فهو: سيوفقني للحق، ويهديني إليه، ويبينه لي. والتي جعلها باقية في عقبه فهي: كلمة الإخلاص، ودين الحنيفية، الباقي في عقبه إلى يوم الدين.

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾[الزخرف: ٣٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام عبد لله بن حمزة عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾:

سأل - أيده الله – عن: قوله سبحانه : ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾، وعن: الغرض، وما السخري؟

الجواب عن ذلك: أن السخري هو: التذليل، " سخره " إذا ذلله، ولما كان من استهزأ بغيره فكأنه استذله قبل تسخيره -فما تصرف من هذه اللفظة فهو يرجع إلى هذا المعنى؛ وذلك: أن الحكيم سبحانه أراد ظهور الحاجة في الخلق؛ ليقع الاعتراف بالعبودية؛ لأن المحتاج لا يكون إلها؛ فالمعنى: قد اتخذ الفقير سخريا لحاجته إليه، والفقير سخريا للغني مثل ذلك، والبعض يحتاج إلى البعض: الأعلى إلى الأسفل، والأسفل إلى الأعلى، فإذا الذي تحق عبادته هو الغني لذاته عن كل ذات، كامل النعوت والصفات؛ سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)﴾[الزخرف: ٣٦]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٣٧)﴾؟

فقال: معنى ﴿يعش﴾ فهو: يصد ويترك، ويعرض عن ذكر الرحمن. ﴿نقيض له شيطانا﴾ فهو: نخلي عليه شيطانا، لا أن الله تبارك وتعالى أمر الشيطان بذلك؛ ولكنه خلاه وإياه، ولم يمنعه منه، فلما أن كان ذلك منه كذلك -جاز أن يقول: ﴿قيضنا﴾، أي: تركنا وخلينا بينه وبينه، ولم يكن منا حاجز له عنه، ولا مانع له منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾ [الزخرف: ٤٤، ٤٥]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾، إلى قوله: ﴿آلهة يعبدون﴾؟

فقال: الذكر الذي له صلى الله عليه وآله ولقومه فهو: كتابه ووحيه الذي نزل على نبيه، وقوله: ﴿وسوف تسألون﴾ يعني بالسؤال: من أعرض عن الحق، وعن

الذكر وقبوله له؛ يسأل بأي حجة كذب وصدق، وبأي معنى أعرض عن الحق. ومعنى قوله: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ فهو: سل كتبهم، وفتش أخبارهم، واسأل عما فرضنا عليهم، مما أتوا به ذاعنين؛ فانظر: هل تجد في هذه الكتب التي أتوا بها منا، الذين أبلغوا منهم عنا -شيئا مما عليه من أشرك بنا، واتخذ آلهة من دوننا، وعبد شيئا من دون عبادتنا؛ فلن تجد ذلك أبدا في شيء من كتبنا، ولا مما جاءت به رسلنا، وإنما ذلك خطأ من فاعله، واجتراء ممن يعبد شيئا من دون خالقه. وقد نهاهم الله سبحانه عن عبادة غيره، وأمرهم بالعبادة له.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [الزخرف: من (٥٧)، إلى: (٦١)]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولما ضرب بن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧)﴾، إلى قوله: ﴿هذا صراط مستقيم (٦١)﴾؟

فقال: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام ذات يوم: ((يا علي، لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عليه السلام -لقلت فيك مقالا لا تمر بملإ إلا أخذوا من أثرك التراب، يبغون به البركة، غير أنك يكفيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)). فقال المنافقون، لما أن سمعوا ذلك: ما رضي محمد أن يضرب لابن

عمه مثلا إلا عيسى بن مريم. ثم قالوا: والله لآلهتنا التي كنا نعبدها خير منه. يعنون: عليا. فأنزل الله ما أنزل فيهم، وهم الحارث بن حلزة، وأصحابه من المنافقين. ثم أخبر الله سبحانه: بأنهم إنما ذكروا هذا جدلا، وطلبا للتعنت، لا إعظاما لعيسى بن مريم صلى الله عليه. ثم أخبر: أن عيسى بن مريم عبد من عباد الله، أنعم الله عليه؛ فكيف لا يضرب الله به المثل لإخوانه المؤمنين. ﴿وإنه لعلم للساعة﴾، يقول: هبوطه إلى الأرض، وظهوره -دليل على قرب الساعة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)﴾ [الزخرف: ٨١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾؟

العابدون هم: الآنفون؛ يقول الله سبحانه لمحمد: يا محمد، قل لمن زعم أن لنا ولدا: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون فأنا أول الآنفين، المبغضين عن عبادة من له ولد.

وقال في كتاب الرد على مسائل الإباضية للإمام الناصر بن الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله عز وجل: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾؟

قال أحمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل في هذه الآية بوجوه من الكلام، منها: أنهم قالوا: " أنا أول العابدين لله "، على الإضمار، وغير ذلك من القول. وأما أنا

فأقول: إن العرب تقول: إن العابد هو: المنكر الآنف؛ قال الفرزدق يهجو جريرا:

أولئك أكفائي فجئني بمثلهم ... وأعيذ أن يهجى كليب بدارم [(١)]

يريد: أي: أنكر وآنف أن تهجى بنو كليب ببني دارم قومه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف : ٨٤]

قال في التبصرة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام:

معناه: أنه هو الذي يستحق العبادة، يستحق أن يعبد في السماء والأرض؛ لأن الإله هو: الذي يستحق العبادة؛ وهذا مشهور متعارف في ألفاظ الناس.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

معنى قول الله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾: أنه إله من في السماء، وإله من في الأرض؛ كما يقال:" فلان أمير في بلد كذا، وبلد كذا "، وإن لم يكن فيهما ساكنا.

---

(١) – كذا في النسخة المطبوعة المنقول منها، والذي في كتاب " الجليس الصالح والأنيس الناصح، للمعافى بن زكريا "، وهو المناسب لاستشهاد الإمام عليه السلام:

أولئك أكفائي فجئني بمثلهم ... وأعبدُ أن أهجو كليباً بدارمِ

وقبله:

فإن حراماً أن أسب مقاعساً ... بآبائي الشم الكرام الخضارمِ

ولكن نصفاً لو سببتُ وسبّني ... بنو عبد شمسٍ من منافٍ وهاشمِ

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾[الزخرف: ٨٨، ٨٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٨) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (٨٩)﴾؟

فقال: هذا خبر من الله سبحانه عن قول نبيه: إن من قدر يؤمن به [١]؛ فأمره الله أن يصفح عنهم، ومعنى: يصفح: أن يتركهم ويرفضهم. ومعنى قوله: ﴿وقل سلام﴾ أي: قل أمرا حسنا جميلا، تثبت به عليهم الحجة، وتسلم به من أذيتهم. وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾، يقول: قل لهم: فسوف تعلمون صدق ما جئت به، وحقيقة ما اعذرت وأنذرت منه.

---

(١) – هكذا في النسخة المنقول منها، والظاهر أن في اللفظ نقصاً، ولعله:" إنَّ قومَه لا يؤمنون ".

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)﴾ [الدخان: ٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

أخبر تبارك وتعالى بلعبهم، عن شكهم في ربهم، ودل بذلك على: أن من اشتغل عن طاعة الله بلعبه، فليس من الموقنين مع ذلك بالمعرفة بالله ربه.

قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)﴾ [الدخان: ١٠، ١١]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١)﴾؟

فقال: اليوم الذي تأتي به السماء بدخان مبين هو: يوم القيامة، وإتيانها بالدخان فهو: عروجها [١] ومصيرها إليه، وذلك أنها عند تبديل الله لها في ذلك اليوم تعود إلى ما منه خلقت، وهو: الدخان؛ فتصير بعد هذا التجسيم والعظم إلى حالة الدخان. ومعنى قول من يقول: ﴿هذا عذاب أليم﴾ فهو: قول الكافرين؛ إذا رأوا السماء قد صارت إلى ذلك الحال، وأيقنوا بالجزاء -قالوا

---

(١) - في نسخة: رجوعها.

حينئذ: ﴿هذا عذاب أليم﴾، فطرح الله " اليوم "، وأقام:" العذاب " مقامه، فصار مرفوعا، والعرب تفعل ذلك، تقيم الشيء مقام ما كان من سببه، كقوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ [يوسف: ٨٢]، فأراد: أهل القرية، وأهل العير؛ فطرح:" الأهل "، وأقام:" القرية "، و" العير " مقامهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: ١٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

قال: يقول: اختبرنا وعذبنا؛ لأن الفتنة اختبار ومحنة، وتعذيب وعقوبة.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾؟

فقال: معنى قوله: ﴿فتنا قبلهم قوم فرعون﴾، أي: عذبناهم على معصيتهم بالغرق، والرسول الكريم فهو: موسى صلى الله عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤)﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وعن قوله سبحانه: ﴿إن شجرت الزقوم (٤٣) طعام الأثيم (٤٤)﴾؟

قال: نزلت في أبي جهل حين أن زعم أنها تمر بزبد.

سورة الجاثية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾[الجاثية: ١٤]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾؟

فقال: معنى: ﴿يغفروا﴾ فهو: يعرضوا عن عبادتهم ومقالتهم ويتركوهم، ومعنى: ﴿الذين لا يرجون أيام الله﴾ فهم: الذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده، ومعنى: ﴿ليجزي﴾ فهو: إخبار منه بأنه سيجزيهم بأعمالهم؛ فهذا معنى: ﴿ليجزي قوما﴾، أي: ذرهم حتى يقع الجزاء عليهم، وعلى صدق ما أنكروا من وعد ربهم.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾[الجاثية:٢٣]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، إلى قوله: ﴿أفلا تذكرون﴾؟

فقال: هذا إخبار من الله تبارك وتعالى عن من عبد ما يهواه من الأشياء، فجعل إلهه هواه. ﴿وأضله الله على علم﴾: منه به، ومعنى: ﴿على علم﴾ فهو: على علم منا بأفعاله وأخباره، وعبادته ما يهوى من الأشياء دون ربه، فلما أن علم منه ذلك أضله، ومعنى ﴿أضله﴾ فهو: خذله، وسماه بالضلال، وأخبر عنه به. ومعنى: ﴿ختم على سمعه﴾ هاهنا في هذه الآية، ﴿وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ فهو: بالخذلان له، وترك التسديد له لما يسدد له المؤمنين، لا أنه فعل به شيئا من ذلك، ولا حال بينه وبين الاهتداء؛ تقدس الله عن ذلك وتعالى. ﴿فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾، يقول: من يوفقه للصواب إن يخذله الله، أو يرشده إن تركه الله؛ أفلا تذكرون في ذلك، فتعلمون في ذلك: أنه لا هادي لمن خذله الله، ولا مرشد لمن لم يرشده الله.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)﴾ [الجاثية: ٢٨]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾؟

فقال: معنى ﴿جاثية﴾ هي: باركة على ركبها، منتظرة لما يكون من حكم الله فيها، ومعنى: ﴿تدعى إلى كتابها﴾ هو: توقف عليه، وتدعى إلى جزائه، خيرا فخيرا، أو شرا فشرا، ومعنى: ﴿كتابها﴾ فهو: ما علم من فعلها، تجازى عليه، وتدان به.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)﴾[الأحقاف: ٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾؟

قال: يقول: ما أتيت بغير ما أتت به الرسل من الدعاء إلى الله، وإلى حقه، ومعنى: ﴿بدعا من الرسل﴾ فهو: تستنكرون ما أتيت به، وتستعظمون ما نطقت به؛ من سبيل الرسل كلما أتيت، وإلى ما دعت به من طاعة الله. ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾، يقول: من موت ولا حياة، ولا خير ولا شر في الدنيا؛ إذ لست أعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله. ﴿وما أنا إلا نذير﴾، يقول: منذر لكم، أنذركم ما أمرت به. ﴿مبين﴾، يقول: مبين بقولي، مظهر لما أتيت به إليكم من ربي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ [الأحقاف: ١٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال أبو الحسين زيد بن علي: بلغنا - والله أعلم - أنه عبد الله بن سلام، رجل واحد من جميع اليهود.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾، إلى قوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾؟

فقال: هذا كلام تحته ضمير؛ يريد: قل إن كان من عند الله وكفرتم به -ألستم متعرضين للنقمة أن تنزل بكم، فأما قوله: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ فهي: الشهادة التي شهد بها مؤمن آل فرعون، مثل هذه الآية وضميرها سواء سواء، وهو قوله: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾، إلى قوله: ﴿مسرف كذاب﴾ [غافر: ٢٨]، فشهد بأنه إن كان موسى صادقا أصابهم بعض ما يعدهم به موسى من النقم؛ من تكذيبهم بآيات الله؛ فهذا معنى: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾، يريد: على مثل الآية الأولة، وضميرها على: أن من كذب بآيات الله ورسله نزل به من الله تبارك وتعالى ما نزل بغيره، من النقم المهلكات، والآفات المتتابعات.

وقال في كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام:

الشاهد الذي آمن به من بني إسرائيل هو: عبد الله بن سلام رحمه الله، ولذلك

قالت اليهود: إنه علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن، فأنزل الله تعالى في ذلك آية، وحجة باهرة، حيث يقول تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل:١٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام:

الفصال: حولان؛ وذلك قول الله سبحانه: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وما فضل على الحولين أقل تمام الحمل الذي يمكن أن تضع المرأة ولدها فيه تاما، وهو: ستة أشهر؛ لأن الحولين أربعة وعشرون شهرا، والباقي ستة أشهر من الذي ذكر الله تبارك وتعالى.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ [الأحقاف: ٢٠]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام:

قال الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين، بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل، صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى آبائهم الطاهرين: سألت عن قول الله عز ذكره، وجلت أسماؤه: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾، فقلت: ما الطيبات في هذه الدنيا؟ أهو ما يتنعم به الناس ويلبسونه، من صالحيهم وطالحيهم، وأن من لبس الثياب السرية، وأكل الطعام الفائق، وركب

الخيول، حلالا كان أو حراما، فقد أذهب طيبات الآخرة، بما أطلق لنفسه من استعمال طيبات الدنيا؟

فأما الكافر وأسبابه -فقد استغنينا عن الفتش في أمره، بما قد وجدنا من حاله، كثرت دنياه أو قلت، فمصيره إلى النار. وأما المؤمن به، والعامل بطاعة خالقه، المتحري في أمره، لما أمره به خالقه -فكيف تكون تلك حاله، وإنما جعل الله الطيبات للمؤمنين خاصة دون الفاسقين؟! فقال في كتابه عز وجل لأنبيائه عليهم السلام: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال في كتابه: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف: ٣٢]، ومعناها: ويوم القيامة، وقال في كتابه: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ [المائدة:٩٣]، فلم يجعل الله سبحانه على المؤمنين حرجا في شيء مما رزقهم، إذ أخذوه على ما جعل لهم وأمرهم به، فساروا فيه بطاعة الله، ولم يتعدوا إلى شيء مما يسخط الله؛ لأن الله عز وجل - أيها السائل - لم يجعل ما في هذه الدنيا من خيرها ومراكبها التي خلقها لشرار أهلها، ولا لمن عند عن طاعة خالقها، وإنما جعلها الله للصالحين، ولعباده المتقين، يأمرون فيها بأمره، وينهون فيها عن نهيه، ويقيمون أحكامه فيها، منفذون لأمره عليها، فللطاعة والمطيعين خلقها رب العالمين، ثم أمرهم ونهاهم، وبصرهم غيهم وهداهم، وجعل لهم الاستطاعة إلى طاعة مولاهم؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ [الأنفال:٤٢].

وإنما معنى الآية وقول الله: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ -فتبكيت منه سبحانه لأهل النار، وتوقيف على تفريطهم في طاعة ربهم. ومعنى ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أي: تركتم ومحقتم وعطلتم ما جعل الله لكم بالطاعة، من النعيم

المقيم، والخلد مع المتقين، في الثواب الكريم، بارتكابكم للمعاصي، وترككم للطاعة، حتى خرجتم مما جعل الله للمطيعين، وصرتم إلى حكم الفسقة الكافرين، في عذاب مهين؛ فهذا معنى: ﴿أذهبتم طيباتكم﴾.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

سئل الهادي إلى الحق صلوات الله عليه عن: قول الله سبحانه: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (٢٠)﴾؟

فقال صلوات الله عليه: الطيبات التي أذهبوها في حياتهم فهي: طيبات الجنان، التي جعلها الله لأهل الطاعة والإيمان، بما ذكر أنه أعد لأهل التقوى والإحسان، من أزواج الفواكه والرمان، وغير ذلك من النخيل واللحمان، وكل ما تشتهيه الأنفس من اللباس والنسوان. وإذهابهم إياها فهو: بعصيانهم لربهم، وجرأتهم على خالقهم؛ لأن الله عز وجل إنما حكم بالطيبات لمن أطاعه، وحرمها على من عصاه، فمن أطاعه فقد استوجبها بطاعته، ومن عصاه فقد أذهبها بمعصيته؛ فهذا تفسير إذهابهم للطيبات، لا ما يقول من جهل فلم يعلم، وضل عن مذهبه فلم يفهم، من أن إذهابهم للطيبات هو: أكلها في حياتهم، فإن من أكلها في الدنيا الفانية حرمها في الآخرة الباقية؛ وحاش لله أن يكون الجواب على ذلك، أو يكون قول من علم كذلك؛ ألم تسمعوا قول الله في القرآن، وما نزل من النور والبرهان، حين يقول: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأعراف: ٣٢]، فجعلها لهم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة التي بها؛ فكيف يقال، أو يستجاز في ذي الجلال والإكرام: أنه جعلها لهم رزقا، وأعطاهم إياها عطاء حقا في دار الدنيا، ثم حرمهم إياها في

الآخرة التي تبقى؛ عقوبة على أخذ ما أعطاهم، وقبول ما امتن به عليهم وآتاهم؟! وفي ذلك ما يقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ [المؤمنون: ٥١]، فأمر رسله أن يأكلوا من الطيبات، وأن يعملوا له ما يرضيه من الصالحات؛ وفي أقل من ذلك: ما أجزى، من كان ذا حجى؛ والحمد لله العلي الأعلى.

وأما قوله سبحانه: ﴿بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾، والاستكبار فهو: الجرأة على الله الواحد الجبار، والمخالفة له في أمره، من ذلك: التجبر على عباد الله في أرضه، والفسق وهو: الفسق في الدين، والفسق في الدين فهو: المخالفة لرب العالمين، وصلى الله على محمد النبي، وعلى عترته الأخيار، وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

قال أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام: بلغنا - والله أعلم - أنهم سبعة نفر من الجن، وهم من أهل نصيبين، آمنوا ليلة إذ مروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تحت نخلة يقرأ القرآن فآمنوا به، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يشعر بهم، وكانوا بموسى صلى الله عليه وسلم مؤمنين وبالتوراة، من جماعة الجن.

سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ(٦)﴾ [محمد: ٤-٦]

قال في كتاب الأحكام للإمام الهادي عليه السلام، بعد ذكره للآية ما لفظه:

ولا يكون من أبدا ولا فداء، إلا من بعد الحبس والوثاق، غير ما شك؛ وبذلك جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم، إذ بيتوا ليلة بدر في الرباط والوثاق، فكان لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعمه في تلك الليلة من القلق والأرق ما قال له عمر - فيما يقال ويذكر -: ما لي أراك يا رسول الله منذ الليلة أرقا، وفي ليلتك هذه كلها ساهرا قلقا؟ فقال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((وما لي لا أقلق، وأنا أسمع منذ الليلة أنين عمي في الأسرى))؛ فلو كان الحق عنده غير حبس الأسير بعد الأسر -لأمر بتخلية عمه أمرا، فلو لم يجز حبس الأسير إذا لم يؤمن سنة تامة -لما جاز حبسه ليلة كلها؛ بل ساعة واحدة؛ وليس ينبغي للمؤمنين: أن يأسروهم حتى يخزوهم ويثخنوهم، بالقتل منهم وفيهم، بالظهور البين عليهم، فإذا قتلوا وطردوا، وغلبوا وقهروا -ارتبطوا حينئذ وأسروا، فإن

استسلم الظالمون للحكم، ودخلوا بعد المصافة في السلم، بإقبال منهم إلى الحق، وإقرار وتولي بغير غلبة عن المحقين، أو فرار لا يتحيزون فيه إلى فئة أو رجال، ولا ينحرفون به لمنازلة أو قتال -كف في هذه الحال، وازدجر عن مدبرهم. قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: وأيما أسير قامت عليه البينة بأنه قتل من المسلمين قتيلا قتل به، وإن جرح أقيد منه. قال: وإن لم يكن قتل ولا جرح، وتاب وظهرت توبته - وجب على الإمام أن يخليه، إلا أن يخافه فيحبسه، وكذلك لو خاف غيره من جميع الناس -وجب له حبسه.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (٤) سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ويدخلهم الجنة عرفها لهم (٦)﴾؟

فقال: معنى ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ هو: لن يبطلها، ولن يلتهم إياها؛ بل سيجازيهم عليها، ويعظم لهم الأجر فيها. ومعنى: ﴿سيهديهم﴾ هو: يهديهم إلى دار ثوابه، ويصيرهم إلى ما أعد لهم من دار كرامته. ومعنى: ﴿يصلح بالهم﴾ فهو: يصلح حالهم؛ البال: الحال والأمر. ومعنى: ﴿عرفها لهم﴾ فهو: طيبها لهم، وتطييبه لها فهو: جمعه فيها للخيرات التي هي مجموعة فيها، حتى طابت لأهلها بوجودهم كلما يحبون فيها.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩)﴾ [محمد: ٩]

قال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألت عن: قول الله سبحانه: ﴿فأحبط أعمالهم﴾، فقلت: ما هذه الأعمال

التي أحبطها الله، وهم فلم يؤمنوا فيكون لهم أعمال؟

وهذا - أحاطك الله - فخبر عن فعل من مضى، ممن لم يقبل إلى الهدى، وهو وعيد لمن بقي من أهل الدنيا، ممن يدعي الإسلام، وغيرهم من سائر الأنام، إلى يوم الدين، وحشر العالمين. فأما أعمال من لم يؤمن بالله ورسله -فإنه لم تكن أمة من الأمم، إلا وهي تعلم أن الله خالقها، وخالق غيرها؛ وذلك قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩]، وكل أمة قد كانت لها أعمال ترى أنها أفضل الأديان، من عبادة الشمس والقمر والنجوم، والأوثان والأنصاب، ومنهم من كان يعبد الملائكة المقربين، ويزعمون أنهم يريدون بذلك التقرب إلى رب العالمين، ومنهم من كان يعبد اللات والعزى، وهما قبتان كانتا بالطائف ونخلة؛ فأخبر الله: أن ذلك كله بور حابط، وأنه لكل شيء محبط، وإحباطه إياه هو: حكمه بالبطلان والبور، وجعله إياه سبحانه هباء منثورا، لا يرفع منه قليل ولا كثير، ولا ينتفعون منه وإن جهدوا فيه بحقير ولا خطير؛ إذ ذلك عند الله كفر وشرك، وله جحدان، وأنه لا يرضى من أحد من خلقه بغير الإخلاص له والإيثار، وترك عبادة كل ما كانوا دونه يعبدون، ورفض ما كانوا يؤثرون. فأما وعيده لمن بقي من بعد أولئك، ممن يدعي الإسلام، وينتحل دين محمد صلى الله عليه وآله -فقوله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾؛ فأخبر: أن أعمال من كان غير متقي، وكان من أهل الإجتراء والمعاصي، وكان مقرا بالتوحيد -غير مقبولة ولا مرفوعة، ومن كان عارفا بما جاء به الرسول، قائما بفرائض ربه، مؤديا لكل أمره، غير مقارف للظلم والعصيان، ولا داخل في كبائر ما نهى عنه ذو المن والسلطان، فإن توبته مقبولة مرفوعة؛ لأنه إنما يرفع ما يتقبل من الأعمال؛ لأن رفعه هو: تقبله، وتقبله هو: رفعه، لا فرق بينهما، وكل ما تقبله فقد رفعه، وكل ما رفع فقد تقبل. وكذلك حال من كان في الأرض من أهل الملل وغيرهم، من: المجوس ونظرائهم من

السامرية، والسودان والروم، وغيرهم من أهل البلدان.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ [محمد: ١٥]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

كأنه قال: الجنة التي وعد المتقون؛ فأدخل " المثل " توكيدا للكلام.

وقال في كتاب مجموع تفسير بعض الأئمة، من الآيات التي سئل عنها الإمام الهادي عليه السلام:

وسألته عن: قول الله سبحانه: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾، إلى قوله: ﴿فقطع أمعائهم﴾؟

فقال: أراد الله تبارك وتعالى: هل يستوي من كان في هذه الجنة، وفي أسرتها ولذاتها، ومن هو خالد في النار، يسقى الحميم؛ لا يستويان أبدا؛ صدق الله تبارك وتعالى: لا يستوي محل أوليائه، ومحل أعدائه؛ أعداؤه في عذاب النار، وأشر قرار، وأولياؤه في خير دار.

فقلت: ما هذه الخمر؟

فقال: هي الخمر ﴿التي لا فيها غول﴾، والغول فهو: ما اغتال العقول. ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ [الصافات: ٤٧]، والنزف فهو: ما ينزل بشراب خمر هذه الدنيا النجسة، فينزفون من طرفيهم مشيا وقيئا؛ فأخبر الله تبارك وتعالى: بطهارة هذه الخمر، وبعدها مما تفعل خمر الدنيا بأهلها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ [محمد: ١٧]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

التقوى فمن الهدى، " وآتى " فمعناها: وأعطى؛ فهو آتاهم التقوى بتبصرته وتقويته لهم على ما عملوا منها، وبمنعه لهم تبارك وتعالى من الضلالة، ونهيه لهم عنها، وليس بين الضلال والهدى منزلة هادية لأهلها ولا مضلة.

وقال في كتاب البساط للإمام الناصر الأطروش عليه السلام:

معنى ذلك: الذين فعلوا ما دلهم عليه في الابتداء، وبينه لهم من الهدى - زادهم هدى، بما شرحه من صدورهم، وفتحه من أسماعهم وأبصارهم، حتى وقع بذلك منهم حسن اختيارهم. ومعنى: ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أي: آتاهم ثواب تقواهم، كما قال جل ذكره في مكان آخر: ﴿نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ [هود: ١٥]، وقال: ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم﴾ [الحجرات: ١٤]، معنى ذلك أجمع: أنه يوفيهم جزاء أعمالهم؛ والله المعبود والمحمود.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾ [محمد: ٢٢]

قال في مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

وسألت عن: قوله سبحانه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم...﴾الآية؟

فتأويل: ﴿فهل عسيتم﴾ هو: لعلكم أنتم أيها المدعون، من كنتم. وتأويل:

﴿توليتم﴾ هو: أدبرتم عن الإجابة، والقبول والإنابة، ﴿أن تفسدوا في الأرض﴾: بقتل بعضكم لبعض، فتقطعوا الأرحام، إذا لم تجيبوا الإسلام؛ لأن من لم يجبه أفسد في أرض الله؛ إذ لم يتبع حكمه، ففجر في دين الله، وقطع رحمه، ومن أجابه أصلح ووصل، إذا سمع عن الله وقبل، ولم يتول ولم يدبر، فلم يفسد ولم يفجر.

تم الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الفتح

الفهرس